

# فِي الْأَنْتَنَجَاتِ

رواية تاريخية غرامية

- \* تشرح حال الاسلام من اول ظهوره \*
- \* الى فتوح العراق والشام مع سط عوائد العرب \*
- \* في آخر جاهليتهم واول اسلامهم ووصفهم \*
- \* أخلاقهم واز拜ائهم وسائر احوالهم \*

← ٦٩٣ →

. تأليف .

جرجي زيدان

« منشى الملال » بصر

← ٦٩٤ →

الجزء الأول

---

طبعت بطبعة ( الملال ) باول شارع الجالة ببصر سنة ١٨٩٧ م

---





ترجي رايل

# الملاول والشکن

\* الطبعة الثانية \*

« تأليف جرجي افندى زيدان منشى، الملال »

ان شهرة هذه الرواية تعنى عن وصفها فقد رأى حضرة مؤلفها من أقال الادباء على  
صالحها ما اضطره الى اعادة طبعها وقد ترجمت الى الروسية والانكليزية وهي رواية  
ذريخية ادبية تضم الحوادث التي وقعت في اوائل القرن التاسع عشر وفيها ام الوفاع  
التي رافقت حياة المغفور له محمد علي باشا فيدخل في ذلك تفصيل مذبحة الماليك  
وحرب الموردة وفتح الشام وفتح السودان كل ذلك على سبيل الحكاية فيستفيد المصانع  
الحقائق التاريخية وهو لا يشعر بذلك ولا يخبر لان دراجها على اسلوب القصة العذائية  
عدد صفحاتها مائتا صفحة وفيها رسم الامير بشير وين النسخة ثانية غروش صاغ  
او فرنكان واجرة البوسطة غرش ونصف ونطلب من ادارة الملال او مكتبيو بمصر  
وكلاء الملال بالجهات ومن ارسل القصيدة طوابع بوسطة نطله الرواية حالاً

## الفصل الأول

## ﴿ملوك غسان﴾

بنو غسان عرب منتصنة كانوا عمالاً لقياصرة الروم في الشام وأصلهم ينحدرون من بني قحطان هاجروا اليمن بعد سيل العرم والعرم سدّ كان يجوار مدينة ما أرب باليمين يعرف بسد ما أرب بهم في القرن الأول للميلاد وطافت مياهه على ما جاوره من البلاد والفرى فقلّ سبيل الناس إلى الاستفقاء فنزح أهلها الناسًا للرزق ومنهم الغساسنة وزرعوا ضواحي الشام قرب ما أسمه غسان فسروا إليه<sup>(١)</sup> واعتنقو الديانة المسيحية ويسوعهم مؤرخو الاسلام العرب المتصورة وعرفون أيضًا بملوك غسان . وأول من عرف منهم جفنة عاش في القرن الثاني للميلاد وانصل الملك بعد سلسلة حكم منهم نحو ٢٧ ملكاً آخرهم حلة بن الأعمر وفي أيامه ظهر الاسلام وفتحت الشام على عهد الخليفة أبي بكر الصديق واقررت دولتهم كاسترى . ولكن منهم الآن نقبة متعددة في ضواحي الملقاء والبرموك وتحص

ومن العرب المتصورة ملوك الحبيرة وبقال لهم الماذرة ، جمع المذر أو الملوك الحبيرون نسبة إلى لهم من عدبي وهم من عرب اليمن رححوا أيضًا بعد السيل وافاردوا في العراق وكانت عمالاً للغرس هناك وسيتم لهم إلى ملوك الفرس كسبة ملوك غسار إلى قياصة الروم اي ان كلّاً من البرقيين كانوا عمالاً لاحدى هاتين الدولتين فالغساريون كانوا يقيمون في حوران والنهاة وما جاورها وكما اشده شيء بالولاية المستقلين تحت رعاية الرومابين فيما زارون عن ولاية الروم واستغلوا لهم في حكومتهم الداخلية تحت شروط معلومة فيعودون الجزية ويدعون الرومابين بالجهاد من قبيلتهم عدد الحاجة وخصوصاً في حروبهم مع الفرس<sup>(٢)</sup> . او لعائهم كانوا من قبيل أصحاب الاقتتالات والمعاهدات

وكان العالم قبيل الاسلام نسازعه دولتان عظيمتان الفرس في الشرق والروماني

(١) أبو الفدا (٢) حياة الارب في معرفة قائل العرب (٣) تاريخ العرب لوبيل

في الغرب لا يكاد يفتر النزاع بينها ويستعين الفرس بالمنادرة ويستعين قباصنة الروم بالغساسنة فتولد بين تلك القبيلتين العريتين المسيحيتين ضغائن توارثها الابناء عن الآباء وكثيراً ما كانت نقوم الحرب بينها حتى يكاد يهدأ أحدهما الآخر

والنزاع بين الفرس والروم قد يجيء طبيعياً بين المشرق والمغرب فقد كانت الحروب متواصلة قليلاً بين الفرس واليونان ثم بين الفرس والرومان وكانت عاصمة الفرس المدائن بالعراق وعاصمة الرومان القدس-طينية فقضوا اجيالاً من اليهود بين حرب وصلح تارة يجردون الجند وطوراً يعقدون الصلح . في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد كان ملك الفرس كسرى روبرت امبراطور الروم موريس (والعرب تسميه مور بيقي ) فثارت في بلاد الفرس ثورة داخلية ألت الى خلع كسرى فالنجا الى موريسوس فساعدت واعاده الى ملوكه وكان ذلك داعياً الى مصالحة وهدنة . وفي سنة ٦٠٣ م قُتل موريسوس هنا قتله فوكاس فوقاً ( وتولى هو الملك مكانه وكان على الفرس كسرى روبرت المذكور وكان صهره الموريسوس قد تزوج ابنته ماريا فلما سمع بقتل حبيبه اعتذر معاذهن الصلح بينها لاغية وحمل بجشه على القدس-طينية متظاهراً بالانتقام من قاتل حبيبه وهو صهر الاسنيلاء على مملكة الروم فظلت القدس-طينية أباً للحكم هذا الامبراطور في حصار دائم قبل الناس حكومته فثاروا عليه وارادوا خاتمة واستدعوا هرقل ( هرقل ) ابن والي الفيدران عن الروم فجاء سنة ٦١٠ م اعارة بحرية ودخل القدس-طينية عنوة وقبل فوقاً وتولى مكانه والفرس قد قاموا على الروم قومة واحدة وكان كسرى محاصراً القدس-طينية سبع سنوات وكان قائداً من قواده محاصراً بيت المقدس في آخر محاصراً الاسكندرية والناس يهربون من وجه الفرس من كل صوب فلم تأت السنة الخامسة من حكم هرقل حتى استولى الفرس على القدس وفي النهاية ( سنة ٦١٨ ) دخلوا الاسكندرية واستولوا على مصر السفلی فلما ذهبوا من أهل الشام ومصر ترحاماً وارتباطهم معهم ومع جندهم الخميريين رابطة الوطن الشرقي والعوايد الشرقية فلشوا تحت نيرهم عشر سنوات ثم اشتعل الفرس بعصيان بعض ولاياتهم فصعب أمرهم واغتنم هرقل تلك الفرصة وحمل عليهم بجهد فاخرجم من الشام ومصر وعاد الملوكين الى حورة الروم ولم يكدر يستريح هرقل من هذه الحروب حتى جاءه المسلمون في اواخر الهجرة مفتحين وهو لا يزال في سوريا

وَحْصُونَةٌ لَا تَرَالْ مِنْهَمْ وَجِبْوَشَةٌ مِنْ بَعْثَنَقْ وَسَائِرْ قَوَافِلْ مِنْ ضَعْضَعَةٍ<sup>(١)</sup> :

وَكَانْ بَنْوَغَسَانْ تَحْتَ سِيَطَنَةِ الْوَالِيِّ الرُّومَانِيِّ الْمَفِيمِ بِدَمْشَقِ الْأَمْرَاطُورِ الْمَلَكَةِ الرُّومَانِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ الْمَفِيمِ فِي الْقَسْطَنْطِنْطِينِيَّةِ فَتَرَدَ الْأَوْامِرُ الْأَمْرَاطُورِيَّةِ مِنْ الْأَمْرَاطُورِ إِلَى الْوَالِيِّ دَمْشَقَ وَهُوَ يَلْعَبُهَا إِلَى الْمَلِكِ غَسَانَ

وَكَانَ كَرْسِيِّ حَكْمَةِ الْفَسَابِينَ تَارَةً فِي عَانَ الْمَلَفَاءِ وَطُورَّا فِي نَدَمْرَ وَاحِيَا  
فِي الْجَوْلَانَ وَتَارَةً فِي بَصْرَى عَاصِمَةِ حُورَانَ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ

فِي نَخْوِ الْسَّنَةِ السَّاعِةِ الْمُتَهَجِّرَةِ (٦٢٩) ، كَانَ عَلَى الْفَسَابِينَ فِي الشَّامِ مُلْكَانَ

فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ أَحَدُهَا الْمَحَارِثُ مِنْ إِلَيْ شَمْرَ وَالْآخَرُ جَلَّةُ مِنْ الْأَبْيَمِ<sup>(٢)</sup> وَكَانَ الْمَحَارِثُ يَقِيمُ فِي بَصْرَى وَفِي مَكَانِهَا الْآنَ قَرِيَّةٌ صَغِيرَةٌ اسْمُهَا اسْكِيِّ شَامُ أَيِّ الشَّامِ الْقَدِيمَةِ<sup>(٣)</sup>

وَسِيَّاقِي ذَكْرُهَا وَيَجْوَرُ بَصْرَى هَذِهِ دِيرُ بَعِيرَاءِ الَّذِي رَأَلَ عَنْ أَوْطَالِهِ وَمَعْنَاهُ اسْتِخْبَرَيْهَا صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَوْمَ قَدَمُوا الشَّامَ لِلتَّجَارَةِ قَبْلَ ظَهُورِ الدِّعَوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بَضْعَ وَعِشْرَينَ سَنَةً<sup>(٤)</sup>

وَلَمَّا جَلَّةُ فَهْوَانِ عَمِ الْمَحَارِثِ الْمَشَارِيِّ وَكَانَ يَقِيمُ مَالَفَاءِ

## الفصل الثاني

وَكَانَ جَلَّةُ هَذَا اَسْتَهْمَةُ مَارِعَةٍ فِي الْجَمَالِ مَعَ تَعْقُلٍ وَرِزَةٍ اسْمُهَا هَدْرِيَّتٍ مِنْذِ

حَدَاثَتِهَا عَلَى ظَهُورِ الْخَيْلِ وَشَبَّتْ مَوْلَعَةً سَرَّكُوبَهَا وَمَهَارَةً أَعْظَمَ الْفَرَسَانِ فِي حَلَةِ السَّاقِ

حَتَّى طَارَ صَبَّهَا فِي الْقَنَائِلِ وَاصْبَحَتْ حَدِيثَ الْقَوْمِ وَصَرَبَ امْتَالَهُمْ قَبْلَ أَنْ تَلْغَتْ

الْعِشْرَينَ مِنْ عَمْرِهَا

وَكَانَتْ نَقِيمَ غَالَانِيَّ فِي صَرَحِ الْغَدَيرِ وَهُوَ قَصْرٌ بَدِيعٌ شَاهِقٌ سَاهِنٌ تَعْلِمَةٌ مِنْ عَمْرِهِ

أَحَدُ مُلُوكِ غَسَانَ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ لِلْمِيلَادِ<sup>(٥)</sup> فِي اطْرَافِ حُورَانَ مَا يَلِي الْبَلَفَاءِ مِنْ

(١) صَوْئِيلْ تَارِيْب (٢) الْأَعْلَى حِرْ (٣) دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ (٤)

ابْنِ الْأَثِيرِ (٥) يَاقُوت

حجارة ضخمة ثبأ غرف واسعة تتدفق بها المدائق والبساتين تجري من تحتها الجداول  
والسوابي معظم أيام السنة

وكان يجوار القصر سهل واسع الارجا خصصه لسباق الخيل في مواجهة معينة  
من العام يخترق في سلوكه أمه فرسان البلقاء وحوران وقد يقصد أهل البلاد الأخرى  
وكانت هند تنزل السباق نفسها وكثيراً ما احرزت قصب الساق . وكان ذلك  
السباق تحت رعاية والدها جبلة فيجتمع على الساقين خلماً يعيثها قبل الشروع  
في الساق ومن مال قصب الساق احتملوا ما أسموه الخلعة في مساء يوم السباق احتفالاً  
بحضور الشعراء يتضمن الفصائد في مدح الساق ثم تحمل هند الخلعة بيدها وتلبسها  
للسباق فإذا جاء يوم السباق تقاطر الفرسان من أنحاء الشام وحوران والبلقاء وغيرها  
يتسابقون إلى احراز تلك الجائزة

في سنة ٦٢٩ م ( سنة ٧ للهجرة ) شكل جملة المدارين يتبئن الناس بسباق  
ذلك الفصل وهو فصل الربع وعيت له الجائزة درعاً سليمانية كاملة وامر باعداد  
إيجيات الاحتفال يجوار صرح الغدير حتى اذا دنا اليوم المعين تقاطر الفرسان إلى  
تلك الساحة زرافات ووحداناً حبيولم وسباهم وفهم جماعة كبيرة من الامراء  
الغسانيين وغيرهم بعضهم بالعامة وبعضهم بالكوفية والعقال وبعضهم بالفلاس  
تشبيهاً بالروم

وفي صباح يوم الموعد كانت الحيوانات مصفوفة بجانب السهل صنوفاً غير متضمنة  
والخيام منصوبة لياً وي إليها الفرسان أثناء السباق في صدره اخيمة جبلة وهي فسطاط  
كبير مطعن بالحرير الأحمر ارضية مكسوة بالسخط والسجاد وقد علقت تلك الدرع في  
بعض أعمدة تو ليراها الفرسان وبشناقاوا إلى احرازها

فلما اشرقت الغرالة واعدت الحيوان شاعت اعين الفرسان نحو القصر في انتظار  
هند وليها فإذا ملا سواب قد فتحت وخرج جبلة وكان قد جاء من مساء الامس ومات  
في القصر استعداداً لحضور السباق فلما أتيه الناس مخروجه تأدلاً في موقفهم فرَّ  
بالحدائق ثم فتحت ابوابها فخرج جبلة وحاشيتها وعلى رأسه ناج مرصع تعكس أشعة  
الشمس عن جواهه فتبهر الابصار <sup>(١)</sup> وكان طوبيل القامة أصهب ( اي بخالط بياض

وجهه حمق ) ذو سال وعشون<sup>(١)</sup> عليه ازار من الدبساج المزوكش يغطي اثناءه  
وبيده وبحرو راهه . فمشي والخدم تقد افراسة وراءه معقودة اذا بها فعليها الفلاائد  
من الذهب والقصة حتى جاء فسطاطه بجلس في صدره على سرير من خشب العرعر .  
محلى بالذهب وساقوا خيله الى مراقبتها في خيمة خاصة بها ووقف في باب الفسطاط  
الحاجب وراءه جملة من الجمايس بعضهم بحمل سيف جملة واخر بحمل قوسه ووا  
يكد يستوي على سريره حتى استاذن الشعراه بالدخول عليه فاذن لبعضهم فدخلوا  
والقفوا الخيمة وتراعوا على الساط في ارض الفسطاط ولما رأهم جملة تذكر حسناً .  
ثابت وكان مختلف اليه كثيراً ويتذمّه فيصلة المهام الواقعة<sup>(٢)</sup> ولكن حسناً لما  
اعشق الاسلام أقام في المدينة وانقطع عن الفساسنة وغيرهم

وبعد هنئه خرجت هد بنت جملة من قصرها تحف بها جواريه وقد يعرف  
الناس خروجها برائحة طيبها قبل ان يرواها فبررت بجربة الفصر حتى خرجت من  
بابها واعين الفرسان شائعة نسوها واكتذبهم اما يأتي الساق يتنفع بعلمه منها . فمشت  
من باب الحدبقة مشية تدل على صحة ورزانه وكانت حشوقة القوام ممتلة الجسم  
مستديرة الوجه قصبة اللون مشربة بالحمر سوداء العيدين مع كحل طبيعي له يكاد  
يصدق الماظر اليها الا انها مكحلة باللائد وكان شعرها اسود مصفوراً قد أرسلت  
ضعايره خصلة واحدة على ظهرها وفي اطراف الصنافير قطع من التقد الذهبية او الحلي  
وفي اذنيها قرطان في كل منها لؤلؤة كبيرة وجعلت على رأسها ناجا صغيراً مرصعا  
وضعنده مائلاً نحو اليدين . وفي عنقها عقد من المرجان وفي أحد معصميها دملع من الذهب  
عربيض مرصع بالياقوت وفي اصبعها الخوان من العقيق والزمرد وقد أرخت من  
كتفها رداء حريري يحيطها بالوان مدبة يعطيها الى الرسخ فلا يظهر من اتوا بها الا  
اسفل الحدام . فتحلف بعض جواريه في الحدبقة ورافقتها استار مهد الى الفسطاط  
وعيون الناس شاخصة اليها عن هد وهي تنظر اليهم اطرف عيدها حباً وروقة حتى  
دخلت الفسطاط فترحب بها والدها وجلسها الى جاسه وكانت كثيرة الواقع بها حتى  
تسلطت على عقوله ورأيه وكثيراً ما كان يستشيرها في اموره ثم وقف الانساع والخدم  
خارج الفسطاط ومعهن خادمتها وكان مقعد جملة وهد هناك بحيث يشرفان

(١) الأغاني جزء ٢ (٢) الأغاني جزء ١٢ و ٣

على ساحة السباق وبريان المنساقين في أول الشوط  
 ثم سمعون جلبة وقيل ان ثعلبة من الحارث من أي شهر صاحب بصرى قد جاء  
 بخاشبيه فلما سمعت هد نقدومو غلب عليها الانقضاض حتى كاد يظهر على وجهها .  
 أما جملة فنهض عن سريره الى باب الفسطاط لاستقبال ثعلبة وكان ثعلبة شاباً  
 قصيراً القامة خفيف العضل نحيف الوجه كثير العيدين والأذين ليس عليه من مهابة  
 الملوك إلا ملاسة الفاخرة فقد كان لاسماً طيلساناً من الحربر مزركشاً يجر وراءه على  
 عادة الرومان وسيفة أعنف مرصع يندلى من حمائله الى يساره وقد اوقف طرف في  
 شاربيه انه وكراً واعناداً ينصب والله  
 وكان الغسانيون يخدون بهد وثعلبة ويزعمون انها لا بد من تزوجها نظراً  
 لما فيها من الدستة والسب ولكن ذلك لم يخرج الى حيز الوجود ولا تخاطب الوالدان  
 شيئاً على ان ثعلبة كان كثير الاعتداد بنفسه وربما حدثته خيلاً او ان يترفع عن  
 هد لو خطب شائتها . أما هي فكانت خالية الذهن من أمر الزواج ولكنها  
 كانت تستكف من اخلاق امن عيدها ولا تقبل اليه ولو لا راتطة القرابة ما خاطبتها ولا  
 جالسته مطلقاً

فلما وصل ثعلبة استقلة جملة وعاقة ورحب به وادخله الفسطاط واجلسه على  
 سرير محانب سرير واخذ يسأل الله عن والد وسبب تخلفه عن ذلك الساق فاعتذر عنه  
 الله في شاغل خصوصي حال بيته وبين ما يريده وكارن جملة انا يكرم ثعلبة اكراماً  
 لمزالة والله ومراعاة لآداب الملوك فيما بينهم  
 أما هد فسلمت على ثعلبة سلاماً اعتيادياً وجذبت تشاغل بالترفرج بينما ينظر ذلك  
 السهل الواسع وما يتراهى وراءه من الجبال وتنظاهر ايتها مهتمة بمنظر الخيول  
 المتزاحمة هناك

أما ثعلبة فكان يخاطب عمه وعيدها على هد لا لجو لها بل رغبة في اعجابها وهو هي  
 كلما التمس اعجابها زادته ازدراه فلما اتم حديثه مع عمها تحول نحوها فسألهما عن عمرها  
 هذه المرة على النزول في ساحة السباق فاجابت وهي تنظر الى الميدان انها لا تنوى  
 النزول الا ان ولكنها ربياً زلت اذا رأت ما يشوق الى ذلك  
 فلما اقترب الصبح خرج بعض امراء جملة واخذوا بهئون معدات السباق

ويرتلونها فنصبو حبلاً يقف المرسان عند اذا عزموا على الساق فيكونون صها واحداً على استواء واحد ثم تناول احدهم قصبة طويلة اعدت لذلك اليوم وسار بها الى آخر الساحة فصها هناك فمن سق افتعلها واخذها لعلم الحاضرون انه الساق من غير زرع فيقال لمن اقطع تلك الفضة انه أحرز قصب السبق

### الفصل الثالث

#### السباق

فلما ثبتت المعدات على هذه الصورة بودي في الناس ان ينهيوا للساق فركوا جمِيعاً وجاؤوا واحداً واحداً يلقون الخيبة على ملتهم جملة فإذا وصل احدهم امام السطاط ترجل ودخل فقبل بد جملة وبد ثعلة وخرج وكانت هذه انتهاء ذلك تنظر في وجوه الداخلين كما أنها تتوقع رؤية فارس تعرفه وكانت تفعل ذلك وتحاذر أن يشعر بها أحد فوق نظرها على احدهم وكان أحستهم وجهها في نحو العشرين من عمر يظهر من لباسه وملامع وجهه انه ليس من بي غسان وكان ربع القامة أسود العينين حادها لاسأقياء عربياً وعلى رأسه كوفية من الحرير المرركش شدّ فوقها العقال فعما رأته ظهرت عليها البغنة وعلا وجهها بعض الاحمرار ولكنها تجاهلت ونشاعلت بعض الشوّون وتقدم الشاب الى جملة فقبل بد وخرج ولم يتبه الى ثعلبة اما سهواً او عمداً فمعظم ذلك على ثعلة وبطر الى هند فإذا هي تشيع ذلك الشاب بنظرها حتى خرج من السطاط فاستيقظت عوامل الغيرة في قلبه ولا داعي لتلك الغيرة غير ما فطر عليه من الحسد والكراهة لكنه لم يتعه بكلمة ثم مرّ باقي المرسان حتى تكامل عددهم وركعوا خيولهم وأصطفوا الى الجبل فلم تكن تسع الآف رقة الجم وصهيل الجبل وأصوات حوارتها تخص بها الامراض كما أنها تلح في طلب الساق ليطلق ذا العنان فتختفي ذلك السهل الواسع الارجاء وفيها الاdem والاشقر والجبل والجنب والمجيب والبعيوب والكمبيت وغير ذلك من أصناف الجبل

ثم مرّ باقي المرسان حتى تكامل عددهم وركعوا خيولهم وأصطفوا الى الجبل فلم تكن تسع الآف رقة الجم وصهيل الجبل وأصوات حوارتها تخص بها الامراض كما أنها تلح في طلب الساق ليطلق ذا العنان فتختفي ذلك السهل الواسع الارجاء وفيها الاdem والاشقر والجبل والجنب والمجيب والبعيوب والكمبيت وغير ذلك من أصناف الجبل

وهيَا كان الفرسان ينهيأون للسوق كان حلة وهن وتعلة يندالون في من عسى ان يكون الساق في ذلك اليوم فقال جبلة ما ظنكما ان يكون الساق من هؤلاء الفرسان اليوم فهو زبهن الدرع فلم يحب ثعلبة بشيء ولكنه اعبدل في مجلسه واحد يلاعب شاربيه ولسان حاله يقول اما هو الساق ولا أحد سواي وكان كثيراً ما يحرز فصب السوق في مثل هذا السوق ولكنه قلماً احرزه عن استيقاظ لان المتساقين اذا عرفوه وعرفوا منزلته من جملة تشاهدو في الجري معه فيستفهم ويظنه انه اما سق لممارته وسرعة فرسه . فلماً لم يحب ثعلة قال جبلة ما ظنك راكب ذلك الجحود المحجل اني اراه يكاد يطير عن ظهره وهو الذي مال الجائنة في السوق الماضي لتحقق قلب هد عذر ذكرى اما ثعلبة فهر رأسه مستهرئاً وقال هذا غلام غير يدعى الفروسية وهي براءة ولو لا الصدفة العبياء ما استطاع بيل تلك الجائنة ولو كت في مقام ملك الملائكة (بريد جبلة) وكان هذا السوق تحت رعايتي ما اذت مان يكون بين فرسائي غريب لا يعرف اصله ولا يمكينا ان ندخله فحيطنا على الملك وايتها جائسة لأنها لا يعرف مقام الملوك . فادركت هد ان كلام ثعلة صادر عن غيره لأنها لا يطبق ان يدح أحد في مجلسه

اما حلة فاتخذ كلامه . أخذ التوقيع ولكنه حلة تمحل الاجلال لما معه ما نه خبيه حد الشاب وقلة اخبارهم فاجاهه بطف « وما يمع ان يكون غريباً ويدخل علينا ونحن نو غسان يصرب المثل بمحسن وفادتنا وإكرامها لغريب » فتحجج ثعلة وسكت فاستأنف جلة الحديث قائلاً ولكنه مع ذلك استغرب امر هذا الشاب اسكناه بينما مسكن الارماء وكثيراً ما شاهدته وقد خرج المصيد وعنة حاشية كأنه من ابناء الامراء فمن اي القنائل يمكن ان يكون على اني اراه مبالغة في اخباره امن وقد سألت عنه بعض امرائنا غير من فلم ينتهي بشيء عن اصوله ولا يعلم أحد ما مقامه بينما ولكنه سمعتهم ينادونه حماداً

وظن ثعلة ذلك حجة الفوز في جداله فقال وهذا ما يحقنه في عيني يا عماء فامة لا يبعد ان يكون جاسوساً مرسلآ من ملوك الحيرة فهم ما يتكلوا بما وتوسا وبريدون ما شرراً وخصوصاً بعد أن نالم وبالفرس من حلات جودنا وجود الرؤوم هذين العامين

فأغضى جملة عن الجواب ثم جاءه مخبراً أن الخبول معدن فكيف يرى الملك أن يكون سافها . قال ينقسم الحبالة حماسات بساق كل خمسة منهم في شوط على حدة من سبق أفرد جاساً حتى لا يبقى أحد لم يجر في حلة الساق ثم يتتساقي الساقون جميعاً فمن احرز قصبة الساق منهم فهو صاحب الجائزة . فعاد المخبر وأبلغ الامراء الموطأ لهم أمر السباق وترتيبه فقسموا الحبالة خماسات فجرت أول خمسة منهم حتى توارت عن الظر لأن مجال الساق يزيد على الميلين فعاد واحد منهم بمحمل الفضة فتساوها رجل خفيف العضل . يدعى سعيد بن دلك فاسرع بها وغرسها مكأنها بإجازة الساق إلى جانب وهذا كل خمسة على حدة

أما هذه فكانت عيالها شائعين نحو حماد فلما جاء دوره تعنة بصرها حتى توارى ورفافة ولذت تتظاهر عودتهم فعادوا والقصة في قصتو فأفرد مع السابقين . فقال جملة لشعلة أرى الرجل قد سق فاجاب والحسد مل « صدره أبعد من يسوق هؤلاء الخمسة سابقاً بليل ليرى سفاقة مع السابعين . فالتفت هد وقالت برزامة وهدوئكم لا بهم سوى حماد أ ولم يسوق » وما يبع ان يكون ساماً لهم جميعاً كيف نحكم عليه ونحن لا نعلم شيئاً من ضعفه او قوته . « عم يسوق ما ان يكون الساق غريباً ولكن ما المحيلة اذا سق أقبل هذا العار على حي غسان »

فكان لكلام هذه وفع الشهاد على قلب ثعلبة وانقادت الغيبة في صدره فتبسم كأنه يستخف بقولها وقال « لا يكون له مسابق سوى ولا عالم إلا الروسية من هذا اليوم » قال ذلك وملامع الغدر وسوء النهد ظهرت على وجهه فخافت ان يكون قد يرى بالرجل سواه فلا يزيد دفاعها إلا شيئاً وحقداً فسكنت وعند الظهيرة او نحوها انقضت الاشواط الصغيرة فاجتمع عشرون سابقاً فامر جملة بالاستراحة لتناول الطعام وعلف الخيول

وكابوا قد أعدوا الاسطورة في صرح الغدير ودخلوا الذانج مجاءت الاخوة بحملها الرجال إلى الخيم على كل خوان منها جنات وفيها الألوان العربية والرومية وبعض الخمور

فأمر جملة ان يجلس النرسان السابقون معاً على خوان وكان خوانه من ذهب

خالص وجفناه من فضة <sup>(١)</sup> فخاوه وعهم حماد فلما وقع نظر تعلة عليه جعل يتأمله  
بعيني النقد وحماد لا يلتقط اليه مجدهما على الا سطنة حول الساطر <sup>أَعْنَا</sup> على ركبة واحدة  
واخذوا في الاكل واراد جلة أن يقف في خدمتهم على عادة كرام العرب مع ضيوفهم  
فاستخلقوه ان لا يفعل او يكتفى عن الطعام فاطاع وجلس معهم ولهم ابنته هند  
ولهم بسارة انت عملا ثعلة وبها اهتم الطعام وتناولوا الحلوي و بعض الحمر نلا  
بعض الشعراء قصيدة ذكر فيها كرم الغسانيين وحسن ضيافتهم فاطرق جلة خجلان  
لأنه يستكشف من ان يسمع مدحه ما ذكره فلما رأى الشعراء منه ذلك نهض أحدهم وقال  
مها بالغنا في مدح ملوك غسان لن يأتي شيء ما قاله فيهم حسان بن ثابت القائل

لله در عصابة نادمهم \* يوماً بخلق في الرمان الأول  
أولاد جمة عدد قر أئبهم \* فر ان ماري الكرم المفصل  
يحض الوجه كرية احسائهم \* شم الابوف من الطراز الأول  
يسقون من ورد البرص عليهم \* كأساً يصفع بالرحبيل السلسلي  
بغشون حتى ما تهر كلامهم \* لا يسألون عن السوابد المقليل

فأمر جلة حاجة فاعطى كل شاعر صرة فيها مائتا دينار وخمسة أقتصدة <sup>(٢)</sup>  
وكان الشمس قد دلت من الاصليل والحبيل استراحت واستراح فرسانها فنودي  
في الناس ان هيأ الى السباق وكان حديث القوم « من يا ترى سيداً قال قصب السباق  
من هؤلاء العشرين » وكان حماد أفهم كلاماً واكثرهم تنا - لا كأنت في نفس شيئاً  
يكنته وقضت هند ساعة الغداء وما بعدها تتأمل وجهه خلسة فآتت فيه جمالاً  
وكمالاً ورزامة وصعة وكان تعلة برافب حر كاهنها واطراتها وينظر الى حماد نظر  
الازدراء وكان حديثه فاصرأ على الاطماب بما فعله والله أو ما مرّ به هو من غرائب  
الواقع كقوله مثلاً انه ذهب لصيد فلقية أسد فلم يهرب منه مل همم عليه وضرره فقتله  
او ما شاكل ذلك من الاحاديث الماتفاق وكان الحصور يصنعون الى حد بيته وبومنون  
اقوله اجلالاً لفام والله واكثرهم لا يصدقونه وهو يسرد الحكاية وينظر الى هند  
بلتسم اعجبها او استغرابها وهي لا تكترث . أما حماد فلم يكن يعمر أكثرها

وَلَا اشْهَدَ لَهُ لَا هُوَ حَرَّا لَا يَحْمِقُ التَّلْفِيقُ  
 فَلَمَّا بُودَى فِي الْعُودِ إِلَى السَّاقِ حَرَّ الْمَرْسَانِ الْعَشْرَوْنَ فَقَالَ جَبَلَةُ أَرْى أَنْ  
 يَقْصُمُوا إِلَى أَرْبَعَةِ أَفْسَامٍ فَيَتَسَاقُوا كُلُّ خَمْسَةِ مِنْهُمْ فِي شَوْطٍ فَهُنْ سَقَ اَفْرَدُ ثُمَّ يَتَسَاقُ  
 السَّاقُونَ وَهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنْ سَقَ فَلَمَّا أَجْبَاهُنَّ فَتَسَاقُوا حَمَادٌ مِنْهُمْ  
 كُلُّ ذَلِكَ وَثَلَاثَةٌ لَمْ يُرَكِّبْ فَرِسَةً وَلَا زَلَ السَّاقِ أَمَّةً وَاسْتَكْدَارًا وَهُوَ بِرْجُوانٌ  
 لَا يَكُونُ حَمَادٌ مِنَ السَّاقِينَ وَلَمَّا رَأَهُمْ أَوْحَسَ خَيْرَهُ وَأَوْلَمَ أَمَّهُ سَيْسِقٌ مَا عَرَضَ  
 قَفْسَهُ لِسَاقَهُ وَلَكِنَّ كَنْ لَا يَرَالُ آمَلًا إِنْ بَسَّهُ مَسَاقَهُ وَيَسْعُوهُ مِنْ خَطْرِ الْفَشْلِ  
 ثُمَّ اصْطَافَ الْأَرْبَعَةَ بَارِئَ الْحَبْلِ وَوَقَفَ النَّاسُ عَلَى جَاهِ الْمِيدَانِ يَسْتَظْرُونَ  
 نَهَايَةَ هَذَا الشَّوْطِ فَاعْتَدَلَ الْمَرْسَانُ عَلَى صَهْوَاتِ اَفْرَاسِهِمْ وَوَقَفَ حَمَادٌ وَهَدَ وَثَلَاثَةُ  
 سَابِ الْخَيْرَةِ يَضْطَرُّونَ إِلَيْهِمْ وَقَلُوْبُهُمْ تَحْقِقُ فِي اِصْتَارِ عَاقِبَةِ ذَلِكَ السَّاقِ وَاطْلَاقُ  
 الْمَرْسَانِ أَعْدَةُ خَبُولِهِمْ وَالنَّاسُ يَسْعُوهُمْ اِصْتَارَهُمْ وَكَانَ جَوَادُ حَمَادٍ بَعْدَ خَرَاجَهُمْ فَسَرَّ  
 شَلَّةٌ بَنَاءً خَرَجَ ظَاهِمًا أَمَّهُ سَيْشَلُ وَلَكِنَّ هَذَا يَلْمِتُ إِنْ تَأْخِرَهُ لَمْ يَكُنْ أَلَا ضَرِبَّاً مِنْ  
 الْفَرْوَسِيَّةِ فَلَمَّا تَوَارَى عَنِ اِصْتَارِهِمْ وَقَنُوا بِتَفَلَّهِ وَنَرْجُونِهِمْ فَإِذَا حَمَادٌ قَدْ عَادَ وَحْمَلَ  
 الْفَصْصَةَ حَتَّى إِذَا دَاهَ مِنْ خَيْرَهُ حَلَّهُ سَلْمَهَا إِلَى هَذِهِ وَصَاحِبِ الْمَسَقِ صِحَّةُ التَّبَشِيرِ بِالْمَسَقِ  
 فَتَنَاهَلَتْ هَذِهِ الْفَصْصَةُ وَتَرَجَّلَ حَمَادٌ وَقَلَلَ حَوَادِهِ بَيْنِ عَيْبِهِ وَكَانَ عَدْ بَابِ الْخَيْرَةِ  
 رَجُلٌ بَحْمَلِ وَعَاءٌ فَيَوْمَ صَبَحَ اَحْمَرُ مِنْ دَمِ الصَّيْدِ لِيَحْصُبْ بِهِ صَدْرُ الْمَرْسَانِ اِشَارةً إِلَى  
 سَبِقَوْهُ<sup>(١)</sup> فَلَمَّا نَقْدَمْ لِيَصْغُنَهُ اَعْتَرَضَهُ تَعْلِيَةٌ وَقَالَ تَهْلِيلٌ إِنَّ السَّاقِ لَمْ يَتَمْ بَعْدَ فَعْجَبَ حَمَادٌ  
 وَظَهَرَتْ عَلَى وَجْهِهِ مَلَائِمُ الْاِسْتَعْرَابِ فَقَالَ جَلَّهُ قَدْ وَعَدَنَا إِنْ عَمَّا تَعْلِمَةَ إِنْ يَارَلُ  
 السَّاقِ فَلَمْ يَحْبَبْ حَمَادٌ لِلْعَادِ إِلَى صَهْوَةِ فَرِسَوْهُ وَوَقَفَ يَسْتَظْرُرُ تَعْلِمَةَ حَمَادِيَّهُ الْبَوْيُ بِفَرِسَوْهُ  
 وَكَانَ مِنْ اَحْسَنِ الْحَبْلِ عَلَيْهِ قَلَادَةٌ مِنَ الْذَّهَبِ الْحَالِصُ وَسَرَحٌ مَرْصَعٌ بِالْمَحْجَارَةِ الْكَرِيمَةِ  
 فَرَكَبَ وَهُوَ يَكَادُ يَقْبَزُ غَيْضَانًا وَكَانَتْ هَذِهِ فِي أَنْتَاهِ تَلَكَ الْمَرْعَةِ فَرَحْمَةُ بَوْرِ حَمَادٌ فَشَقَّ  
 عَلَيْهِمَا مَنَازِلَةً إِنْ عَمَّا لَهُ وَلَكِنَّهَا عَلِمَتْ هَذِهِ مَسْهَلَ الْمَاعِيَّ وَهِيَ تَرْدَادٌ لِعَجَابِهَا نَشَاهِدُ  
 مِنْ حَقْدِ شَلَّةٍ عَلَى حَمَادٍ وَلَيْسَ بِهَا مَا يَسْنَدُهُ ذَلِكَ وَلَكِنَّ كَبِيرَ النَّسْ لَا يَسْتَطِعُ  
 نَصُورَ هَذِهِ الْمَدَابِيَا . ثُمَّ أَمْرَ جَلَّهُ بِفُودِي فِي النَّاسِ إِنَّ السَّاقَ الْآمَنَ بَيْنَ حَمَادٍ وَالْأَمِيرِ  
 تَعْلِمَةَ الْحَارِثِ وَوَقَعُوا يَسْتَظْرُونَ نَهَايَةَ هَذَا الشَّوْطِ وَكَانَ دُخْنُ الدِّينِ فَازَ حَمَادٌ

عليهم بودون ان يكون ثعلبة السابق وبعضاهم يغدون السبق لحمد ليكون لهم اسوة  
بابن الحارث صاحب بصرى

فارس الفرسان في عرض ذلك السهل وقلب هند يخنق لعلمها ان فرس حماد قد  
تعمب وفرس ثعلبة لا يزال نشيطا فلم يمض القليل حتى عاد حماد وفي يد القصبة  
ووراءه ثعلبة قد ساق جواده الى الفسطاط واستدر عمه فاثلا انة لم يسبقني هو بل  
فرسها فانه من خيل المجن او هو من صلب دا حسن فرس قيس بن زهير ولو ركبته انا  
ما استطاع أحد سبقي فسمعة حماد يقول ذلك فنزل عن فرسه وقال له اليك فرسي  
فاركبها واعطني فرسك وكانت هند تنظر اليها مخافت ان تعود العائدة على حماد وقد  
شعرت ان حبه تكن من قلبه في تلك الساعات الفليلة ما لا يكاد يتأتي باعوام  
اما ثعلبة فقال ما فالله انخالا لعذر يغطي به خجله وهو لا يظن حمادا بعطيه فرسه  
فلما تخى له عمه لم ير مندوحة عن الركوب فركها ونزل الى ساحة السباق حتى توأرياعن  
الابصار فلبت الناس يتظرون عودتها وكان على روؤسهم الطير وكانت الشمس  
قد نالت نحو المغيب فارسلت بقية اشعنها الارجواية على تلك السهول وما وراءها  
من الجبال والاوادي وقد هدأت الطبيعة وسكن جاش النهار

فلما ابطأ الفارسان شاعت ابصار الناس نحو حلبة السباق وملأوا الانظار حتى  
هم ببعضهم بأن يلحق بها ليري سبب ذلك التأخير وكثير المهرج والدرج وكان أكثر  
الناس فلما هند فقد شاعت عيناهما وخافت غدر ثعلبة ثم ما ابانت ان شاهدت الغبار  
وابان من وراءه فارسانها حماد وثعلبة والقصبة في يد حماد فاصدقت ان رأته  
وقد كاد قابها يطير من الفرح أما ابواها فشق عليه ان يكون السابق رجلاً غريباً  
يفوز عليهم جميعاً ولكنه ترحب وفترجل المارسان ونزل الى الخيمة فاراد حماد ان  
يعذر عن ثعلبة فقال «والله اني لم اسبق الامير ثعلبة الا بقضاء وقدر لأنّه فارس  
ميرز يحقق لفسان الاختيار به ولو تعود ركوب فرسي قبل الآن لسبقني» فلم يجب ثعلبة  
ببنت شفة ثم ناول حماد القصبة الى هند فرأيتها قصيرة فتناملتها فاذا هي مقطوعة بصال  
براهما بري الفلم فارادت السؤال عن سبب ذلك فنظر حماد اليها نظره خفية كأنه  
يقول لها لا تفعلي فسكتت وفي نفسها ان تعرف سبب بريها .

ثم نقدم حامل الصبغ الاحمر فخضب به صدر فرس حماد وكان الظلام قد سدل

عليهم يودون ان يكون ثعلبة السابق وبعضهم يعنون السبق لحمد ليكون لهم اسوة  
بابن المحارث صاحب بصرى

فسار الفرسان في عرض ذلك السهل وقلب هند يخنق لعلها ان فرس حماد قد  
تعمب وفرس ثعلبة لا يزال نشيطاً فلم يمض التلول حتى غاد حماد وفي بد القصبة  
ووراءه ثعلبة قد ساق جواده الى النسطاط وابتذر عمه فاثلاً انه لم يسبقني هو بل  
فرسة فانه من خيل الجن او هو من صلب داحس فرس قيس بن زهير ولو ركبته انا  
ما استطاع أحد سبقي فسمعة حماد يقول ذلك فنزل عن فرسه وقال له اليك فرسي  
فاركبها واعطني فرسك وكانت هند تنظر اليها مخافت ان تعود العائنة على حماد وقد  
شعرت ان حبه تكن من قلتها في تلك الساعات القليلة ما لا يكاد يتأتي باعوام  
اما ثعلبة فقال ما فالة انخالاً لعذر بغضي به سجلة وهو لا يظن حماداً بعطيه فرسه  
فلما تحي له عمه لم ير متوجحة عن الركوب فركما ونزل الى ساحة السباق حتى توأر ياعن  
الابصار فلبت الناس يتظرون عودتها وكان على روؤسهم الطير وكانت الشمس  
قد نالت نحو المغيب فارسلت بقية اشعنها الارجواية على تلك السهول وما وراءها  
من الجبال والآودية وقد هدأت الطبيعة وسكن جاش النهار

فلما ابطأ الفارسان شاعت ابصار الناس نحو حلبة السباق وملأوا الانظار حتى  
هم بعضهم بأن يلحق بها ليرى سبب ذلك التأخير وكثير المرج والمدرج وكان أكثر  
الناس قلقاً هند فقد شاعت عيناهما وخافت غدر ثعلبة ثم ما لبثت ان شاهدت الغبار  
وابان من ورائه فارسانها حماد وثعلبة والقصبة في بد حماد فاصدق ان رأته  
وقد كاد قابها بطيئ من الفرح أما امواها فشق عليه ان يكون السابق رجلاً غريباً  
ينفز عليهم جميعاً ولكنه ترحب وفترجل الفارسان ونزل الى الخيمة فاراد حماد ان  
يعذر عن ثعلبة فقال «والله اني لم اسبق الامير ثعلبة الا بفضاء وقدر لا امة فارس  
مير زبحى لفسان الا فخار به ولو تعود ركوب فرسي قبل الآن لسجقني» فلم يجب ثعلبة  
ببنت شفة ثم ناول حماد القصبة الى هند فرأتها قصيرة فتناً ملتها فاذا هي مقطوعة بصال  
يراهما بري القلم فارادت السؤال عن سبب ذلك فنظر حماد اليها نظره خفية كأنه  
يقول لها لا تفعلي فسكتت وفي نفسها ان تعرف سبب بريها .

ثم نقدم حامل الصبغ الاحمر فخضب به صدر فرس حماد وكان الظلام قد سدل

ولكنني أعجب ل تستحق وقد فاتني أن أسأله عن اهتمامه على أنه سأرسل اليه وأسألة في  
فرصة أخرى

فقال ثعلبة لا بد من البحث عنه إنما يكون جاسوساً أو عيناً علينا من قبل الخبيثين  
ملوك الحبيرة وكأنني أرى في لهجته ما يدل على ذلك

قال جبلة ولكن ملك العراق قد خرج من أيدي الخبيثين لما علمت من مقتل  
النعمان بن المنذر و ولاده اباه من قبيلة طيء و زد على ذلك أن هذا الشاب  
لا يظهر في هيئة وشكلاً ما يدل على جاسوسيته فهو أقرب إلى أولاد الامراء منه إلى  
السوق فاذا كان من أهل الحبيرة فهو من أمرائهم لأن المحبة ظاهرة على وجهه فشقق  
ذلك المدح على ثعلبة فعمد إلى الروغان فقال وهل يوجد الناس بهظاهرهم فكم من  
رجل نظرة ملائكة فإذا خبرته ظهرت لك عيوبه فتجده من أسفل السوق فارى أن  
نحوه على الأفراح بحقيقة حاله فسرّاً فإذا كان من أهل الحبيرة أخرجناه إلى بلاده  
واذا كنت تنسك من اخراجه فوالذي يخرجه لاته مني بقرب بصرى  
قال سننظر في ذلك غداً فلا نحرم وسيلة نستريح بها وقضيا بقية تلك الايام  
بالاحاديث المتنوعة ثم ذهب كل منها إلى مناء في غرفة خاصة بالقصر

## الفصل الرابع

### ﴿هند في غرفتها﴾

أما هند فدخلت القصر فلاقتها والدتها وكانت شديدة الولع بها لانها رزقت  
أولاداً كثيرين لم تهنا منها فسبواها فقبلتها وضعدت بها إلى طابق علوى ودخلت  
بها الغرفة وامررت الخدم فاعدعوا لها الفراش ثم جاءتها الماشطة بشباب النوم فنزلعت  
حاجتها والبستها جلباً واسعاً من الحرير والناعم الشفاف ثم حللت خصلة شعرها وتزمنت  
ما في ضفائرها وعلى صدرها وفي اذنيها وعصبيها من الحلي واستخرجت خلاخلها وإعادت  
ها السرير وهو من خشب الارز في اجمل ما صنع الصانعون عليه الوسائل الحريرية  
الملوّنة غطاوها من ابدع انواع النسيج صنع الفلسطينية وكان في الغرفة مشعة فيها

بعض عشرة شمعة تفوح منها رائحة العنبر فقد كان من ضروب البذخ عندهم ان يزروا  
الشمع بشيء من الاطياب فإذا انبر تصاعدت عند احراقو رائحة الطيب وكان في  
جدران الغرفة صور جميلة اكثراها من رسوم الفدسيين صنع بيت المقدس كصورة  
ولاده المسيح وصلبوه وصعوده وكلها مبنية الصوير ملوأة بالوان طبيعية وفي بعض  
جدران الغرفة مرآة هي عبارة عن صفيحة مستديرة من الفضة مصنوعة صنلاً خصوصياً  
حتى صارت كالزجاج تعكس النور وتري الاشباح كمراة من الايام لان الناس  
لم يكونوا يعرفون المرأة الزجاجية بعد

فبعد ان است هند جلبابها وفت امام المرأة فاصلحت شعرها وثوبها وذهبت  
إلى السرير فجلست عليه وهي الى تلك الساعة لم تنبس ببنت شفة وكانت والدتها مذ  
دخلنا الغرفة جالسة على وسادة تتأمل بجمال ابنتها وقوامها وبها وعبئها العناية من  
الصحة والعقل وفي نفسها شيء لا تتظر فرصة لتبيح به وكانت هند اثناء تبدلها ثيابها  
غارقة في بحار الافكار تراجع ما مر بها في ذلك النهار من الغرائب وكما  
ذكرت حماداً وسبعة لشعلة وما اظهرن هذا من الحسد وما ادعاه من الفروسيّة وكيف  
انه عاد فشلاً ازدادت احتقاراً له ونفوراً منه وحباً لحماد ولكنها كانت مع ذلك  
شديدة الحرص على منزلة والدها وشرف قبيلتها وخافت ان يتطرق قلبها بمحاد ثم تجد  
انه من اصل دنيه فيجول ذلك دون ارضاء والدها وسائل اهلها فتفقع في الشفاعة  
وكان كلما نصّورت ذلك اشعر جسمها فتعلّق نفسها بان من كان في مثل هذه  
الشهامة وهذه الاخلاق مع ما يتجلى في وجهه من المحبة والوقار لا يمكن ان يكون دنيه  
الاصل ثم تعدد نعمها بكشف حقيقة حاله عند ما يلتقيان في دير بغيراء

وكانت والدتها ولها سعدى في الخامسة والاربعين من عمرها لا يزال المجال  
ظاهراً في وجهها فقد كانت من اجمل بنات غسان وكثيراً ما نغزل بها شعراً وهم  
ولما تزوجها جبلة حسنة كل اهل عشيرته عليها

ثم جلست هند الى السرير بجلبابها وقد ارخت شعرها وحسرت عن زندتها  
وكانا مستديرين ممتئتين مشرقيين يزبنها الوشم على اليدين منها صورة الصايب  
وعليه السيد المسيح مصلوباً وعلى البصار صورة مريم العذراء تحمل طفليها . ولو رأها  
حمد في تلك الحال لنطق بقول الشاعر

نالت على يدها مالم تنته بدي \* نقشًا على معصم اوهت بو جلدي  
 كأنه طرق غل في اناملها \* او روضة رصعها السحب بالبرد  
 خافت على يدها من نيل مقلتها \* فالبست زندها درعاً من الررد  
 فانكأت الى وسادة من ريش العام أهدتها ايها امرأة ولبي دمشق ولقت  
 رأسها على كفها التماً للراحة وقد ضيقها الجلوس معندة بين الرجال طول ذلك  
 النهار فلئت صامتة لا تتكلم واوكلارها نائمة فتذكرت الفضة التي سلمها اليها حماد عند سقوط  
 الاخير وكيف أنها مبرية مع ما لحظت على وجه نعلة من دلائل السوء والخذل فارتبت  
 في امن وودت السؤال عن سبب ذلك فنعمها حماد كما نقدم

ثم ابتدأت والدتها بالحديث قائلة لماذا لم تنزلي اليوم للسباق يا هند  
 قالت لم أر مسوغاً لأن الفرسان كانوا كثيرين وطال المجدال بين المتسابقين  
 حتى غابت الشمس فلم يبق وقت لركوبي  
 قالت وما الذي دعا الى هذا المجدال

قالت بعد ان تم السباق اراد ثعلبة مسابقة السابق فعاد فشلاً فزادنا خجلًا  
 فتبسمت سعدى تسمى خنياً وقالت رأيت الفرسان عديدين فمن نال قصبة السباق  
 منهم . قالت وقد ابرقت أسرتها رغمًا عنها نالة شاب غريب اسمه حماد لا يعرف  
 احد حسه فشق ذلك على والدي وإن عي اذ لا يليق ان يكون السباق في  
 حمانا وينوز بقصبة السباق غريب

قالت ومن ها الفارسان اللذان نسابقا آخر النهار

قالت هما ابن عي ثعلبة وحماد

قالت رأيتها عادا مرتين

قالت نسابقا اولاً فسبق حماد فانكر ثعلبة ذلك على نفسه ونسب السباق الى  
 الفرس فتفاازل له حماد عن فرسه وركب هو فرس ثعلبة وبالیننا بقينا على العار الاول  
 لأن ثعلبة عاد مخزوأ هذه المرة ايضاً وما استغربته ان حمادا جاء بالقصبة مبتورة  
 كأنها ضربت بسيف

فضحكت سعدى وقالت ألم يخبركم بسبب بريها . قالت لا وكانت عازمة على الجحث  
 عن سبب ذلك فرأيت حمادا لا يريد فكريقت

فقالت بورك فيك انه بالحقيقة شهم كريم الاخلاق ولا ريب عنديه في انه رفع  
النسب

فطربت هند لامتداع والدها حماداً وقالت ما معنى ذلك يا أماه هل تعلمين  
من أمر هذه النسبة شيئاً

فهمست في أذنها قائلة نعم اعلم يا هند ان تلك النسبة قد قطعت بسيف ابن  
عمك ثعلبة . فبغضت هند واشتفت الى معرفة تفصيل الخبر فاعتدلت على سريرها  
وقالت كيف وقع ذلك

قالت ان ابن عمك كان عازماً على الفتك بذلك الشاب ساعحة الله ووالله لو  
فعل ذلك لا يحسنا عاراً لا نحوه الا أيام  
فازدادت هند استغراماً وقالت لها وما ادركك بذلك يا أماه  
قانت رأيتها رأي العين

فقالت وكيف تيسر لك رؤيتها ونحن أقرب اليها منك ولم نرها  
قالت تملي لأقص عليك الواقع فاصفت هند بكل جوارحها فهمست سعدي الى  
الباب فاغلقته وجلست نقص الخبر وتحاذر ان يسمها احد فقالت : لما خرجتم جميعاً  
الى الخيام وخرج أكثر من في النصر اليكم نقيت اما وسليبة المؤلدة وبعض الخدم وكنا  
نرى المتسابقين يبدأون بالشووط ولكننا لا نرى آخر فخرجا وفي نفسي ان ارى حية  
السباق وكيف يقتلع المهاجر النسبة فامة مظري يفرح القلب اذ ليس أذلاً من النصر .

فخرجنا من بعض ابواب الحديقة الى البساتين المجاورة ومررتنا بضفة الغدير لا يراها  
أحد حتى وصلنا الى مكان تحت شجر اشرفنا منه على حلبة السباق ونعن على مرمى حجر  
منها نرى ولا نرى فلما كان السباق الاخبار شاهدت ابن عمك منا خرماً عن حماد لا  
يعجز فرسو لأننا رأينا الفرس يستحث فارسة ليطلق له العنان وهو يمسك كأنه خاف  
الوقوع عن ظهره ولو لا ذلك امكان هو السباق والسوق في الميدان للافراس اذا  
احسن فرسانها ركوبها واستطاعوا الثبات على ظهورها فخوف ثعلبة الوقوع عن فرس  
حماد اكثر عاراً عليه من تأخر عنه أما حماد فاطلق لفرسو العنان وكان يستقبل  
عرض الفلاة كما تستقبل الام رضيعها حتى وصل الى النسبة وفيما هو يقتلعها رأينا ثعلبة

ها جمّاً عليهِ وقد شهر سينهُ وهمَ يقتلوه فاستلقي حماد السيف بالقصبة فقطعت ثم رأينا حماداً اقتلع ثعلبة من صهوة جواده ورمي به الأرض وجناعي صدره فخفتنا ان يقتله ثم سمعنا ثعلبة يستجير بـو ويستعطفة فنهض عنه ونصافحـا ونعاـنا وعادـا . فـا أتـمـتـ سـعـدـىـ حـدـيـثـهـاـ حـتـىـ اـخـنـاجـ قـلـبـ هـنـدـ اـعـجـابـاـ بـشـاهـةـ حـمـادـ وـازـدادـتـ اـحـقـارـاـ لـثـعلـبـهـ وـقـالـتـ لـوـالـدـهـاـ اـهـنـاـ هوـ ثـعلـبـةـ بـنـ الـحـارـثـ اـيلـيقـ بـغـسـانـ انـ بـكـونـ اـبـنـ مـلـكـهـاـ خـسـيـساـ اـلـىـ هـذـاـ الـحـمـدـ اـيـلـيقـ وـاـنـ بـغـدـرـ شـابـ فيـ رـيـانـ الشـابـ وـلـاـ ذـنـبـ لـهـ اـلـآـةـ اـفـرـسـ مـنـهـ وـزـدـ عـلـىـ ذـلـكـ اـللـهـ نـزـيلـ فيـ بـلـادـهـ وـلـهـ عـلـيـهـ حـقـ الـجـوارـ فـرـأـتـ وـالـدـهـاـ فـيـ كـلـامـهـاـ حـقـاـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـشـأـ انـ تـمـكـنـ اـلـغـضـ فـيـ قـلـبـهـاـ وـحـسـبـتـ بـنـفـسـهـاـ اـلـفـ حـسـابـ مـنـ جـمـلـهـاـ اـنـ ثـعلـبـةـ اـرـفـعـ بـنـ غـسـانـ مـقـاماـ وـلـيـسـ اـفـرـبـ مـنـهـ لـلـزـوـاجـ بـهـنـدـ وـلـعـلـ جـبـلـةـ بـرـغـبـ فـيـ ذـلـكـ فـاـذـاـ نـفـرـتـ مـنـهـ كـانـ نـفـورـهـاـ سـبـبـاـ لـتـنـفـيـصـ عـيـشـ اـبـنـهـاـ فـقـالـتـ هـاـ لـاـ بـدـ لـنـاـ مـنـ تـأـنيـوـ وـلـوـ وـحـتـىـ بـرـجـعـ اـلـاـخـلـقـ بـهـ وـهـنـ كـانـ فـيـ مـقـاماـ وـنـسـبـ

- فـسـكـتـ هـنـدـ لـاـ عنـ اـفـتـنـاعـ وـلـكـنـهـاـ صـبـرـتـ نـفـسـهـاـ لـتـرـىـ مـاـ يـكـونـ مـنـ اـمـرـ حـمـادـ غـدـاـ وـهـيـ نـعـلـمـ انـ ذـهـابـهـاـ اـلـدـبـرـ قـدـ لاـ يـتـيسـرـ بـغـيرـ وـالـدـهـاـ فـلـاـ يـخـلـوـ اـنـ لـتـعـظـ اـمـرـ اـجـنـاعـهـاـ بـحـمـادـ فـاـذـاـ نـقـولـ هـاـ لـوـسـأـلـهـاـ عـهـ وـنـعـلـمـ اـيـضاـ اـنـ وـالـدـهـاـ حـادـةـ الـذـهـنـ سـرـيعـةـ اـخـاطـرـ دـقـيـقـةـ الـمـلاـحظـةـ فـتـكـرـتـ فـيـ الـامـرـ قـلـبـلـاـ فـرـأـتـ اـنـ لـاـ يـدـ هـاـ مـنـ اـسـطـلـاعـ وـالـدـهـاـ وـالـسـعـانـةـ بـهـاـ عـلـىـ نـيـلـ حـمـادـ وـقـدـ اـرـنـاحـتـ اـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ لـمـ عـاـيـنـتـ مـنـ اـنـصـافـ وـالـدـهـاـ وـاـمـتـدـاحـهـاـ شـهـامـتـهـ وـلـكـنـهـاـ وـدـتـ قـلـلـ كـلـ شـيـهـ اـنـ تـجـمـعـ بـهـ وـعـلـىـ اـنـفـرـادـ لـهـ طـلـعـ مـنـهـ عـلـىـ حـقـيـقـةـ حـالـهـ وـتـسـطـلـعـ اـفـكـارـهـ ثـمـ تـلـعـ وـالـدـهـاـ عـلـىـ الـامـرـ بـالـاسـلـوبـ الـذـيـ تـخـارـهـ

فـقـالـتـ هـاـ مـضـتـ عـلـيـ مـنـقـ طـوـيـلـةـ بـاـمـاـهـ وـقـدـ نـذـرـتـ نـذـرـاـ لـدـبـرـ بـحـيراـهـ لـمـ اـفـوـ بـعـدـ وـبـلـوحـ لـيـ اـنـ مـاـ رـأـيـاـهـ فـيـ هـذـاـ النـهـارـ مـنـ السـوـهـ اـنـاـ كـانـ لـنـاـ خـرـنـاـ عـنـ وـفـاءـ النـذـرـ قـالـتـ اـمـلـهـ ذـلـكـ فـاـنـ هـذـاـ لـدـبـرـ كـرـامـاتـ كـثـيرـةـ وـلـاـ صـبـرـهـ عـلـىـ تـأـجـيلـ النـذـورـ فـاـسـرـعـيـ فـيـ اـيـقـائـهـ . قـالـتـ اـرـىـ اـنـ اـذـهـبـ بـيـهـ غـدـاـ اـنـ شـاءـ اللـهـ قـالـتـ وـلـكـنـيـ لـاـ اـسـتـطـعـ الـذـهـابـ مـعـكـ فـيـ الـغـدـ لـاـنـ ذـاهـبـهـ مـعـ وـالـدـكـ اـلـىـ الـبـلـقـاءـ فـاـذـاـ اـجـلـتـ الـذـهـابـ اـلـىـ بـضـعـةـ اـيـامـ سـرـنـاـ مـعـاـ

فسرت هذه الحلة الذي جاء من اتفقاء نفسه فقالت لا أرأني قادر على  
النأجيل وأخشى أن يزيد غضب الله علينا وإننا لا أرى موجباً لذهابك مع فقد  
اذهب مع بعض الخدم متنكرة اقضى نهاراً هناك ثم أعود  
قالت أفعلي ما بدا لك ثم ذهب كل إلى فراشو أما هذه فلم يكدر بغض لها جنون  
وهي تذكر ما مرت بها بالامس وتنكر في ماذا تكلم حماداً إذا اجتمع به في الغد

## الفصل الخامس

### \*) حماد \*

أما حماد فإنه عاد من صرح الغدير تلك الليلة وهو يكاد يغادر باذياً ولا تشغله  
باله بعده وما برحت العاظتها ترن في أذني وهي قوله ( سلتي غداً في دير محيراً )  
ف لما خرج من الصرح لفته خادمة وكان ينتظرون والفرس بقرب الخيام فنزع الفرع  
عنه وجعلها في خرج على الفرس وركب وسار يطلب منزلة وكان مقيناً في قرية  
غير في مدينة بصرى وعلى ستة أميال يقال لها غسام<sup>(١)</sup> ولم يأت حماد الشام  
إلا منذ بضعة أشهر بحاجة لا أمر لا بعلمة إلا واحد . فاقام في منزله المشار إليه يقضي بعض  
نهاره في البيت وبعضه في الصيد فيصطحب رجالاً يظهرون على وعده وبعض الخدم فيخرجون  
المصيد في ضواحي البلقاء فيعودون وقد اصطادوا بعض الغزلان أو غيرها  
وكان قد تعود ركوب الخيل منذ صباح ومارس الفروسية وفرسه من أجدود خيول  
العرب . وكان قد سعى بعده وقرأ شعراً في وصفها قبل خروجه من بلاده فعلق بها  
عن بعد ثم دعاه والله أن يصحبه إلى الشام فعول في باطن سر على السعي في التفرق  
منها لابنة يظن نفسه دونها مقاماً . فأخذ منذ قدومه الشام يتربص إلى جهات  
صرح الغدير راكباً أو ماشياً يتعلل بالمرور هناك لعله بشاهدتها وكان يتزلل الغدير  
أحياناً فتراه ويراهما وهي لا تفقه لمراده وكلما سمع باحتفال عمومي جاءته هذه في  
الكتائب أو غيرها اپبرع اليه وسعى في استطافات انباهها فكانت إذا رأته ارتاحت

الى رؤيتها لحاله وهي بيته ورزاشه . فلما كان السباق الماضي حضوراً لأول من ظهر من الفروسية والشهامة وكرم الاخلاق ما زادها ارتياحه الى مشاهدته واتفق انها نزلت ذلك السباق هي بنفسها فخاططها وتبادل رموزاً لا غنى عنها في اول الحب فنزل من قلبهها متزلاً رفيعاً وصارت تشعر بشوق الى رؤيتها اذا غاب عنها على ان ميلها هذا لم يكن يتجاوز حد الارتياح ولا خطر ببالها امر الاقتران به على انها فهمت من اشاراته وحركاته وسائر احواله انه طامع بها ولكنها كانت تحمل الحب وسلطاته فلم يذق قلبه طعمه على انها آتست في حماد اخلاقاً واطواراً تتطيق على اخلاقها واطوارها من حيث التعلق والرزانة والميل الى الشهامة والحرية

فلما شاهدت ما شاهدته في السباق الاخير من شهامتها وحريتها نقرر في ذهنها انها خلقت وخلق لها وهذه اول من خطر ببالها امر الاقتران به وساعدها على ذلك ما آتست من ارتياح والدتها اليه وامتداحها شهامتها والثناه على مروءتها ولكن امراً واحداً كان يعترضها فيوقدنها عن عزمها وهو تسر حماد وكتنان اصله خافت ان لا يكون ذا حسب بضاهي حسيها او يقرب منه او ان يكون على مذهب غير مذهبها فان العرب كانوا اذ ذلك على مذاهب شتى وفيهم الصارى واليهود والوثنيون والمجوس وظهر في اثناء ذلك الاسلام لكنه لم يكن قد ادرك الشام بعد على ان الوثنية والمحوسية واليهودية كانت مقصورة في جزء العرب فكانت المحوسية في بني تميم واليهودية في نمير وخي كناة وكنت وغيرهم وكان كثيراً من اليهود في بئرباهيك عن خير الاوس والمخزرج الذين قدموا بئرب بعد سيل العرم وفيهم بنو فريطة والتضير وبنو قينقاع وماهم بالحقيقة من العرب بل هم حلاؤهم<sup>(١)</sup> وكانت عرب تلك المخربة يقدمون للتجارة فيكونون بتصري او في دمشق الشام او غيرها بضعة اسابيع او بضعة اشهر ويعودون<sup>(٢)</sup>

خفافت هند ان يكون حماد شيئاً او محوسياً فيمتنع الاقتران بينها فطلبت الاجتماع بو في الدبر لتغري ذلك كله

فلنعد الى حماد ليلة خروجه من القصر فانه ساق حواده زميلاً وخادمة بجري الى

جانبو وهو يرى ان يدرك منزلة قبل ان يلقى والد لغيبه لانه فارقة من غير ذلك  
اليوم ولم يعد يراه  
وبنها هو في ذلك سمع وقع اعدام جواد مسرع نحو وصوتاً ياديه ( حماد ) فقال  
نعم يا أبي العلقم خرجم للتفتيش عن  
قال كيف لا نخرج وقد ابطأنا علينا في العود وما قد مضى هزيع من الليل  
ونحن كما تعلم في ديار الغربة

فسكت حماد وسارا معًا على فرسهها حتى مرًا بساتين القرية بين اشجارها  
والناس نائم فوصلوا المنزل في اطراف تلك القرية فدخلوا وقد أتير غرفة بالصالح  
فأسرع حماد الى غرفته فجاؤه بالماء والثياب فغسل وجهه ويديه ورجليه  
وبدل ثيابه وإنكأ الى وسادة ووالد الى جانبو وأسمه عبد الله وهو امير من امراء  
العراق الخمسين ذوي اليسار وقد بلغ الخامسة والأربعين من عمره قضى معظمها في  
الاسفار والمحرووب في الشام ومصر والجهاز واليمن والعراق فحيكته التجارب وعلمه الايام  
ولكنه انقطع في ذلك العام الى حماد لقضاء مهمه جاء من اجلها الى بلاد الشام

ف لما جلسا قال عبد الله ما الذي أخرجيتك الى الان يا ولدي

قال ألم افل لك في مساء الامس اني ساشر في هذا الصباح الى صرح الفدربر  
قال بلي ولكن هل طال مقامكم في السباق الى الان وهل كان المتسابقون كثيرين  
قال نعم يا أبا ناه ان المسابق لم ينتو الى الغروب ثم احتفظوا بالباس الدرع للسباق  
اما المتسابقون فكانوا كثيرين وفيهم جماعة كبيرة من امراء غسان وفي مقدمتهم ثعلبة  
امن الحارث صاحب بصرى

فهال ومن هو السباق يا ترى

قال ولدك حماد

فقال لا شلت يبينك هكذا تكون الفروسية فقد سبقت امراء غسان وانت  
غيرهم فهل لبست الدرع وابن هي  
قال وقد نلت قصب السبق ولبست الدرع بعد جدال طويل ولكنني عاينت  
من كرم اخلاق جبلة ورجاله ما حق لنا ما سمعه عن حسن وفادة الفسائيين اما  
الدرع فهي في الخارج

فقال عبد الله وهل نزلت فتاة غسان السباق هذه المرة فقد أخبرني الملك الماھيہ  
وسيعى من كثیرین انها نحسن الفروسيه وكثيراً ما تنزل ميدان السباق  
لمسابقة الفرسان

ف لما ذكرت هند خنق قلب حماد وظهرت عليه ملاعع الوهنه ولبس برهة يذكر  
فأدرك عبد الله انه يذكر في امر هام

قال ما بالك لا تجيز يا ولدي

فانتبه حماد وخجل لما ظهر عليه فقال لم افهم مرادك

قال سألك عن هند بنت الملك جبلة هل زارت للسباق هذه المرة

قال لا يا ابناه لم تنزل ولكنها شهدت السباق وخمنته بالباس البرع للساجي .

قال ذلك وامارات السرور والهیام ظاهرة على وجهه

فلحظ عبد الله ان حماداً يحوم حول الشراك فاراد تحقق ذلك فقال له

وكيف رأيت فتاة غسان هل هي كما نسبع عنها من الجمال واللطاف

فأبرقت اسرع حماد وطبق يصف جمالها ولطافتها وصفاً يدل على تعظيمها فكان  
يتكلم وعيشه مشرقان وقلبة يخلق وكثيراً ما كانت تخونه الالفاظ في التعمير عن اوصالها

خاف عبد الله على حمادان يقع في الشراك فاطرق وظهرت عليه مظاهر الاحباط

والاسف معاً فاتم حماد كلامه وعبد الله مطرق كان امراً ذا بال اعترضة

فنظر حماد اليه وقد عجب لحاله وما طرأ عليه من التغير بعده ف قال له يا ولدك

يا ابناه اراك قد وقعت فيها انبئني عليه فهل ساءك من امری شيء

قال حاشا يا ولدي ولكنني اذكر في هذه الفتاة وما خصها الله به من المواهب

والجمال وكذلك تكون بنات ملوك

فسر حماد لاسخسان عبد الله لها ولكنها خاف النصرج بماكثر من ذلك لئلا يذكر  
عليه الامر بالحصول عليها وهي من بنات الملوك وهو لا يعرف عن نسوة الا امه من  
اولاد بعض الامراء

وكان عبد الله من الجهة الثانية راغباً في تحقیق ما اذا كانت هيد تحيط حماداً  
مثل حيوها فقال ارى هنداً قد وقعت من قلبك موقفاً عظيماً فهل هي عاشه بذلك  
وهل خطر حماد بما

فأثر هذا الكلام في قلبي تأثير السهام وعند اهانة له حتى كاد يصرخ بكل ما في  
قلبه ولكنه عاد إلى نعقاً وحكمته فقال لا اعلم منزلتي عندها ولكنني رأيت منها ميلاً  
وارتباطاً لي

قال يظهر ان قلبك خدعتك فاتخذت اطيفها الاعيادي الذي تظهر به لدى.  
سائر الناس دليلاً على حسي خصوصي لك

قال لا اظن قلبي يخونني او يخدعني فقد علمت من قرائين عديدة انها تحبني  
قال وكيف تحبك وانت غريب ولا نسب ولا نسبة بينك وبينها  
قال اعلم انها تحبني . . . وسكت

قال عبد الله افصح يا ولدي ولا تخفي عن شيفاً فانت تعلم انني منقطع عن العالم  
كلو من اجلك فاشيرج بالخطير بالك ولا تخف فان ما بسرتك بسروري

قال قلت لك انها تحبني

قال اذا انت طامع بها

قال لا ادرى وكل شيء بقضاء وقدر  
فتحقق عبد الله وفوع حماد في شرك الموى فبغت وصمت وجعل يتلاهي بتنفس  
عشونه وقد همة ذلك الامر كثيراً

فلما عاين حماد منه ذلك ظنة استعظم عليه الطمع بنت ملك غسان فقال له ما  
بالك لا شکم هل سائلك ما ظهر لك مني

فابتدره عبد الله قائلًا يا ولدي لم يسئني ذلك ولكنني افكر في امر عظيم  
يهمني كما بهمك وقد قطعنا الصماري والقفار من اجله واراك قد شغلت عنه بامر آخر

قال وما تعمق بذلك الامر العظيم وما الذي شغلني عنه لم افهم مرادك  
قال ألم تأت من العراق الى بصرى لتفى نذرًا نذرناه لك منذ ٢١ سنة ولم يبق  
من اجل انتظاره الا بضعة ايام

قال لي . . . قال ما بالي اراك قد شغلت عنه بالحب والغرام  
فحجل حماد عند مسامع ذلك التوبيخ من والده فقال وهل يوجد من كلامي انى  
مشتغل بالحب والغرام . . . قال عبدالله اونظن انى غافل او نحسب دلائل الحب تختفي  
على البصر

فغير حماد ولم يدر كيف يدفع قول ابيه ولكن رأى الافضل ان يروح له اذا لا  
غنى له عنده في اتمام قصته فقال وهم اني احبها واحبنتي فما علاقتك ذلك بالذر  
ونحن انا جئنا لنص شعر رأسي في دبر مجراء فما يمنع ان تفعل ذلك ولن نعمل  
 شيئاً آخر

قال عبد الله ان هناك علاقة كبيرة لا يمكن التصرّع عنها الا في اليوم الذي تنص  
شعرك فيه وسنعلم اذ ذاك اموراً انت غافل عنها الان فلا تلومني على ترددك في امر  
حبات ابنت ملك غسان . انا اعلم ان حبك لها شرف وخصوصاً اذا كانت هي  
تحبك ولكنني لا استطيع التصرّع بشيء الا في اليوم المعاين لوفاء الذر وهو يوم  
احد الشعانيين فنحن الان في اواسط الصوم الكبير ولم يرق الموعد الا بضعة ايام فتمن  
السنة الحادية والعشرون من ولادتك فتضى المك شعرك ونكشف حقيقة امرك  
فتدخل عاماً جديداً ونطلع على اسرار ربما كان فيها ما يجعل بينك وبين هند  
فتعجب حماد لذلك واشتاق الى محبي يوم الشعانيين شوقاً زائداً واخذ يفكّر في كلام  
عبد الله ولكن قال له وماذا عسى ان يجعل بيني وبينها

قال قلت لك اني لا اقدر على التصرّع باكثر من ذلك فأرجى ان تبصر  
ونهائي في الثانية سلامه

وكان في عزم حماد ان يطلع على ما تواعدنا عليه من الالتفاء في دبر مجراء فلما  
رأى منه هذا التهويل كتم امره وسكت ليرى ما يكون بعد اجتماعه بها ثم يكشف  
والله بكل شيء على انه حسب تهويل والد حيلة في ترغيبه عن

وكان قد مرّ نصف الليل وغلب النعيم والنعاس على حماد ولحظ عبد الله  
منه ذلك فقال هلّ بنا الى الفراش يا ولدي الى ان يتضي الله بها بشاء ولكنني اوصيك  
ان لا تقطع امراً او تصلة الا بعد يوم الشعانيين فانك اذا فعلت شيئاً بعد ذلك ابا  
يغسله عن بصيرة

فسار حماد الى فراشه وقد همه امر يوم الشعانيين حتى كاد ينسبه هنداً وموعدها  
ووَدَ ان يفعل ما امره ، والله ولكن عواطفه غلت عليه فبات ينظر صباع اللد  
انتظار الظاء للقاء فقضى معظم الليل ولم يغمض له جفن وهو يتردد بين حديث  
الشعانيين وحديث هند حتى كان آخر الليل فنام قليلاً

## الفصل السادس

## \* \* مدينة بصرى \*

وأصبح - عاد في الفجر فهرول الى ثيابه فلبسها وعبد الله لا يزال يائماً فارداً ان ينفظه ليسه أذنه في الذهاب الى بصرى على سبيل التفرج فخاف ان يطلب الذهاب معه فرُؤُل على الذهاب بنفسه خفية

فركب جواده وقد اليس الكوفية والعقال وجعل عليه القباء كالعباء وسار شرقاً فاصداً مدينة بصرى ولم يصطحب احداً من الخدم اخناه لما سار من اجله وكانت الطريق بين غسام وبصرى على استفادة واحدة كأنها هدمت بالمسطنة والنادن والبركار منه باحتجارة الصلدة على نظام سائر طرق الرومان وقد تأكّلت الحجارة من مسيرة عجلات مرکباتهم <sup>(١)</sup> بجدهما من الجانين حانطان ضخمان ارتفاع كل منها ذراعاً ولم يسر ساعة حتى اطل على بصرى ولأول ما شاهد منها حوضها الكبير الغربي الواقع خارج السور وهو عبارة عن خزان المياه كبير طولة ١٣٥٠ قدماً وعرضه ٦٥٠ قدماً وكان بصرى احواض اخرى في الشرق والشمال لخزن الماء خوفاً من الجدب بعدها عن الا بهرو والدران <sup>(٢)</sup>

فلما دنا من ذلك المخصوص عرج نحوه وتأمل انساعه حتى كاد يحس به مجردة كجونة لانه كان على معظم امتداده في موائل الربيع ثم تنوّل عليه الى مرتفع من الارض ليمرى بصرى منه وهو لم يدخلها بعد ولكنها قرأ عنها في كتب الفرس والكلدان وعرف أنها واقعة في جنوبى حوران شرقى نهر الاردن تبعد ٩٠ كيلومترآ عن دمشق جنوباً شرقياً و ١٢٠ كيلومترآ من بيت المقدس شمالاً شرقياً وإنها قد هي العهد عاصرت دول اليهود ثم اليونان والرومانيين <sup>(٣)</sup> فلما دنا منها صعد الى مرتفع فاشرف عليها وقد اشرقت الشمس فاذا هي مربعة الشكل نقربياً مائة بقعة كبيرة من الارض المسطنة وحوّلها سور يزيد محيطة على اربعة امبار وشامد خارج السور البيسانين والأشجار والكرم وسائر

(١) جون مري وغيره (٢) ميريل (٣) الانسيكاو يذية البريشانية

اصناف الفرس ورأى من وراء ذلك سلاسل جبال حوران في عرض الافق وقد أُعجب به منظر المياه في الاحواض حول المدينة تلألأً بانكسارات الاشعة عنها يشاهد في المدينة بنايات هائلة كان منظرها بوجه الاجمال مغبراً لان حجرها من الصف الحوراني الاسم المشهور فاشتافت نفسه الى مشاهدة اسواقها فسار نحوها الغربي فرأى عنده الفوافل وفيها الجمال والبغال والمحمر بعضها فادم من العراق يجعل الاقيمة الفارسية وبعضاها من اليمن تحمل الاطياب والمرى للبيان وشاهد قوافل اخرى تحمل البضائع الرومانية وسائر صنوعات الشام <sup>(١)</sup> وتأمل الباب فاذا هو مرتفع هائل الكبير مصنوع على النط الروماني وفيه العصائد والاعنة والنقوش على عيوبه من الاعلي نقش باللغة اللاتينية لم يستطع فرائنه فهم بالدخول من ذلك الباب فرأى الشارع مرصفاً بالحجارة والناس يتزاحمون ذهاباً وإياباً فنصل الترجل والمسير ماشيماً فدخل وقاد الحواد وراءه في شارع المدينة الاكبير وهو يقظهما من الغرب الى الشرق ويقطعه شارع آخر مثلاً من الشمال الى الجنوب وما اكبر شارع المدينة ومنها تنفرغ الشوارع الصغيرة والدروب والازقة والمجارات على زوايا فائقة فتعجب لانتظام تلك الشوارع وحسن هندامها لانه لم يشاهد على نظامها ولا في المداين عاصمة الفرس في ذلك العهد

ولم يكُن يخطو في ذلك الشارع بضع خطوات حتى ترأى له عن بعد قنطرة  
فأيّة في عرض الطريق فعلم إيمانها فوس نصر اعناد الرومانيون بناءها تذكراً للنصر  
أولاً حنفال يحق به التغفرة دنا من القنطرة رآها مؤلفة من ثلاث أقواس قوس متوسطة  
كبيرة وقوسين جانبيين صغيرتين وعلو القنطرة أربعون قدماً وعرضها أربعون  
وستة كثها عشرون وكلها مبنية باسحجار ضخمة قائمة على عصائد مهدمة وفي أعلى الفوس  
كتابة باللاتينية نشوق حماد إلى استطلاع معناها (١) فالنفت إلى أحد أصحاب  
المحاجنة وقد عرف من شكل آنتو أنه روماني وكلمة باللغة الكلدانية المزروجة  
بالعبرانية فاشار إلى رجل جالس بالقرب منه كأنه يطلب إليه أن يترجم له فجاءه فسالة  
حمد عن تلك الكتابة فقال معناها إن بوليوس بوليانوس قائد الفرقا الأولى البريطانية  
بنها (٢) فاعجب بيذبح الرومان وإنهم أقرب إلى العظمة والشرف من ملوك فارس  
وقال في نفسه اذا كانت هذه حاملة لهم في دور الانحطاط فما هو مقدار عظمتهم وبندرهم

(۱) بورکارت (۶) مریل (۳) موجیه

في ابن مقدم فمر من تحت تلك القوس وسار في جهة واحدة فوصل إلى مزدح من الناس عظيم فإذا هو في متصالب الطرق حيث يلتقي الشارعان الكبيران وهناك الحوانيت الكبيرة وباعة الأقمشة الثمينة ولكنه رأى على أحد أركان ذلك المتصالب بناء شاهقاً ذا أروقة ونوافذ وأعمدة ونقوش بدبوة فسأل عنه فقيل له إنه هيكل بناء الرومان لعبادة الآوثان قبيل تصر قياصتهم لما آلن فقد اتخذوا بعضه معدداً والبعض الآخر يسكة كبار حامية الروم في بصرى<sup>(١)</sup> ووقف في ذلك المكان ونظرت إلى ما حوله فإذا هو في منتصف المدينة ومن هناك تند أربعة شوارع كبيرة تنتهي عند السور باربعة أبواب غربي وشرقي وشمالي وجنوبي ثم تحوّل إلى الشوارع الأخرى ليتجهها ثم يخرج من الباب الشرقي ومنه يصل إلى الدير فشاهد بين أبنية بصرى قصوراً شاهقة معظمها من الكنائس وبعضها من المياكل الوثنية بنيت على عهد الروم قبل تصرهم وفي جملتها مرسخ بدبوغ كانوا يلعبون فيه العاب السباق والمصارعة وشاهد على تلك الأبنية كتابة بعضها نقوش وبعضها أصبغة وأكثرها مكتوب باللغة اليونانية واللاتينية وبعضها باللغة النبطية

واخذ يتأمل ما هناك من الرساتيق والأسواق وفيها الغار وأكثراً من الغرّباء وبينهم الدمشقي والحمجي والبدوي والروماني والفارسي والعراقي ثم وصل سوق الصناع فوجداً أكثر المصاغة بين الفرس والثوم وصناعة الأقمشة الحريرية من الدمشقيين ومرة بسوق الأسلحة وفيها صناع السيوف الدمشقية الشهيرة وأكثراً من أهل دمشق لاحظ أن أبنية بصرى على اختلاف إشكالها مسقوفة بالحجر عقداً على شكل القبو ورأى الناس يتزاحم في الأسواق رجالاً ونساء وفيهم الوطّيون ولغتهم الآرامية أو النبطية وبينهم الروم ولغتهم اللاتينية وبعضهم يتكلّم اليونانية وشاهد جماعة كبيرة من العرب الغساسنة لا يزالون على بدؤتهم لأنهم يقيمون خارج المدينة ولا يدخلونها إلا حاجة فعرفهم من لباسهم البدوي وأعجب لما رأه هناك حتى كاد ينسى موعده مع هند ثم اتبه فإذا بالشمس قد كادت تبلغ الضحى فهرول حتى خرج من الباب الشرقي فاقصد الدير وقد عادت إليه هاجسة وشوابغة



الفصل السابع

دیر بجیراء

فرىكب جواده وما سار قليلاً حتى وصل الى مرتفع اشرف منه على بناء كبير  
شاهد عن بعد وحولة الاشجار والبساتين <sup>(١)</sup> وشاهد رجلاً على حمار يظهر من لباسه  
ان اهل بصرى فسأله عن ذلك البناء فقال هو دير بجيراه يا سيدى  
فلاق جواده حتى دنا من الدبر وهو يخاف ان تكون هنـد قد سبقته اليـو على انه  
يعلم ان المسافة بين الدبر وقصر الفدى لا يتيسـر قطـعها باـفل من اربع ساعات فلا  
يتيسـر لها المجيـه قبل الظـهر فاـخذ يـتأمـل الدـبر فـاذا هـو بـناـءـاـن اـحـدـهـاـ كـبـيرـاـ وـفـيـهـ  
قـةـ فوقـهـاـ صـلـيبـاـ عـلـىـهـاـ كـنـيـسـةـ وـالـآخـرـ صـوـمـعـةـ عـلـىـ رـاـيـةـ فـتـرـجـلـ وـشـدـ جـوـادـهـ الىـ شـجـنـ  
ولـوـ تـرـكـهـ مـطـلـقاـ ماـ خـافـ فـرـارـهـ لـانـهـ اـصـيلـ وـمـشـيـ نـحـوـ الـكـنـيـسـةـ فـاـذاـ هـيـ مـبـنـيـةـ عـلـىـ النـطـ  
الـرـوـمـانـيـ وـاسـمـهـاـ كـنـيـسـةـ بـجـيرـاهـ فـدـخـلـ صـحـنـهـ حـتـىـ جـاءـ الـبيـعـةـ فـرـأـيـ المـكـانـ دـبـرـاـ وـفـيـهـ  
كـنـيـسـةـ وـشـاهـدـ الرـهـبـانـ وـقـسـسـ وـكـلـمـهـ منـ الرـوـمـ بـتـكـلـمـونـ الـلـغـةـ الـلـاتـيـنـيـةـ وـبعـضـهـمـ  
يـتـكـلـمـ الـلـغـةـ السـرـيـانـيـةـ الـمـزـوـجـةـ بـالـعـرـبـانـيـةـ وـهـيـ لـغـةـ اـهـلـ تـلـكـ الـبـلـادـ بـعـدـ السـيـ وـشـاهـدـ  
بعـضـاـ آخـرـ يـتـكـلـمـ لـغـاتـ آخـرـ فـسـأـلـ عـنـ سـبـبـ هـذـاـ الـاـخـنـلاـطـ فـقـالـ لـهـ بـعـضـهـمـ اـنـ  
مـدـيـنـةـ بـصـرـىـ مـرـكـزـ اـسـقـفـيـةـ بـلـادـ الـعـرـبـ الـكـبـرـىـ وـفـيـهـ يـقـيمـ رـئـيـسـ اـسـقـفـةـ وـمـنـهـ يـرـسلـ  
اـسـقـفـةـ الـىـ مـاـ نـخـنـهـاـ مـنـ اـسـقـفـيـاتـ <sup>(٢)</sup> فـدـخـلـ الـبـيـعـةـ فـزارـ هـيـكـلـهـاـ وـقـبـلـ صـورـهـاـ ثـمـ  
سـأـلـ عـنـ دـبـرـ بـجـيرـاهـ فـقـيلـ لـهـ هـوـ صـوـمـعـةـ بـالـقـرـبـ مـنـ هـذـاـ الدـبـرـ

فصار اليه فإذا هو على رايته ولكنه عجب لنوع بنائه ولم يك بصدق انه بيت لامة عبارة عن خمسة أحجار ضخمة اربعة منها للجدران وواحد للسقف والباب حجر واحد مرتكز على مصراع ورأى الناس بالغونه وبغلوته بكل سهولة<sup>(٢)</sup> فسأل رجالاً وإنما إلى جانبه يظهر من هيأته ولباسه انه من أهل دمشق فقال له ما هذا البناء وكيف يصنعون الأبواب من الحجارة فأجابه ان هذا الغط من البناء كثير في بلاد حوران لأن أرضهم صخر<sup>(٣)</sup> وللأخشاب فيها قليلة فيصنعون مصاريع ابطالهم ونواخذ بيومهم

(١) السيرة الخلقية (٢) انسيكلوبيذية الآثار الدينية (٣) دائرة المعارف

من المخبر وقد يبنون متزلاً كثیر الغرف وفيه النواخذة والابواب والاروقة والسقوف  
ولا يدخلون في بناء شيئاً من الخشب فقط<sup>(١)</sup>

فوقف هناك بنظر الى ذلك البناء الغريب ولم يك يعرف الباب او لم يبر الماس  
يخرجون منه فقصد الى الصومعة حتى وقف عند بابها فاذا هي غرفة مظلمة أشبة شيء  
بالمخارة خلواها من النواخذة الا نافذة ضيقة في بعض جوايمها فدخل فرأى ارض الغرفة  
حجراً واحداً اياضاً وفي جدرانها صوراً امام كل صورة مصاح ضعيف النور وفي بعض  
جوانب المكان راهب هرم قد أرسل لحيته على صدره وتحمّد جلد وجهه الا انه فات  
ما زال بارزاً كبيراً وقد تناول بين سبعه طوباه وجلس الاربعاء على حجر محوت  
كمفعد ملتفاً بشوبيه الرهباني والسبعين في يده الناس يدخلون ابو يتبركون بتفصيل  
كتبه وهو يحرك شفتيه كأنه يدعوه فعن زاره سار الى الدبر لزيارة الكنيسة وبحوار  
الكنيسة غرف لمن اراد الاستراحة او الاقامة

فناثر حماد لنظر ذلك الراهب الهرم اذ تملأ له فيه مظاهر الشيخوخة واضمحة  
وضوحاً ناماً ولكنها لاحظ امراً واحداً استلعت انظاره وذاك انه رأى لباس هذا  
الراهب كلباس رهبان النساطرة في العراق وكان قد شاهد كثيرين منهم هناك فتقدّم  
نحوه وقبل بيده فنظر ابو الراهب وتأمله كأنه عرفة وامر بالجلوس فجلس وهو  
أكثر رغبة منه في مجالسته لامة ودَّ كثيراً ان يعرف قصة ذلك البناء وكان حماد قد نعلم  
كل علوم تلك الايام في مدرسة الرها الشهيره بالعراق فتنشق عقنه وصار محباً للاطلاع  
فلما رأى في ذلك الراهب ارتياحاً الى مجالسته سرّ سروراً عظيماً وترفع حالاً فقال  
له الراهب . العلك من عرب العرمق يا ولدي

فتعجب حماد لسؤاله فقال نعم يا سيدى وكيف عرفت ذلك قال عرفته من ملائحة  
وجهك لاني عاشرت عرب العراق زمناً . وهل انت مقيم هنا ام جئت مسافراً  
قال جئت لآفي نذرًا عليَّ لهذا الدبر  
قال وما هو ندرك

قال نذرني والدي ان لا يقص شعرى اولاً الا في هذا الدبر وانه لا يقص الا بعد  
مضي السنة الحادية والعشرين من عمري وسيكون ذلك في احد الشعائين القادم

فجئت اليوم لنيل البركة والنفع ؛ ظررن المومعة اذ كثيراً ما حدثنا اهل بصرى  
عن الراهن بحيراء . ألمك انت هو يا م بدی  
قال لا يا ولدي ان الذي نطلبة قد قتله بعض الاشرار غليلة  
قال كيف قتلوا وماذا فاني كثير الميل الى استطلاع خبره . وقد اراد حماد  
الاشغال الحديث لقضية الوقت ربنا تأني هدلان الانظار صعب

### الفصل الثامن

#### ﴿ الراهب بحيراء ﴾

فتبعد الشج تهدأ عيناً وحملق عينيه وقد نسي شيخوخته وكان شابه عاد البد  
واخذ يشطر لحيته باصبعه وقال اما بحيراء فهو من علم الله على بي الانسان ولا اظن  
الارض تجود بعد بثلو اما حكائمه فقد وقعت على خير فاعلم ان اسمه الحسين ليس  
بحيراء بل يوحنا<sup>(١)</sup> اما بحيراء فهو لحظ كلداني معناته العاليم المدقق او الحقائق لقبه  
به اطول باعه في سائر العلوم<sup>(٢)</sup>  
وقال حماد وهل عرفتكم معرفة شخصية قال اني اجد تلامذة وقد تلذذ  
له كثيرون غيري من جملتهم سلمان الفارسي<sup>(٣)</sup> اما انا فقد رافقته من اول  
ظهوره الى اخر أيامه  
فازداد حماد ميلاً الى معرفة حقيقة بحيراء فقال وما هي حكائمه فقد شوقيني  
الى معرفتها  
فقال اعلم يا ولدي ان المرحوم بحيراء كان راهباً نسطوريآ على مذهب  
آريوس وسطوري ولا اظنك تجهل هذا المذهب وان يكن اتباعه تلياون الحالفون  
مذهب القياصرة  
قال حماد نعم اعرف كل شيء عنه وقد اطلعت على دفائفه في المدرسة على  
احسن عارفيه

(١) اسحق الكندي (٢) الدائرة (٣) مذهب تلميذه بحيراء

فقال الراهن فلا حاجة بنا الى شرحوا اذا فانت تعلم ان ائس هذا المذهب انكار الوهية السيد المسجع وان نسيته اما غير جائزة وانهم اخالوا له اسماء فقالوا بحسب ان يسي كلمة الله وان والدته مريم بحسب ان تدعى مظاهر الناسوت لا والله <sup>(١)</sup> فلما اك  
اني تلميذ بحيرا واعترف لك اني تلميذ في كل شيء ما خلا هذا المذهب فقد قضيت  
اكثر ايام صحيتي له ولانا في جداول دائم معلم يقنع احدنا الآخراما في العلوم الاخرى  
فله على النضل الاكبر فقد اخذت عنه علم الملك والحساب وعلم الطوالع وسائر علوم  
هذه الايام وكان لفراسته وحسن نظره يظهرا الناس ساحرا . وكان يقيم او لا بدبر  
في ما بين التبرين بالعراق وكانت اختلف ابو هناك انتقى بعض العلوم ولم اكن  
اعرف ما يذهب ابو . فلما اطلع رئيس الدبیر على انخاله الاربوبية غضب عليه  
ولخرجه من الدبیر فسار قاصدا دبر طور سينا في العقبة على حدود مصر فسرت انا  
معه للاتصال بعلوه وجهاً في خير لعلي اقنعته ولارده الى مذهب الكنيسة فرحب به  
رهبان طور سينا واعجبوا بعلوه وفضلوا فاقاما هناك منه ثم ورد كتاب من دين  
الاول الى رئيس دبر طور سينا ان يخرجه من دين فامر بذلك او يتحول عن  
مذهب فخرج وخرجت انا معه . واتبعنا هذا الدبیر واقمنا في هذه الصومعة معه الى اند غير  
بعيد فانه ذهب الى مكان في جزيرة العرب لم يسمو ولم اعد اراه من ذلك الحين ثم  
علمت ان بعض اليهود قتلوا غيلة <sup>(٢)</sup>

فقال حماد الا نعلم اسم المكان الذي ذهب ابو

قال كلاماً ولكنني ظننته سار الى الحجاز لحادته جرت به على مشهد مني منذ

نوف واربعين سنة

قال حماد وما هي

قال جرت عادة القوافل القادمة من بلاد العرب او غيرها ان تلف ها  
الاستراحة من حر الصحراء والاسنة اعفيجاس بحيرا . بينهم وخصوصاً اذا كانوا من الوثنيين  
او المجوس وقد اجلس انا معه ايضاً فيأخذ في تعليمهم عبادة الله ولا يربدهم الا  
خيراً . وكان يعتقدان الله ظهره في الرؤيا وانبأه انه سيكونوا باسطة لهذا يبني اسماعيل  
سكن بعربيه العرب لأن مؤلاء العرب كانوا بعدون الكواكب او الاوثان الاجماعة

(١) دائرة المعارف (٢) مذهب تلميذ بحيرا

منهم كانوا نصارى أو يهوداً وجماعة أخرى كانت تقر بالخالق وتصدق بالبعث والنشور والثواب والعقاب وفئة قليلة كانت تقر بالخالق وتتكرّبُ البعث<sup>(١)</sup> فكان يعبرها ينكر ليلاً ونهاراً في مصير تلك المجزرة في هنالك فرأى من رؤيا قصها علينا قال «رأيت فتى جميل المنظر شهداً مولداً برج الثور والزهرة مع قران المشتري وزحل علمت أنه هو الذي سيمهدي أبناء جلدتو بيبي اسماعيل إلى معرفة الله وإن بي يغوي أمرهم ويشتد ازرهم وتحجج كل منهم في ذلك اللون أبناء عمهم بيبي إسحاق وبني سلطان عليهم منه توافق ما أشار إليه دايمال في نموذجه وأنه يخرج من العرب أثنتا عشرة دولة»<sup>(٢)</sup> فاتفق منذ بيفوار بعين سنة اي في نحو سنة ٤٨٠ بصرى وبه<sup>(٣)</sup> أن قافلة من قوافل المحاجز وصلت هذه الساحة وفيها جماعة كبيرة من عرب قريش الذين يقيمون في مكة وعندتهم مقام شهير بأمة الناس من سائر أathsاء جزء العرب وغيرها يسمى الكعبة وعرب قريش هؤلاء كانوا يحجّون الكعبة ولم نسب وشرف يصل إلى اسماعيل فنزلت النافلة تحت تلك الشجرة الكبيرة التي تراها شرقى هذه الصومعة فظللتهم جميعاً<sup>(٤)</sup> وعبلوا جمامهم ورطاطوا حبرهم وأزالوا الأحمال النهاساً للراحة ثم قدموا للاستئام فخرج يعبرها لخطيبهم وتعليمهم فشاهد بينهم غلاماً جميلاً تلوح عليه ملامع المهابة والتجاهة والذكاء فعما رأاه بعث وانتفقت فقال لي انظر إلى هذا الغلام فإنه مولود في البرج الذي قلت لكم عنه وهو الذي سيمهدي بيبي اسماعيل ثم سأله كبار التجار عنه فتقدّم رجل كهل نجلي في وجهه دلائل الجلال والوقار فخطّطه بشأنه فقال من يكون هذا الغلام فقال هو ابن أخي فأنا نباه بجيشه واستقبله وقال له احذر عليه من اليهود فانهم اذا عرفوه كادوا له كيداً<sup>(٥)</sup> وسألته عن اسمه فقال اسمه محمد راسم عم أبو طالب . وإقام أولئك الركب عندنا منه وقد آتتني بجيشه أكرااماً لهم وترحاباً بهم لم أعهد به مع غيرهم ثم ساروا إلى بصرى فالشام وعادوا بعد ذلك إلى مكة ثم كانوا كلما مررت بهما اقاموا عندنا كالعادة

(١) المسعودي (٢) دائرة المعارف (٣) انتاريخ البصري بيتدى سنة ١٠٥ بعد الميلاد وهي السنة التي اخذت الرومان بصرى عاصمة لولاية حوران ودعوها تروجاناً الجديدة وهو نارين شهر كثروا يورخون منه فيقولون ان البناء الفلافي بيبي سنة ٤٢٠ بصرى وبه مثلاً ويريدون انه بيبي سنة ٤٢٠ بعد صيرورة بصرى عاصمة (٤) ابن هشام (٥) السيرة الحلبية

فقال حماد ومل صحت رواة بحيرا

قال نعم لأن ذلك الغلام القربي أصبح سيناً كبيراً نسي ديانة الإسلام وقد انتشرت سطونته في كل جزء العرب ويسيّر أنواع المسلمين وبمحضها التجار الفادمون من أنجاز عن أعماله وحرموا وأنصاره ما ينفع طور النصدق فسكن جزء العرب بعد أن كانوا قبائل متسللة يغزو بعضها بعضاً اندلعت كثافتها وفاليًا تحت لها نو ولا يبعد أن يحمل بهم على الشام وال العراق

فقال حماد لاظني سمعت شيئاً عن هذا النبي يوم كُتُب في العراق فما رأيك اذا حمل على الشام وال العراق

فبهرت الشيخ وفكّر برهة ثم اغرى ورفقت عيناه بالدموع وقال آه يا ولدي لا أظنه إلا يستولي عليها جميعاً لما نعلمه من اختلال الاحوال فان قيصر الروم لم يكن يتم حربه مع الفرس ومن قلاعنا وحصوننا لا تزال متهدمة وحكامنا في شاغل عن ترميمها بالانقسامات الدينية التي هي أصل هذه الشفاعة ألا ترى بطاركتنا في جدال دائم على أمور ما أزيل الله بها من سلطان فبطريرك الاسكندرية يقاوم بطريرك القدس طنطعينية وبخالقها بطريرك نطاكيه وقد كانت ديانتنا واحدة لأن السيد المسيح واحد علم تعليماً واحداً فأباً بت مطاعم بني الإنسان الآل الانقسام فتعددت الفرق المسيحية واشهرها ثلاثة الآن وهي (١) الملائكة القائلون مركيابوس الملك على عهد الشفاق الواقع بين نسطور بوس وكيرلس وهم الروم (٢) اليعقوبية القائلون بمقالة كيرلس الاسكندراني وبعقوب البردعاني وساورس صاحب كرسى انطاكيه (٣) النسطورية الثالثون يقول نسطور بوس (١) وترى الشعوب منقسمة ايضاً مثل هذه الانقسام حتى تكون العداة بينها حانا الله من عواقب الفرور

وما أتم الراهن الشيخ كلامه حتى انهكه التعب لما أثر فيه من حال الروم وما خافه عليهم من سطوة العرب فتملل وتنفس الصعداء وتزحزح من مكانه كما أنه يطلب الانكماه فنهض حماد وقد علم اموراً لم يكن عالماً بها قبلأً ومال ميلاً كبيراً الى معرفة التفصيل ولكنه خاف التفصيل على الشيخ بعد ما آتى من تعجب وملل وشغل عن ذلك

باستبطاء هند عن المجيء فوادع الراهن وقبل يده وطلب رضاه وخرج فإذا بالشمس قد مالت عن خط الماجنة فجلس على حجر منحوت قائم تحت شجرة كبيرة لعش النسيم في أوراقها ونظايرت الطيور بين أخضاعها فالنبي ظهر على جزعها وأخذ يذكرها سمعة من ذلك الراهن فغلب عليه الملل وهو لم يتم بالامس إلا قليلاً فغمضت عيناه لحظة رأى فيها حلةً من قبيل ما سمعة من الراهن فخيل له انه سار إلى المدينة بالمخازن وشاهد المسلمين عاكفين على صلواتهم وإن نبيهم قال له «انت لست حماداً وستلاقى عذاباً وكذلك تجد بعد العسر يسراً»

ثم أفاق من صوت صهيل الخيل فالتفت فإذا بفارسین بلباس اميرات البلقاء وراءها خادمان وقد وقف الفارسان تحت شجرة بالقرب منه فنهض للحال فرأواها تثنان ولكنه عرف من الفرسين انها هند وأحدى خادماتها فتشاغل بعض الشؤون لثلاً يتبه أحد له ولو لبث يتنتظر اشارتها وقلبة يختنق فمشت نحو الصومعة وهو يقف لا يبدى حرفاً حتى صعدت اليها ودخلت الباب فما نظر هنرية فلم تعد فتشت نحو الصومعة يتردد بين الصود والبقاء فإذا بأحدى الملامثتين قد عادت نحوه فعرف من مدحبيها انها ليست هنرية فلما دنت منه قالت له أتعرف تاجرًا يبيع الحلوي كأن وافقاً هنا . فادرك ان هنرية نسأله عنه باسم أحد باعة الحلوي لتفتي أمن عن الخادمة فاجاب على الفور انا هو ذلك الناجر فما غرضك

فقالت ان سيدتي تفتش عنك

قال وهل تريدين ابتهاع شيء الآن

قالت نعم فابن بضاعنك

قال هي في مخزني على مفردة من هذا المكان ولكن الحلوي التي ايسها غالبة الثمن لا تستطيع اقتناها الا الاغنياء فاذ كانت سيدتك من اهل اليسر أتيتها بما تريدين فتبسمت المرأة تبسم الاستخفاف وقالت نعم انها أقدر نساء حوران والبلقاء على ذلك فقال ابن هي

قالت في الصومعة فتنضل

قصد وركبناه ترتجنان حتى دخل الصومعة فرأى هنرية جالسة على مقعد من الحجر فالنبي القبة ونجامل فائلاً أين التي تربى الحلوي

قالت هند هي انا فابن حلاك  
 قال هي في المخزن على مقربة من هذا المكان هل أذهب لاستجلابها  
 قالت لاندربي ما نحتاج اليه منها فربما أتيت بها لاحاجة لنا بع وتركت ما كانت  
 البو حاجتنا  
 قال قولي ما هي انواع الحلي التي تحتاجين اليها فآتيك بأحسن ضرورها واعود  
 حالاً ولا سهل لنا غير ذلك  
 قالت حسناً فعل فنحن نحتاج الى افراط من المؤوث واساور من الذهب المرصع  
 فأت بما نصل البو من احسن انواعها

—————

## الصفل التاسع

### \* لقاء الحبيبات \*

قال سمعاً وطاعة وعاد فركب فرسه وسار باسرع من لمح البصر حتى دخل  
 بصرى ومرول الى سوق الصاغة وكان لا يخلو جوبيه من بدرة لما قد يحتاج اليه  
 في غربته فابتاع بضعة اساور وبضعة افراط من اجمل الازباء الشائعة اذ ذاك  
 وعاد حالاً فلما دخل الصومعة لقاء بعض الخدم وقال له العمالك بائع الحلي قال نعم قال  
 ان مولانا تنتظرك في بعض غرف دير بصرى <sup>(١)</sup> فعاد الى الدير فلاقته المخدمة  
 ودخلت به على سيدتها وهي في الغرفة على انفراد وكانت قبل مجئه مضطربة  
 استعداداً لقاء اللقاء فلا نسل عن خفتان قلبها واصطراك ركبناها ولكنها  
 تجلدت ثلاثة لحظ خادمتها منها شيئاً يكشف حقيقة امرها فلما دخل استقبلته استقبلاها  
 رجالاً غريباً فامرته له بوسادة جلس عليها وجلست هي على وسادة اخرى  
 فجعل حماد الاساور والافراط بين يديها فقلبت شيئاً منها ونظاهرت انها اعجبت  
 بادها فقالت ما رأيك بهذه الاساور قال هي من صنع الفسطاطينية وصناعتها دقيقة  
 يفضلها العارفون على هذا النوع فانه صنع خراسان

(١) دير بصرى اسم من اسماء دير بحيرة ويقال له ايضاً دير نهران ودير الباقي (المجم)

فقالت الله بأي ثمن تبعها . قال إنها غالبة الثمن بما مولاتي فهي نساوي خمسين دينار ( ولم تكن نساوي حقيقة الألف عشرة دنانير )  
قالت لا بأس من غالتها ولكنني لا استطيع ابنياعها ما لم أرها أو الذي  
فقال حماد حسناً نتعلمين وابن هي والدتك .

قالت في ميزانا على بعض غلوات من هذا المكان ولكنك لا تعرف من نحن فلا  
نأ من ان نسير بها جمِيعاً فسأرسلها مع هذه المرأة ولبقى اما هنا ريثما تعود فإذا استحسنناها  
والذئي ارسلت الثمن معها فاشتريتها ودفعت الثمن ولا فاني اعيدها اليك كما هي  
فقال ولكنني لا استطيع البقاء هنا طويلاً

قالت لا تخف فان هذه المرأة ستسير على جناد سريع الجريء وإذا ابطأت  
عوّضنا عليك الخسارة كن مطمئناً

فقال ارجو اذن ان نحن نحفظ بالاساور ثلاثة يقع شيء من أحجارها اثناه النقليل  
قالت لا تخف انتي احرص منك عليهما ولو لا ذلك لارسلناها مع سواها من الخدمة  
وهي ايضاً بي عادت نابت حظها من بضاعتك . قال حسناً

فَنَذَاوَلَتِ الْأَسَاوِرُ وَلَفَتُهَا فِي مَنْدِيلٍ وَنَأَوَلَتِهَا إِلَى الْخَادِمَةِ وَقَالَتْ لَهَا أَرْكَبِي الْمَرْسِ  
وَخَذِّي مَعَكَ الْخَادِمِينَ وَسُرِّي إِلَى وَالَّذِي قَاتَعَرْضِي هَذِهِ الْأَسَاوِرُ عَلَيْهَا وَخَبَرْبَهَا عَنِ  
الثَّمَنِ كَمَا سَمِعْتُ وَعُودِي بِالْجَمْوَابِ حَالَأَ

قالت سمعاً وطاعة وركبت وسارت وقد أملت ان يخظى من مولاتها بهدية  
من ذلك الحلى

أما هند وحماد ففيها في الغرفة على انفراد فقضيا برهة صامتين مطوفين والموى يتكلّم ثم خاطبته هي قائلة

لقد احسنت فهم مرادي يا حماد  
فنظر اليها وتهجد وقال كف لا افهم مرادك وانت اذا نظرت اذا تطبقين بـ لسانى  
او افتكرت انا تفتكرين بـ لجئاني فاطرقت حياء بـ رهه نفسك بين المخلوقات امامها كأنها  
تريد النكلم وـ ينهما الحباء ولبيث هو ينظر الى وجهها وقد هام بـ محسنها وـ انبر لما يقبل في  
حياتها من نضارة الشباب وما ينبعـ من عينيها من اشعة الذكاء وما زال صامتا يرجو  
ان تنوء بكلمة تخبر الحديث ليشكوا ما في قـ واده

فقالت اظنك تُسخن في وتحسب جساري هنّ وفاحة  
فتهنّد وقال حاشا لي ان اجنس فتاة غسان حنها او ان اجحد النعمة التي اولتني  
اباما بهذا الاجناع وكيف احظى بشهادة بنت ملك غسان ولا اعد نسي اسعد خلق الله  
قالت ان هنّ الملكة اصبت اسيمة بكاء لا نعرف ما نقول فقل انت لعلك تعيّر

عن بعض ما ي

قال اذا سمعت مولاتي اقول اني اسيّرها وعبدتها ولا احسب نمازها الآمنة  
وذكر ما

قالت انعلم يا حماد لماذا اجئتنا في هذا البيت وهو من بيوت الله  
قال لا ادرى يا سيدتي فلعلك أمرت باجناعنا لتوبيخني على جساري لاني تطاولت  
على مقام الملوك

قالت كلامك لم تفهم مرادي ولا أنت تكلم بلسانك ولا تفتكري بجهاني

قال ماذا اذن

قالت وقد تورّدت وجئناها حيث لائحتك بذلك الدرع التي دلت على سبقك  
فانت الساق وفي الاشارة غنى

قال اما تلك الدرع فانها اثمن ما نلت وسائل من خيرات هذا العالم فهي واقعية  
من نواب الزمان ونحوينه اعني بها جبائل الشيطان ولكن من اين لي ان اكون  
السابق ولما رجل غريب لا تعرفون من أمري شيئاً بالمقام مقام ملوك  
فنظرت اليه بطرف عينها وقد ذبل جفناها وبرقت حدقناها وقالت ولكن لكل  
مجده أصيب وما الملك يا حماد إلا من ملك القلوب وسلط على العطاطف لا من جمع  
الآمال وحاز على حطام الدنيا الفانية وما الساق الفائز إلا من حاز جائزة السباق وليس  
الدرع على مشهد من الناس

فالتفت اليها وقد تحقق رسوخها في حبها وقال ذلك سعاده عهدناه ببني غسان  
فهل تهم طففين على عبدك بكلمة تشفي غليلة وتبرد لظاء

فتهنّدت وقد اشند بها الميام وقالت ماذا اقول وكل جارحة من جوارحي تنطق  
بها في هذا القلب ( بإشارت الى قلبها ) ولكنني مالي ارى حماداً يدخل علينا بكلمة  
قال بماذا يدخل حماد ولم يبق له ما يوجد بيه ولا بري حاجة الى القول وليس

جارحة من جوارحه لا وقد كتب عليها انه اسير هوك  
فنظرت اليه وقد اخذ الحياة منها ما اخذ اعظمياً وقالت اعذرني يا حماد على  
ضعفني فيجس النساء منها بلغت قوتها فهو ضعيف فاشنق وقل كلمة  
فمد يده الى يدها فاذا هي باردة كالثلج وخيل له انها ذائمة بين اناملو وما لمسها  
حتى شعر بفشربرقة اشبه بمحرى كهربائي سرى في سائر اعضائه ولا ريب انها شعرت  
هي بمثل ذلك ايضاً فجعل يدها بين يديه وقال اقول كلمة وارجو ان لا تكون ثقيلة  
عليك

فاطرقت ثم قالت قل قل لقد نند صبري واخشى ان يخوننا الوقت  
قال اعلى اني اسير حبك ولا ابني من هذا العالم الا رضاك فاذا نقولين  
قالت انك تغدر عن عواطفني

فادرك حماد انها تحبه وتغيل اليه ولكنه ما زال خائفًا من ان يسبقه ثعلبة اليها مع  
علم انها غير مخطوبة له ولا هي تحبه ولكنه خاف ان تخلي في عنده حمداً فيطلبها  
وينراضي والداتها جبلة والحارث ويتغليباً على رأيها فاراد اخبارها من هذا التغيل  
فقال لها وما شأن ابن الحارث

قالت لا شأن له فهو حارث غير حاصل . فقال وما شأن من لم يجرث او يغرس  
قالت ان الغرس غرس الله وإذا لم يبن ربُّ البيت باطلًا يصعب البناء وون  
فضغط على اناملها وهم بتغيل يدها فضيعة الحياة فاعادها وهو يرنو اليها وقال  
ولكن كيف ترضين من لا تعرفين نسبة فلا تأمن ان يطالينا ابن الحارث غداً بحقوق  
الفرابية

قالت ان من القلب الى القلب دليل ولا نعرف لما فراية توجب مطالبة ولا نحن  
مرضى بالتقرب منه بعد ما عرفناه من خاسته  
قال وما الذي دلَّك على خاسته

قالت لقد دلتني تلك الفصبة فانها جماد ناطق  
فتعجب لاشانتها الى الفصبة وظهر له انها عالمة بامر ثعلبة بالامس فاراد تحقق  
ظنو فقال وماذا قالت لك الفصبة  
قال لقد نطافت نطفاً صرحاً ان ابن الحارث جبان دفعه

فقال وقد مل الالغاز فما قولك هن لا نعرفين حسبة ولا نسبة  
 قالت فمن كان قلبة دليلة لا يخش العطب فخحاد لا يمكن ان يكون من السوقه  
 لأن اخلافة جديرة بالملوك فإذا لم يكن ملكا فهو امير جليل  
 قال ولعله كان من قوم بينهم وبين والدك عداوة  
 فخذلت يدها من بين يديه بلطاف وتنفست الصعداء ولسان حاما يقول  
**أحبك ما لو كان بين عشائر \*** وقد كانوا اعداء لجز التصافيا  
 فلم يبق عن ربيب بصدق حبها له فاعتدل في مجلسه وقال لها ان اسيرك يا حبيبتي  
 ليس من طبقات الملوك ولا هو من السوقه بل هو امير ابن امير ولكنه دون مقام جبلة  
 ابن الایم ملك غسان  
 فاطنان بالها باهه ليس من السوقه ذارادت ان تعرف من ابي القبائل هو  
 وكانت قد لحظت من لهجتها انه من امراء العراق فقالت العلك من امراء العراق  
 قال نعم يا سيدتي فهل غير ذلك شيئا من شعورك  
 قالت كلا بل انت فوق ما تحيط فانكم بولئم اصحاب نسب وحسب وبنكم  
 بنو مااء السماء<sup>(١)</sup>  
 فالتفت اليها وقال اما وقد تنازلت الى حبي فاني طوع اشارتك فهل ترين لهذا  
 الاسير حظا من قربك  
 قالت لقد ابنت الملك مرادي وكشفت الملك عطاقي وانت على ما رأيتها فيك  
 من الحزم والدرابة فلا تعدم وسيلة في استرضاء والدي  
 فاعظم عليه الامر لعلوا ان استرضاء والدها من اصعب الامور عليه وهو يعلم  
 مزاياه منها فضلا عن الصغارين بين لهم وغمّان فيهم برقة ولم يتذكر  
 فابتدرته قائلة ما بالملك تتردد فهل خفت الطريق  
 قال لا اخاف شيئا في سبيل قربك ولكنني ارى الطريق وعراً لا اسئلة  
 اجدادنا من الضعاين بين لهم وغسان . فتجسمت وقالت لا تخف يا حماد ان ما يصعب  
 عليك يهون علي فكن مطمئنا اني معك وهذا يكفي

فال قد رضيت بذلك فان رضاك من رضى المولى وما اني قد كرست حياتي في خدمتك

وكان الشمس قد توارت وراء الجبال وأظلمت الدنيا ولم تعد تتعارف  
الوجوه فيهاً بالخروج من الغرفة وفيها ما يودعان والقليلان يختفان و Boydan البقاء  
هذاك طول العمر اذ سمعا صهيل الخيل خارج الدبر ورأيا الرهبان في جلبة فوقفت  
هند بفتحة . فقال حماد ما الذي راعك يا حبيبي  
قالت اظن ثعلبة فادما للدبر فلعلة علم باجئناها فجاء بيريد بها سوا فالاولي  
ان شرق ليلآ شغف بابا للكلام

واما انتهت كلامها حتى دخل عليها رجل عليه ملابس الباعة ببصري ومهما يد فالنبي  
قطعة من المحلى في جيب حماد ثم استخرجها مدعاً اليها كانت في جيبه وإن حماداً كان  
قد سرقها فتناولها الرجل وقال هذه الاساور لي فمن اين جئت بها انها مسروفة من  
مخزن في قلم يحبه حماد ولكنها صنعة على وجهه فقلبة على قفاه خارج الغرفة فإذا بجماعة  
من جند بصرى قد همّوا بمحاد فامسكه احدهم بذراعه وقال له انك سارق فنفر حماد  
منه وصاح به قاتلاً اخسأ يا كليب العرب وصاحت بهم هد دعوه فهم هوفي اذنها  
« احذرني ان تخبر بهم من انت لئلا يفتحن امرنا » فتجبره على حولة وهو بالقبض عليه  
ثم سمعه صوت يقول « امسكوا هذا اللص واتثوني به حياً او ميتاً انه جاوس ذميم »  
فعرف حماد صوت ثعلبة فخرج نحو الصوت والجندي يفرون من امامه وينفر قوات  
حولة ولم يستطع احد القبض عليه فصاح به نقدم انت يا جبان انرى من هو المخائن  
وابتل حماد خيراً وهم على الجموع يبحث عن ثعلبة فلم يعرفه بينهم فاعتبره احدهم  
وهم بالقبض عليه فطعنـه حماد طعنة أصابـت كتبـة فصـاحـعـ من شـدة الـآـلـمـ فـتـفـرـقـ النـاسـ  
فاراد حماد الفرار خوف النـاصـحةـ فـتـذـكـرـ هـذـاـ فـخـافـ انـ يـنـتـكـ بـهـ ذـالـكـ المـخـائـنـ فـعـادـ  
الـيـهاـ وـقـالـ لهاـ انجـيـ بـنـسـكـ لـئـلاـ نـقـعـ كـلـاـنـاـ وـفيـ وـقـوعـكـ عـارـ عـلـيـناـ فـقاـلتـ حـاشـاـ لـيـ  
انـ اـتـرـكـ بـيـنـ ايـديـ هـؤـلـاءـ اللـامـ وـالـلهـ لـنـ يـظـفـرـ بـهـ مـنـكـ بـطـائلـ وـهـمـتـ باـحـدـمـ  
فـاستـلـتـ حـسـامـ وـجـهـتـ عـلـىـ الـجـنـدـ وـكـانـواـ عـدـيدـيـنـ فـتـفـرـقـواـ ايـديـ سـباـ فـقاـلتـ خـسـيـ  
الـاـذـالـ هـلـ الـيـ وـخـرـجاـ مـعـاـ وـالـلـيـلـ قـدـ سـدـلـ نـقـابةـ فـاسـرـعاـ الـىـ فـرـسـهاـ فـرـكـبـاـهاـ وـسـارـاـ

وكان ثعلبة قد بات تلك الليلة في صرح العدير كما قدمها فقضى ليلته هاجسًا في أمر حماد وما ناله من السق في ذلك اليوم وكيف ظهرت آلة عمودي لها اليوم واستخفافها بثعلبة وكان كلما نصّور هذا نليس حمادا الدرع والأسير تكون ويشدون انفدت نيران الغيرة وأحجد في صدره وهاجت فيه حاسة الغدر وشعر بميل نحو هذه حتى أصبح شديد الرغبة في خطبتها بعد أن كان يترفع عنها وكل ذلك من عوامل الحسد فان الرجل قد برى فتاة فلا يعنده بها ولا يظن بها تعمًا فإذا ساقها إليها أحد وإن منها ميلاً إلى هذا واستخماماً يو حسنت في عينيه وخصوصاً إذا وقع بينها ناظر ارتياق فكن ثعلبة يتعرّف من خطبته هذا انتقاماً من حماد وتشعيّها من هذه لامة لحظ منها شامة بو فني حرم أنها من حبيبها شدلاً لما ثار في قلبه من عوامل الغيرة . فباتت ليلته تلك في قصر الغدير يذكر في ذلك فيما أصبح أخذ يخسّ لعنة يعلم شيئاً من أخبار هذه فسار إلى المطابخ ونظاهر بالنفرج بينما ظهر الاطعمة وكيفية ذبح الذبايح فسمع بعض الخدم يتحدثون بعزم هذه إلى دير بجيرا . في ذلك اليوم أما هذه فلم تستطع الخروج قبل ذهاب ثعلبة فلما علمت أنه سار مع والدها ووالدتها تذكرت وسارت كما قدمنا

أما هو فاضطر لمرافقه جبلة وأمرأته إلى قرب البلقاء استجلاباً لاعجابها ثم عرج إلى بصرى فلم يصلها إلا عند الغروب فدبّر حيلة للفحب على حماد تمهّه اللصوصية والمجاسوسية حتى إذا تقيّبت الواحدة ثبتت الآخر في فجاءة باحد خماري بصرى وأوعز إليه أن يتعلّل حيلة يفهم بها حماداً بالسرقة ليكون له بذلك ذريعة للفحب عليه فإذا قضى عليه اتهامه بالمجاسوسية أو فتكه بو بلا تهمة . ولننام حيلتو كان أبو الحارث قد سار إلى بيت المقدس في عصاير الامس انه غياب ثعلبة في السباق وسبب ذهابه أن هرقل أمير طور الرومان وبسم الله العرب في مصر الروم كان قد نهّأ على الفرس وأخرجهم من الشام فانهى من حربه معهم في تلك السنة وكان قد نذر آلة إذا كشف الله عنه جنود الفرس سار ما شاء على قدميه من حمص إلى بيت المقدس <sup>(١)</sup> فلما نصر الله بهث إلى الحارث بن أبي شمران بوافية إلى بيت المقدس ليعد له الأزال وهو رم ما

(١) السيرة الحلبية جزء ٣

نهَمَّ من الاسوار والمحصون في اثناء الفتح . فاستغنم ثعلبة غياب واله واستخدم الجند  
كما شاء فجاء بشرذمة منهم الى الدير و فعل ما فعله كما قدمنا  
لما سمع صوت حماد ورأى السيف يد هد فرّ هو ورجاله على ان يكمنوا لهم في  
بعض الطريق

## الفصل العاشر

### النجاة \*

أما حماد وهنـد فسافـا جـواـديـها نحو صـرح الـغـدـيرـ ولكنـها سـارـاـ في طـرـيقـ غـيرـ الـذـي  
ظـلـاـ الـخـادـمـةـ تـعـودـ مـنـهـ لـلـأـنـلـقـيـ بـهـاـ فـيـكـشـفـ اـمـرـهـاـ وـلـمـاـ خـلـاـ فـيـ الصـحـراـ وـأـمـاـ مـنـ  
الـعـيـوـنـ قـالـ حـمـادـ تـبـأـ لـذـلـكـ الـخـانـ وـلـهـ اـوـدـتـ اـنـ تـكـوـنـ تـلـكـ الـطـعـةـ فـيـ صـدـرـهـ  
فـتـنـفـصـ مـنـ شـ

فـقاـلتـ يـاـ لـيـتـهـاـ كـاتـ كـذـلـكـ وـلـكـ هـذـاـ الـخـانـ سـيـالـ جـزـاءـ فـعـلـوـهـ هـنـ عـلـ اـنـيـ  
اـخـشـ اـنـ يـكـوـنـ قـدـ كـمـنـ لـاـ فـيـ بـعـضـ الـطـرـيقـ

فـقاـلـ حـمـادـ طـبـيـ فـسـاـ يـاـ حـيـيـتـيـ فـاـنـ جـنـودـ غـسـانـ كـلـهـاـ وـجـنـودـ قـيـصـرـ وـكـسـرـيـ لـاـ  
نـسـتـطـعـ اـنـ تـسـ شـرـعـ مـنـكـ مـاـ دـمـتـ حـيـاـ مـقـيـاـ اـلـىـ جـانـكـ وـلـقـدـ شـهـدـتـ مـلـكـ الـيـوـمـ  
شـجـاعـةـ حـقـرـتـيـ فـيـ عـيـنـيـ نـفـسيـ فـسـجـانـ مـنـ جـمـعـ فـيـكـ شـجـاعـةـ الرـجـالـ وـرـفـقـ السـاـءـ وـارـانـيـ  
سـاعـةـ وـقـتـ وـذـلـكـ الـخـاصـ بـدـكـ حـبـتـ الـجـنـودـ تـفـرـمـ اـمـانـكـ وـشـعـرـتـ بـقـوـةـ فـوـقـ  
الـعـادـةـ وـلـوـ اـجـمـعـتـ حـوـلـيـ جـيـوشـ مـجـيـشـةـ مـاـ حـسـبـتـ لـهـ حـسـابـاـ

قاـلتـ تـلـكـ دـوـافـعـ الـحـبـةـ قـدـ تـذـهـبـ بـرـشـدـ صـاحـبـهاـ فـيـقـنـ الـاـهـوـالـ وـلـاـ بـيـالـيـ مـجـيـاـنـوـ  
وـلـعـلـ اـنـيـتـ هـاـ اوـاـخـدـ عـلـيـوـ وـلـكـنـيـ فـعـلـتـ ذـلـكـ مـدـفـوعـةـ بـحـبـ حـمـادـ

فـقاـلـ لـاـ نـكـرـهـ اـمـرـاـ لـهـ خـيـرـاـكـمـ فـقـدـ شـعـرـتـ بـعـدـ هـنـ الـوـاقـعـةـ اـنـ رـيـطـ الـحـبـةـ  
بـيـنـاـ قـدـ زـادـتـ مـتـاـةـ وـلـاـ أـرـىـ فـيـ السـاءـ اوـ الـارـضـ مـاـ يـكـنـ اـنـ بـحـولـ بـيـنـكـ وـبـيـنـكـ  
فـاـوـقـتـ هـنـ فـرـسـهـاـ كـلـهـاـ تـرـيدـ التـصـرـحـ مـاـرـذـيـ سـالـ فـاـوـقـ حـمـادـ فـرـسـةـ فـيـدـتـ  
يـدـهـاـ الـيـوـ فـيـدـ يـدـ وـنـصـافـحـاـ وـقاـلتـ اـعـاهـدـكـ عـهـدـاـ مـقـدـساـ اـنـيـ باـقـيـهـ عـلـ حـبـكـ اـلـ آخرـ  
نـسـمـةـ مـنـ حـيـاتـيـ وـلـوـ حـالـ دـوـنـ ذـلـكـ كـلـ مـصـاعـبـ بـنـيـ الـإـسـانـ

فنسى حماد موقفه لعزم غرامه بها وسروره بما شاهد من حبها وفبال لها ان  
هذا العهد يا هند ليسيني كل اسباب الشقاء . ووالله لا يخفى اعظم الاخطار واجوب  
العيافي والفار في سبيل حبك يشهد علينا سهل والميزان وسائر نجوم السماء . والله اكبر  
الشاهد بن

فنظرت اليه وفرسها يشاغلها بالآقادام والاجمام كأنه شعرها يتفقد فوقه من الواقع  
الغرام وقالت ذلك يدلك على أن حينا مقدر منذ الازل وقد اراد الله ان تكون هذه  
الاساور عربوناً لذلك الحب فسأحفظ عليها ما بقيت ولكن انعلم ما هو تذكاري  
عندك قال كيف لا اعلم وصائلة تلك الدرع لا تزال ترن في اذني فهي سنتي في غثلاث  
الزمان باذن الله

قالت لفدى أحسنت فهم المراد حرست الله ووفاك

فَلَمَّا تَبَادَلَا الْعَهْدَ وَخَرَا الْفَرَسِينَ وَلَمْ تَنْضُ سَرَّهُ حَتَّىٰ صَارَا عَلَىٰ مُتَرْبَةٍ مِّنْ صَرْحِ  
الْغَدَيرِ وَقَدْ عَرَفَاهُ مِنَ الْبَيْرَانِ الْمُوْقَدَّةِ بِالْقَرْبِ مَمَّا وَهِيَ نَارُ الْفَرَىٰ كَانَ يُوقَدُهَا الْفَسَانِيُّونَ  
لَا هَدَاءَ لِمَارَةٍ مِّنْ يَرِيدُونَ طَعَامًا أَوْ بَيْتًا <sup>(١)</sup>

فوق حماد وقال هذا قصرك فسيري اليو فاني عاند الى منزلي  
قالت اخاف عليك ذلك الخائن لخشى ان يكون كامناً سرجالو في بعض  
المكامن والليل بهم فربما اراد بك سوءاً

فهزَ رأسه استثناماً وقال ذريه وكل جند أبيه ولا تخافي عليْهِ بأساً باذن الله  
فالحَمْدُ لِللهِ أَن يدخل النصر بمحيلة الضيافة ممنِّداً فقال المك لتربيه في المسير  
منفرداً وأني لأُسخني من نفسي أن أخاف أن المحارث ورجاله ولو كانوا الوفاً فلما لم تجد  
سييلاً إلى افتئاه ودعنه فقبض على بدها وضغط عليها وجندًا الوعد وعدًا طاهراً  
وقالت سر بحراسة المولى وكلاء تو وسارت هي نحو الضرف لبلت هو وأفنا حتى تخاف

دخلوها الحديقة فتحول نحو منزله وهو على مسافة بعيدة فوخر جواده وجذب في المسير زميلاً وقد ترك قلبه في صرح الغدير ونسي ننسه فلم يشعر إلا وهو في مكان لم يعرفه فاوقف جواده ونظر إلى ما حلة فإذا هو في أرض قفر لم يبعدها قبلًا فتكرر برهة لعله ينفع ابنه هو فلم يستطع فنظر إلى المجموع وأراجها وكان خيراً فعلم الملك فرأى أنه اخطأ الطريق وإن منزلة في جهة غير التي كان ساعراً فيها فشكر علم الملك لأنها كان وسيلة في اهدائه إلى سواه السبيل وحزل عان جواده نحو الجهة التي ظن أنها تؤديه إلى منزله حتى وصل إلى البساتين والمارس

وفيها هو سائر زميلاً بين الأشجار والطريق كثيرة المصى أذ سمع وقع حواري جواه مسرع نحوه فاصطبغ بسمعه وأحدق بعيونه لجهة الصوت فإذا ينתרب نحوه فامسك بعنان جواده حتى مني خبيأً ينظر إلى جهة الصوت والظلام حمل الملك فإذا بالفارس يدنو منه ثم سمع صوتاً ينادي به حماد فعرف أنه صوت أحد خدمته فاجابه (سلمان) وهو اسم ذلك الخادم قال نعم يا سيد فقف عدك فوقف حتى إنمايلاً فقال حماد ما الذي جاء بك الآن

قال أدر عان جواشك واتعني لاخبرك الخبر وأسرع فتبعده وساراً إهاجاً وهما لا يتكلمان وقد انشغل بالحمد لذلك حتى بعداً عن مساكن الناس والفردان في الصحراء فامسكتا عانى الفرسين فقال حماد قل يا سلمان ما سبب هذا العدو وما الذي جئت من أجله

قال جئت بأمر من سيدك والدك أن تقر من إغسام إلى عان  
قال ولماذا . قال لأن صاحب بصرى بعث شرذمة من رجاله فقبض على سيدك  
والدك واستولى على كل ما في البيت

فيجت حماد وقد علم الديب ولكنه تجامل وقال ولماذا فعلوا ذلك  
قال زعموا أنه جاوس من ملك العراق فساقوه محوراً إلى بصرى وسمعت  
الرجال يسألون عنك في نادى الرأي فلما لم يبروك قضوا على سيدك والدك ونهبوا  
المنزل ولم يغادروا شيئاً فأسرت إلى والدك أن افتنني أثرك وأفرجتك إلى عان ننتظرك  
هذا شهرًا فان ابطا علينا بحثنا عنه في بصرى  
قال وهل أصابوه بسوء

قال كلاماً يا سيدى ولكنهم اوثقوه وساقه الى بصرى ولا بد من أنف ينصلوا اشك للفبس عليك وهذا ما حمل سيدى على تحذيرك فعن ذيuron الى جهات عمان يقيم فيها متنكر بن شهراً ثم يقضى الله بها بشاء

فأقبحت نفس حماد عدد ذلك وكادت تختنق العبرات وعلم ان الذين قضوا على والده هم تعلبة ورجاله فخدشة نسمة ان يبني عمان جواده الى حررى وقد كبر عاصي العرار ولكنه اطاع والد وسار مع سلمان صامتاً يذكر في حالي معه وكيف ساقه الحب الى هذه العافية فعد ان مشيا منه صامتين قال حماد انعرف هذه العارق يا سلمان

قال نعم يا سيدى اعرفها جيداً فند طرقها مراراً مع سيدى والدك مذ بضعة اعوام . وكان سلمان شاباً في الثلاثين من عمره رافق عبد الله في أكثر اسواره حتى حكمة التجارب وعلمه الايام وكان يبيها فطناً يستعمل في خدمة مولاه وكان عبد الله يركن اليه في مهماته ويشق به في معظم اعماله فلما تحقق وقوعه في الاسر عهد اليه العصابة بحماد وهو بؤمل ان يتخاص من اسره ويجمع به فاما من ان يسير به الى عمان وهي مدينة قدية وافعة على نحو سنتين ميلاداً من بصرى جواماً مع انحراف نحو العرب كانت تسمى في عصر الاسرائيليين ( رمات شمون ) وكانت عاصمة العوبين الذين تصافروا هم الموابون واخرجوا سكان شرق الاردن والاردن واحتلوا مکانهم ولمدة المدينة ذكر كثير في التوراة وقد تحررت مراراً حتى ساها به الموس فليلاً ذللوس ملك الاسكندرية في القرن الثالث قبل الميلاد وسماها فيلاذليا<sup>(١)</sup> تم صارت في اواخر الميلاد اسامة ذات اهمية كبيرة يقيم بها استقى تحت ادارة استف بصرى الاكثر فيها كثير من الابنية الرومانية كالنلاع والهياكل والكنائس<sup>(٢)</sup>

وما زال حماد وسلمان يسيرون زميلاً حتى اتصف الليل وبعد اعن بصرى كثيراً فوقها وقد تعيا وتعجب الجوانين وطلع الفجر وكان في ربع الاخير فارس مل آشعث على تلك السهول والجبال والارض خالية لا اثر للادميين فيها ولكنها مكسوة بالغابات واكثرها من شجر الريتون والجوز فسارا حتى وصلوا الى عارق في بحار التأمل يقاذفة الموجس وقلبه يتحقق نارة حواً له وطوراً خوفاً على والد فإذا تصوّر تعلمه انقدت نيران الاستقام في جسمه وود لو يلقاه ليقطعه ارماً ارماً ولكنه كفأم ما في

نفسه وعاد إلى الحديث مع سلمان وابن حميدان بجر بان على الرمل لا يسمع لحافرها صوت والجُوادُ هادئ وضوء القمر ضعيف . فقال حماد أخبرني يا سلمان كيف فعل هولا الطفام بوالدي وبالمنزل

قال كما في غفلة ومولاي في قلق لغيابك من الصالحة وهو لا يدرى إلى ابن سرت فلما غابت الشمس ولم تأت ازداد قلقه فهم بالركوب للتنبيش علتك وفيما نحن في ذلك وقد اسرجت جواودي لراقبة اذ سمعنا صهيل الخبول ووقع حوارها وقاطر ا الرجال عشرات فأحاطوا بالمنزل فسألناهم عن الخبر فنالوا ابن الامير حماد وأغلظوا بالمقابل فسألنا عن أمرهم فلم يحيطونا إلا بالشتم والسباب فأجبناهم بهش مقاهم فهو بسلامهم وخبلهم وقبضوا على سيدى الامير بعد ان دافع دفاعاً حسناً وكان اعزل فأوثقوه وسقطوا على المنزل فنهضوا فاغتنمت فرصة اشتغالهم في بالتهب ودونت من سيدى فاوصلاني ان افتشي أثرك وأحدرك من الجنيه كا اخبرتك ولو لا التقادير لفتحها علي ولكنني محمد الله نهكت من الفرار وجئت اليك

فقال وهل أخذوا مناعنا وأموالنا

قال انت تعلم يا سيدى ان المائتات من الذهب والفضة مكنوزة في مكان لا يعرف أحد سوانا ولكنهم أخذوا ما عثروا عليه من الايات

فذكر حماد الدرع فقال وهل أخذوا الدرع التي جئت بها بالامس

قال كلاً فانها في هذا الخرج على فرسي وقد حظها الله صدفة لوجودها في

هذا المخرج

فسر حماد لبقاء الدرع لأنها نذكار من حبيبته هند وفيها ما في الحديث آنسا ماراً عن بعد فقال حماد وما هذه النار العذاب على مقرنة من القرى

فوف سلمان ونظر إلى ما حوله وفكّر قليلاً ثم قال ان النور الذي تراه هو في بلدة يسمونها بيت الجمال او ام الجمال<sup>(١)</sup> فإذا شئت ان تتحول إليها فعلينا والأنا سنشرف على جدول فيه ما شرب منه ونسقي جواودينا ونبنيت فيه بقية ليائنا

قال دعنا من البيوت لثلاً ينكشف امرنا

## الفصل الحادي عشر

### ﴿ مسبعة الزرقاء ﴾

وسارا حتى أشرفوا على واد فيه ماء جار من الشرق الى الغرب وقد غطته الاشجار من الجانبيين فوقها في اعلاه ونظرا الى اسفله فها لها منظر لسكون الطبيعة. وهدى الليل وضعف الظلال لا يسماعان سوى نقيق الصنادع وقرفة حل الفر وحنيف الشعر حينياً ببرور النسيم وشعراء ببرد خنيف فرجلا ونزل الوادي بقدان الجوابين ورأها وضوء القراء ضعفه لم يكن بربها الطريق الا بصيصاً وكما يسمعان لوقع حوافر الخيل دوياً يرددده الصدى من جوانب الوادي حتى يحال لها ان فرسانا آخر بين قادمون اليها ثم لا يلبهان ان يتبعها الى الصدى على ان هيئة المكان كانت منسابة عليها وخصوصاً سلمان فقد كان أكثر وجلاً من حماد ليس ضعف فيه بل لعله انهما على مفردة من الرزفاه وهي مسبعة مشهورة بالضراوة وفيها السابع<sup>(١)</sup> ولكنه كتم ذلك عن حماد لئلا يثير هوا جسه وانخذ التدابير الالزمة للدفاع عن الحاجة فظلاً سائرين حتى افترقا من الماء ونظرا الى موقفهما فاذا هما في واد بين جبلين والوادي تكسوه النباتات وبينها اشجار هائلة

فشد سلمان الذيلين الى شعرة على مسافة من الماء ربما يستريحان قبل الشرب وسار مع حماد الى الماء فجلسا وشربا فنزع حماد كوفته وعنص شعن لثلاً يرف على كتفيه ووجهه ثم افترش سلمان عباءته على منبسط من الارض تحت شجرة جلسا عليهما واجواندان يصلان وينحصان الارض في طلب الماء

ثم انكأ حماد وجلس سلمان الى جانبه بحادته وحماد ساكت وذهنه مشغول بتحقق الصنادع ونعيق الغرمان على تلك الاشجار وحنيف الورق والاغصان وخرير الماء ولو لاشوا غلة بهوا جسه في والده هند وشعلية لخاف منظر ذلك الوادي ولكنه كان لا يزال متلهيَاً تناذفة الشواغل فلبيث صامتاً لا يتكلم فتركه سلمان وسار الى الجوابين فحملها وجاء بها الى الماء ووقف بها على منحدر بالقرب من مجلس حماد وضم العناين وراطها ووقف بجانبها يتلاهي بيند حسام وعيناه شاخصتان الى قدم تلك الجبال كأنه بتوقف

محذوراً وحماد غافل عن كل ذلك برواجسو فلما روى الفرسان اعادها الى مر بطها وجاء الى مجلس سيد واسند ظهير الى جرع الشجرة وكان النعيم قد أخذ من حماد ما أخذنا عظيماً فالنفف بعباءته وغلب النعيم عليه فنام اما سلمان فلم يسمع طبع رقاداً خوفاً من غائنة السابعة وجعل يتسلل الى الله ان يضي ذلك الليل بسلام فما زال كذلك الى قبيل الفجر فذلت عيناه وهو جالس ولم يكدر بغضها حتى سمع صهيل المجنودين معه وقرقعة الاعامين فاتجه ونظر اليها فاذا بها قد اجتلا فتح قلبها واستعاد بالله ونهض ل ساعيه وافتت به ويسرة فلم ير شيئاً ثم سمع قرقعة حجارة تدحرج من قمة الجبل المقابل لها حتى وصل بعضها الى الماء على مقربة منه واجتل المجنودان واكثرا من الصهيل فاتته حماد وصاحت ما هذا يا سلمان

فقال انهض يا سيد انا في خطر فنهض حماد وسرع سلمان الى قائلنا نحن على مقربة من الزرقاء فاعل بعض السابعة جاءت ترد الماء ولا خوف علينا منها لان الماء ينصل بیننا وبينها فلهم الى جوارك وانعد من حيث جئنا فيها ما الجنودين وما كادوا يربكان حتى رأيا اسدآ مخدرآ نحو الماء بنايل عجباً بشيء المعهودة والاجمار تدحرج امامه وعياه ثلاثة كأنها سراجان متقدان فاثنيا العابرين نحو الجبل فسمعا صوتاً كالرعد الفاصل ارتجح له جانب الوادي فقال سلمان هذا هو زئير الاسد يا سيد

واسرع هنا ولا تخف فان الماء حائل بیننا وبينه فوخر الجنودين وصعدا حتى وصلا الى مرفق الاسد يزار عن بعد وها بحسبها وراها هول صوته ومجاونة الصدى فلما وصل قمة الجبل انتقلا الى الوادي وكان النور قد لاح فشاهدا الاسد عد الماء بشرب .

فقال حماد ما فعلت هنا يا سلمان وكيف جئت هنا الى هذا المكان

قال جئنا مضطراً وعهدي به بعيداً عن مساحة الزرقاء والظاهر ان هذا الاسد قد بعد عن عريبو كثيراً فورد الماء ولا يلست ان يعود ولا خوف علينا باذن الله . فوقنا سرقة ينظران الى مجرى الغدير في اسفل الوادي فاذا الاسد بعد ان شرب التفت بيناً وشمالاً وزار زارة اصطكى لها مسامعها وكان ذلك اول عهد حماد بالزيارة ما سلمان قد شاهد الاسد وسمع زيارته في بعض حدائق كسرى بالمدائن وراها تتفاالت وتنصارع

أما حماد فما زال يراعي الأسد في صعوده الجبل وهو يغایل ب شيئاً فيها وقد أرسل ذنبة فوق ظهره حتى توارى عن نظرها وكانت الشمس قد اشرقت أو كادت واحس حماد بالجوع فصلاً عن النعيم فقال ما عهدك بالطعام ها قال خل عنك الاهتمام يو فاني كافل كل اساب الراحة فسرنا قليلاً فاتنا لا ندشت ان نصل الى دير علي مقربة منا نقيم فيه يومنا ضيوفاً ونبيت ليتنا ثم نصح مسافر بن . قال حسناً ومشينا برهة فاشرفنا على ساء فوقة قمة عليها صليب فعلماء دير وفيه كنيسة فنزلنا هناك فاستقلها الرهان بالترحاب ولزلوها على الرحب والسعة فقضيا ذلك النهار في الراحة والطعام وكان طعامها فاقداً على الوان بسيطة لكنها الذبنة وفي جملتها انواع من الجبن والقشدة واللبن وللعم المقلبي مع البيض وانواع التين الحنف والزبيب والجوز والمشمش الجفف فصلاً عن الخمر المعنفة فان خمر الدبور مشهورة بجودتها ولاقيا من حسن وفادة اهل الدير ما شغلهما عن هوا جسمها على ان حماداً لم يهدأ له بال ولا رحمت صورة هند من مخيله كما كانت لما فارقها المرة الاخيرة ليلًا راكمة الى قصر الغدير وهو يتظاهر صورها اليه

فيانا تلك الليلة في الاحاديث المتنوعة واكثرها مما جرّ إليه حدثها عن ذلك الأسد فعلمها ان المسافة بعيدة عن الدير ولكنها في طريقها الى عمان ولا بد للسائل الى عمان من المرور فيها الا اذا دار في طريق طويل بعيد ولما أصبحا نزولاً وصاعداً وسارا على مرفة الله وسلامان ينضل المسير في الطريق البعيد خوفاً من الساع وحماد يألف من خوفه ويشفيه عن عربه

## الفصل الثاني عشر

### \* عبد الله في السجن \*

فلتتركها ساعرين الى عمان ولعد الى عبد الله وما كان من أمم فقد نقدم انه سار الى بصرى بتهمة التجاسوسية مخموراً وهو يعجب للعنف الذي اتخذه الرجال في القبض

عليه واظرًا لعله سراة ساحتى تتحقق ألم لا يليث ان يقف امام الحارث حتى يثبت  
براءته فيفرج عنه فيذهب الى عان حيث يلتقي بعاد تم يأتيان لوفاء الذر بدبر محيرا  
وهذا ما حمله على ضرب الاجل شهراً وقد فانه السبب الحقيقي للقضى عليه  
اما الجندي فساروا به الى بصرى وبحروا عليه في غرفة من غرف قلعتها جنوبي  
السور<sup>(١)</sup> ذات بقية ليلته فلت المال على حماد ليلأ يأتي المنزل وهو لم يلتقي بسلام  
فيقع في الفخ فلما مضى الليل ولم يأتوا به ترجم عنده نجاهة . وفي الفحى جاءه رجلان عليهما  
لباس الجندي الروماني وهو الخوذة من النحاس الاصفر يتذليل منها خصل من شعر  
اذناب الخيل والادراج من الفولاذ تحيطها اثواب حمراء لا تتجاوز الركبة وكان هذان  
الجنديان يحمل كل منها حربة صغيرة وبرسا من الفولاذ وعلى صدر كل منها شرائط  
من المحرير مزركشة بالذهب على شكل حرفين احدهما II عرف انه الحرف الاول  
من اسم الامبراطور هرقل والثاني لم يعرف تسميه ولكنه الحرف الاول من اسم الفرق  
التي ينتهي اليها الجنديان ولكن هذه العلامات ولما كان يتقدلاها غير الخيالة منهم<sup>(٢)</sup> وكان  
مع الجنديين رجلان من جند ثعلبة لدارسها العربي فاشاروا الى عبد الله فتقدما وصعدوا  
به الى طانق علوى في الفلعة حتى وصلوا قاعة مفروشة بمحسن الاثاث الروماني وفي  
صدرها عظيم روما<sup>ي</sup> علم من لباسه ومقعده انه رئيس الحامية الرومانية كان  
جالسا في صدر القاعة على كرسي مذهب يصعد اليه بدرجتين متسلقا بقميص مدرع  
بحراشف من نحاس معللا بالذهب تحيطه توب ضيق لا يتجاوز السافرين الا قليلا<sup>(٣)</sup> وكان  
ضخماً كثير العضل والدهن وشاهد بين يديه رجلان اكثراهم في مثل لباسه وهم اهل مجلسه  
من الروم الا رجالاً جالساً بالقرب منه عليو لباس العرب عرف انه ثعلبة بن  
الحارث فتحقق عبد الله انهم يسوقونه الى قائد جند الروم ببصرى فدخلوا به اليه  
فوقف مقادباً وهو موثق فخاطبة القائد وكان اسمه رومانوس<sup>(٤)</sup> بواسطة الترجمان  
قائلأ ما اسمك

قال عبد الله

قال من أي بلاد انت

(١) ودتن (٢) تاريخ الرومانيين (٣) تاريخ المحاكمة الرومانية الشرقية

(٤) السيرة الخالية جزء ٣

قال من العراق

« وما هي مهنتك

« اني من امراء العراق اعيش من ريع املاكي او اتجرب بعض اصناف التجارة

« وما الذي جاء بك الى هذه الديار

« جئت لأنني نذرت نذرًا بذرته لدبر بحيراء

« وما هو ندرك

« ان اقصى شعر ولدي في العشرين من عمر

فالتفت روماوس الى ثعلبة وتحاطبا سرًا ثم نظر ثعلبة الى عد الله واستقدمه حتى

دما منه فقال له كيف تدعى الملك جئت لنص شعرا بك وانت مقيم هنا منذ اشهر

ولم تقصه

قال لاني نذرت ان لا اقصى الا في يوم احد الشعابين القادر

فضحوك استخفافاً بتلك الحكمة وقبل تلك حجج واهية لا ترد عنكم بهيمة فاتن جوايسس

من قبل ملوك الحيرة ولو لا ذلك ما أقمتم في قرية بعيدة وتسترون عنا وحاولتم اخقاء أمركم

فمن كان في مثل ما اتيتم فيه من ايسار لا يترك مدينة بصرى بمنزهاتها وشوارعها

ومراسعها وملاعيبها ويقيم في قرية حقيقة مثل قرية غسام فاعترف بالحقيقة ل بلا بزداد

العقاب عليك

قال قد قلت لكم الصدق كل الصدق

وقال ليس للصدق نصيب من مقالك وزد على ذلك اكم تدعون بالانساب الى

امراء العراق وقد امسكت غلامك أمس بسرقة

فلم يفهم عد الله معنى هذا القول وطمه بقوله ليستطلع شيئاً جديداً عنه فقال لعلمكم

اسأتم الفهم فاما لا نعرف مثل هذه الاعمال ولدي ما من نعم الله ما يكفيها مؤونة السرقة

او غيرها

فهز ثعلبة رأسه استهزأ ثم اخذ يلاعب شارب وهو عجباً وقال قد نجحت الان جاسوسيتك

وسنكشف ذلك عيناً ثم قام اليه واخذ يفتح اثوابه وجوهه بدعوى البحث عن اوراق

او اشياء اخرى تويد بهمته فوجد في بعضها حفنا فتحة فادا فيه خاتم فيه فص كبير من

القيق الاحمر فتنا ملة ثعلبة فادا عليه كتابة بالحرف السطرينجولي وهو من الاقلام التي

كانت مستعملة في العراق فعما لاملا قبض ثعلبة على الخاتم ظهرت الغنة على عد الله ولكنه تحمل  
فجعل ثعلبة يقلب الخاتم بين يديه وبناءً ملة فلم يستطع قراءته فالنتف الى رجل  
من الترجمة حوله وقال له هل تستطيع قراءة ما على هذا الخاتم  
فأخذ وقرأه وجعل بنظره الى عد الله نارة والخاتم اخرى ظهرت على وجهه  
عد الله بلاع المخوف والحضور يتظرون ما بقوله الترجمان حتى مل ثعلبة الانتظار  
فقال له قل ماذا قرأت

قال ان على هذا النص اسم « العمان من المذر » وعليه شارة الملك فيهـت  
الجـيع وحملـوا بنـا مـلون ذـلك الخـاتم واحدـا واحدـا وـيـاظـرون الى عـدـ اللهـ واـخـيرـاـ  
خـاطـةـ روـماـوسـ فـائـلاـ كـيفـ اـنـصـلـ هـذـاـ الخـاتـمـ اليـكـ

فـاجـابـ وـهـوـ بـجـاهـلـ اـنـ لاـ يـتـحـلـيـ وـقـالـ اـنـعـدـهـ مـنـ بـعـضـ الصـاغـةـ  
ذـانـهـنـ ثـعلـبـةـ فـائـلاـ اـنـقـولـ بـعـدـ هـذـاـ اـلـكـ لـسـتـ جـاسـوسـاـ وـاسـتـ تـدـعـيـ اـلـكـ اـنـتـعـتـ  
خـاتـمـ العـمـانـ مـلـكـ العـرـاقـ مـنـ بـعـضـ الصـاغـةـ .ـ مـنـ كـانـ خـواتـمـ الـمـوكـ تـبـاعـ  
فـيـ اـسـوـاقـ قـلـ مـاـ الـذـيـ اوـصـلـ هـذـاـ خـاتـمـ اليـكـ .ـ فـلـمـ يـحـبـ  
ذـاعـادـ السـؤـالـ عـلـيـهـ ثـانـيـةـ وـثـالـثـةـ ذـاـصـرـ عـلـىـ الصـوتـ

فـتـفـاوـضـ ثـعلـبـةـ وـرـوـماـوسـ سـرـاـ تمـ قـالـ لـعـدـ اللهـ انـ وـحـودـ هـذـاـ خـاتـمـ معـكـ ماـ  
بـزـيدـ الشـبـهـ بـخـيـانـكـ الاـ اـذـاـ اـخـرـنـاـ كـيفـ وـصـلـ اليـكـ وـمـاهـيـ حـكـاـيـةـ  
فـسـكـتـ وـلـمـ يـحـبـ .ـ فـازـدادـ حـقـ ثـعلـبـةـ وـقـالـ لـهـ قـلـ أـجـبـ

فـقـالـ عـدـ اللهـ قـلـتـ لـكـ اـنـ لـاـ اـعـرـفـ عـنـهـ غـيـرـ مـاـفـلـتـهـ لـكـ وـهـوـ اـهـ وـصـلـ اليـهـ  
بـالـعـرـضـ فـيـ سـوقـ الصـاغـةـ فـالـظـاهـرـانـ حـضـرـةـ التـرـاجـمـ لمـ يـجـسـنـ القرـاءـةـ اوـلـعـلـ ماـ قـرـأـهـ  
اـسـمـ رـجـلـ يـشـهـ اـبـمـ الـمـلـكـ العـمـانـ

فـصـعـكـ ثـعلـبـةـ وـقـالـ هـنـ دـعـوـيـ فـاسـقـ وـلـوـ كـانـ وـالـدـيـ الـحـارـثـ هـاـاـلـآنـ لـاـنـتـ  
نـسـةـ هـذـاـ خـاتـمـ اليـعـمـانـ مـلـكـ العـرـاقـ لـاـ شـاهـدـ خـتـمـهـ عـلـىـ كـتـبـهـ مـرـارـاـ وـعـلـىـ كـلـ  
فـائـكـ سـنـقـيـ فـيـ السـجـنـ حـتـىـ تـعـرـفـ بـالـحـقـيـقـةـ وـالـأـفـانـيـ مـقـتـولـ شـرـقـةـ

فـقـالـ عـدـ اللهـ اـفـعـلـ مـاـ هـاـلـكـ فـاـ اـنـاـ مـنـ يـخـافـونـ القـتـلـ لـاـنـيـ سـرـيـ

فـالـسـرـىـ عـافـةـ وـقـاـحـنـكـ هـنـ عـدـ مـاـ مـاـنـيـ سـابـكـ الغـلامـ الغـرـ وـرـبـكـ  
خـيـانـةـ رـأـيـ العـيـنـ

ثم التفت ثعلبة الى الحراس الاربعه وكانتا لا يزالون وقوفاً على الماء وقال خذوه بعد امر الطريق ( القائد روماوس ) الى رج القلعة وانقاذه مختوراً ربنا تنظر في امن

وكان لقلعة مصرى برج مساحع يستعمل الفرار منه لان المسعون اذا حاول الفرار لا طريق له الا النافذة فاذ وتب منها لا يدرك الارض الا ميتاً فصعدوا به طاقين آخرين وادخلوه البرج وهو غرفة صغيرة ذات نافذتين وباب صغير فاقفلوا الماء عليه وتركوه وشأنه فلما خلا سنه اخذ يتأمل في ما مرّ به في الليل الماضي وذلك الصباح وبراحع ما سمعه عن اسو فلم يفهم معنى اتهامه باللصوصية ولكنه شكر الله لوقوعه هو ونخاه حماد لانه ما زال متخفياً تخالص من تلك الشرك على ان ظهور ذلك الخاتم عرقل مساعدته واثر برده يفكر ثم يهض الى نافذة البرج الشرقية فاشرف منها على مدينة مصرى كلها ساياتها وشوارعها وأسوارها وحولها الاوحاض المائية الكبيرة وأشعة الشمس تعكس عن استطعها وكان الجو صافياً فتنظر الى ما وراء ذلك فتشاهد في عرض الافق جلا عليه سايه يكاد العدد يمحجه عن ناظري ولكنه عرف انه قلعة سرخد ( صلعد ) الشهير ويسمى وبين مصرى طريق محري على استقامة واحدة مرصف بالحجارة الضخمة كسائر الشوارع الرومانية الكجرى وخيل له ان مصرى وضواحيها حدائق يانعة في وسط صحراء فاحلة لأن بلاد حوران حلية حراء غراء اللون<sup>(١)</sup>

وتحوّل من هناك الى نافذة جنوبيه فاشرف على ارض اكثراً خصباً من تلك بترا، اي فيها عن بعد قرية ام الحمال لا يتميز شيء من انبنيها لعدها فندذكر حماداً ومسيره الى عمان فقال في نفسه لعله الان يقرب ذلك المكان مع سلمان ثم هاجت به هوا جسه ونذكر ما مرّ به منذ شوبينه وحاف ان يقتل قبل ان يوح للحادي عشر وقد كتمه عنة وعن سائر اهل الارض ييأ وعشرين سنة فترأكمت عليه المهاجم حتي سي موقفه وما هو فيه من الخطر الشديد

قضى نهاره في مثل ذلك فجاؤوه بعض الطعام فلم يتناول منه شيئاً ومات تلك الليلة وعاد في صلاح اليوم التالي الى النافذة فحدثته نفسه ان يشب من ذلك البرج

(١) ذوريه وميريل

لعله ينبعو فنظر الى اسلوه فإذا هناك هرة عميقة لا يمكن ان يصل الى قاعها حياً فصبر  
نفسه ينتظر ما يجيء به الندر

وفي اليوم الثالث افاق على اصوات الواقيس من الاذينة والكنائس فاطلَ  
من النافذة المشرفة على المدينة فرأى الناس في هرج ومرج وقد زينت الشوارع  
سعفه الخل وأغصان الزيتون وخرج الناس زرافات ووحداناً يحملون الشموع  
وأغصان الزيتون ياً مون الدبور والكنائس<sup>(١)</sup> وفيهم الرجال والنساء وأولادهم  
بين أيديهم يحملون الأزهار والشموع وقد تربوا باحسن ما لديهم من اللباس  
وانواع الرينة فعرف انه يوم احد الشعابين والناس يحتفلون به على جاري العادة  
فهاجت هوجمة وتذكر حماداً وموعده بذرء فعظم عليه الامر واشتد به ذلك حتى  
بكى ولكنه ما لبث ان عاد الى صوابه وتجدد تجلد الرجال المحكين الذين خرقو الدهر  
وعرفوا نقلبات الزمان فقال في نفسه ان الدهر لا يستقر على حال فلا بد لهن الازمة  
من انفراج

فقضى ذلك اليوم وبضعة ايام اخرى لا يأكل الا قليلاً وقد هدا روعة وجعل  
يذكر في وسيلة ينحو بها من تلك الورطة وهو في كل ذلك يحمد الله لنجاهة حماد من  
ذلك لانه لا يصر على الاذى ولا تعود مشاق الزمان وكوارث المحدثان . ففي  
ذات صباح جاءه الحرس وامرهم بالازول الى المجلس فنزل وقد استعد للدفاع فلما  
وقف بين يدي روماوس وشلته قال له هذا كيف ترى نفسك

قال ارى ان اسير بين يدي حضر البطريرق

« لماذا لا تعرف بحقيقة امرك ونحن نعدك بالافراج

« قلت لكم الحقيقة فلم تصدقوني

« انت ابن هوابنك فنفعو عنك

« من ابن لي ان اعلم ذلك وقد اخذتوني على غنة وهو خارج اديت ولا  
اعلم مفرع

ثم ناداه روماوس قائلاً انظر يا هذا اذا انت اصررت على الانكار لا برى  
بدئاً من ارسالك الى مولانا الامراطور في حصن فهو اولى بالاقتصاص منك واذا

وصلت اليه لا ينحيك من بين يديه حيلة فالافضل لك ان تعرف بالحقيقة ها وتجو  
بنفسك

قال قلت اكم الحقيقة فلم تصدقوني فاقول ما بذا اكم  
فامر رومانوس باعداد خمر يسير بعد الله والخاتم الى حمص فيدفعها الى  
الامبراطور هرقل فقال عبد الله بنفسه لعل في ذلك بابا للمرج فان الامبراطور  
أكثر رأفة ونعفلاً من هؤلاء . فاركبوا فرساً وهو موثق وحولة عشرة خفراه بينهم خمسة  
من جند الروم بلباسهم المنقدم ذكره وقد ركبوا الخيل بلا ركاب على جاري عادتهم

### الفصل الثالث عشر

#### هرقل \*

وكان هرقل اذ ذاك في حمص جاءها على اثر انتصاره على الفرس انصاراً لم  
يكن يتوقعه فندر ان يسير الى بيت المقدس ماشيّاً<sup>(١)</sup> فوصل عبد الله الى حمص  
وقد خرج هرقل منها على قدميه وفاءً لنذرها والمحارث من ابي تم الغساني قد  
جاء حمص ليتولى تدبير ما يلزم لذالك المسير فكان هرقل يسير ماشيّاً والمطاركة  
والاسافنة بين يديه وقد لبس الناج وتوّكاً على الصوبجان متزلاً بوشاح ارجوانى  
مزركش<sup>(٢)</sup> وأمامه المحاوثر ورجاله يغشون له البسط في الطرق لي Shi عليه فسار  
عبد الله مختوراً وراء الموكب من حمص الى بيت المقدس ورأى الجيد يحف بالموكب  
وكلهم مشاة ينقدم كل فرقة منهم علم في اعلاه نسر من النضة او صليب الأسرية صليبيها  
من الذهب مرصع بالياقوت واللاماس كانت تحيط بالموكب عن قرب . وكان الناس  
في اثناء الطريق يخرجون من القرى والمدن لمشاهدة الامبراطور ماشيّاً وحاشيته  
حولة يسيرون جميعاً على البسط والسباد والسجاد والناس يلقون الا زهار على الطرق واعرضهم  
يشرها على الامبراطور ورجاله وآخرون يرشون الطرق والمارة بالارواح العطرية  
على اوعتها<sup>(٣)</sup> حتى وصلوا بيت المقدس وقد زينها اهلها وخرج البطريرك

(١) السيرة الخليلية (٢) الواقدي (٣) الاغانى جزء ٦

الأساقفة بالصلبان والمبادر بحرقون فيها الجبور والد والعبر ويسرون بالمشاعل امامهم فاستقبلوا الامبراطور على مسافة خارج المدينة وعادوا به بالتراتيل والاناشيد والصلوات والناس يزاحم بعضهم بعضًا يتسابقون لمشاهدة الامبراطور وكانت شوارع بيت المقدس نوع عجيجاً ملماً رأة فصلاً عن المطابين من النوافذ والشرفات والاسطحه حتى وصل الموكب الى كنيسةقيمة والواقيس تدق والننس يرنون ويسجنون ثم اقيمت الصلاة شكرًا لله على ما اولاه من النصر على اعدائهم الفرس

كل ذلك وعد الله وحراسه يرافقون المجاهير فلاحظ عند اشرافهم على اسوار المدينة انها منهدمه وآثار مخيف الفرس والروم لا تزال ظاهرة فيها حتى لحق معظمها بالارض وما زالوا ساعرين حتى انوا دار الحكومة فساقوا عدالة الله الى السجن فلما اصبحوا ساروا الى الحارث من ابي شمر فبلغوه الرسالة وسلموا اليه عبد الله واحکموا له حكایته ودفعوا اليه الحاتم لحفظه حتى بعرضه على هرقل ففي عد الله في محبسه شهرًا لم يتمكنوا في اثناء من نفيه الى هرقل لتزاحم الوفود من ساعر الاخاء يهشون الامبراطور بما اوتوا من الصر

فلما تمت مهمه الحارث وهم بالرجوع الى مصرى تذكر عد الله فاستأندن هرقل ان يدخل به عليه فاذن له فساقوه محنوراً الى قاعة كبيرة بالقرب من الكنيسة اعدت لجلوس الامبراطور ورجال دولته قد احدق بها الحضر ماسلحتهم وملابسهم الرسمية وقوفاً اجلالاً للامبراطور فدخل اولاً الحارث ثم استدعى عد الله فدخل القاعة وقد هالة ما فيها من مظاهر الابهه والعظمة فشاهد الامبراطور جالساً في صدر القاعة على سرير من الذهب الخالص يكاد لمعانه يبهر الناظرين وعلى رأسه ناج مرصع يتلألأ كالصابيج وعلى مكسيه وشاح من المخز ساوي اللون مزركس بالذهب وفي يده صوجان الملك وهي عصا طويلة من الذهب المرصع في اعلاها رسم النسر الروماني مرصع بالحجارة الكريمة . وكان هرقل كبير الجهة عظيم الهيئة زاد المشهد وقاراً وابي يمينه بطربرك اورشليم بلباسه الرسمي وعصاه وابي يساره سرجيوس بطربرك القسطنطينية وابي كل من الجاسين الفواد والأساقفة وسائر رجال الدولة على كراسي من الذهب وكانت ارض القاعة مكسوة بالسجاد المزركس والابسطة الثمينة

ورأى بين الاساقفة اسقفاً شاهد مرر في الحبقة وهو كبروس اسقف فاسيس في بلاد الاكرااد وكان يسمع بسمة عله ردها نو عجب لوجوده هناك وازداد عجباً لما رأه جالساً بجانب البطريرك الاورشليمي في منزلة الطاركة ورأى بجانب البطريرك النسطرنطيني بطريركًا لم يعرفه

ف لما دخل عبد الله هالة الموقف ولكنها تجلد وقد علمه الايام ان ما برأه من مظاهر الابهة ليس الا اعراضاً زائدة وان الحق سلطان يعلو ولا يعلى عليه . ولم يكن من شأن الامبراطور النظر في مثل هذه الدعوى الجرنية لولا ما همه من امر الخاتم فاحب استطلاع امر بيضو فلما مثل عبدالله بين يديه خاطة والمحارث يتزوجونها فتناول الامبراطور الخاتم بيده وقال لعبد الله  
من أين أتيت بهذا الخاتم

فاجابه عبدالله مطرقاً قد جاءني بطرق العرض يا مولاي فاشترى منه فالثمن قال لا يعقل ان مثل هذا الخاتم يباع بالأسواق او يلقى على الطرق وهب المك وجدته على قارعة الطريق ألم يكن الاجدر بك تسليمة الى واحد  
فقال عبدالله مولاي يعلم ان صاحب هذا الخاتم اذا صع انة النعمان بن المنذر عامل كسرى على الحبقة فهو في عداد الاموات منذ نيف وعشرين سنة  
قال الامبراطورليس من اتنا او احد حياً نسلمة اليه  
فسكت عبدالله .

فقال الامبراطور ما بالك لا تخيب . أجي . ولا تحف وهب المك جاسوس او شبه جاسوس فعن لا تخاف المحسوسه بعد ان مخنا العناية الصهدانية أكاليل النصر على اكاسركم  
فقال عبدالله لقد نطق مولاي برأته من المحسوسه من تلقاً . نعموا ولهم الله اذ لم يبق ثم حاجة اليها في الصلح قد عقد بين جلالتو وكسرى ملك الفرس بعد ان كان ما كان من ظهوره عليه

قال هرقل نعلم ذلك ولكننا شدید الرغبة في معرفة كيفية وصول هذا الخاتم اليك وسبب اقامتك بجوار بصرى كل هذه الملة . متذكرًا على ما علمت من عاملنا هناك

فظل عبد الله طرقاً ولم يجب  
 فقال الامبراطور قل يا رجل قل فان هرقل امبراطور الروم بخاطبك  
 فيما عبد الله عند قدمي الامبراطور كانه يحاول نفيقها وقال انا اعلم ذلك  
 ياسيدى ولكنني لا استطيع النصرىع ماكثر ما فهمتْ بو بين يديك  
 قال اذن انت تكنتم امراً محاذراً ان تبوج به  
 قال أجمل لند صدق مولاي

قال انكم ذلك عن امبراطور الرومانين الا تخاف بطشه او تخشى الحكم  
 عليك بالاعدام  
 قال لا أظن احداً لا تخاف الموت ولكنني افضلة على النصرىع بهذا السر وما اني  
 بين يديك فأمر بما تشاء.

فجعب هرقل لهذا الاصرار وقال يا للعجب انقول ذلك ولا تخاف  
 قال الذي على يقين يا مولاي بان موتي وحياتي بين شفتيك ولكني لا استطيع غيرذلك  
 فالتفت هرقل الى من حوله من البطاركة والاساقفة والقواد وقال ما قولكم بهذه  
 المسارة فاني اراني ازداد ميلاً لمعرفة سر هذا الخاتم فالتفت البطريرك الاورشليمي  
 الى عبد الله وحرضه على الافرار عيناً وفعل مثل ذلك ايضاً البطريرك الانطاكي وغيرها  
 بلا جدوى

فاراد هرقل بهدين فامر بالجلاد فجاءه والسيف بيده فقال له ثني برأس هذا  
 الرجل فقاده الى باحة الكنيسة وبعد الله يسرع امامه لا يتزدد لحظة فربط عينيه  
 واركعه على نطع ودار حوله دورة والامبراطور يراه من داخل فلمadar الدورة الثانية  
 استقدمة هرقل وامر بجعل رباط عينيه وقال له الا تزال مصرًا على الكثبان  
 فقال عبد الله اقسم برأس مولانا الامبراطور وسر الشيليت المقدس ان ليس في  
 أمر هذا الخاتم مايس جلالكم بوجه من الوجوه ولكن كفأنا فرض عليّ واجب لا  
 استطيع التخلص منه

فازداد الامبراطور استغراباً وقال لمن حوله وكيف العمل اذا  
 فقال عبد الله اذا أذن مولاي في أمر يكون فيه راحة لخاطره فعلته  
 قال وما هو

قال انا مضر الصارى نخدم سر الاعتراف فاذا شئتم ان ابوج بسرى هذا لغبطة البطريرك الاورشليمي على شرط ان يشير الى جلالكم في علاقة هذا السر بكم او عدمها بغير ان يصرح بتفاصيل قضي فاذا قال لكم ان لا علاقة لها بكم تتحقق صدق قولي وعذرتموني على كفانا

قال لا يأس من ذلك وشار الى البطريرك خلا بعد الله في الكنيسة ساعة اطلعه فيها على سر ذلك الخاتم

ولما هما بالرجوع الى القاعة قال عبد الله ارجو من مولاي البطريرك ان يخبرني عن البطريرك المجالس بجانب البطريرك سرجيوس من هو فالمواناسيوس بطريرك اليعاقبة ومقامه في الاسكندرية وقد جاء لمقابلة الامبراطور واعلمه بعثتم الفرصة المداولة معه بما هو جار من الاختلاف المذهبى بين الملكية واليعاقبة في الفطر المصري

فقال وعل ذلك الاختلاف لا يزال متمنكا فقد بلغنا انه كاد يزول فتهجد البطريرك وقال ظنناه كاد يزول ولكنه لم يزل فان مولانا الامبراطور رجل حازم ذو رأى سديد وقد علم بعاقبة هذا الانقسام فلماج له ان يختلق وسيلة للتوفيق بين القائلين بالطبيعتين والمشتتين والطبيعة والمشيئه فاستعان بالبطريرك سرجيوس القسطنطيني فاستبط منذ بضع سنوات عقيدة منوسطه وهي الاعتراف بطبيعتين في المسج لها مشيئه واحدة وفعل واحد وعرض عقيدته هذه على بطاركة والاساقفة فقبلها اكثراهم وفي عزمه ان ينقل البطريرك اثناسيوس الى كرسى انطاكيه ويرسل الاسقف كيرلس الى الاسكندرية فيجعله بطريركا وواليا عليها ولعله يقصد بذلك التوفيق بين الكرسيين الانطاكي والاسكندرى ولكنى لا اظنهما يتتفقان <sup>(١)</sup> فان النعصب متمنك من الجانين وابعدت هذه الاختلافات في اعتقادى الا محكبات لنظرية ينمسك بها بطاركتنا المعاً للسلطة الدينوية واكون منه اراده الله فما اجمل الملكة المسيحية ان تكون مذهبها واحدا نقول فولا واحدا تأيدا الدولة الروم العظمى فقد كفاما ما نجم عن هذه الاختلافات من الاحن والمصائب ولا يزال تتوضع ما هو فوق ذلك فنطلب الى الله ان يلطف بعيادة

(١) تاريخ الانشقاق جزء ١

فتعجب عبد الله من الاختلافات واعجب برغبة هرقل في جمع كلمة دعيبتو وتحقق ما سمعه عن تأنيبه وحزمو ولكنه لم يكن يرجو له الفوز بغيته لما يعلمه من تكون الشحنة بين الاحزاب ثم قتل بد البطريرك وخرجها

وفيما ها عائدان نحو القاعة شاهد الحرس في هرج وينهم رجل غريب بلباس اهل البداية ليس عليه غير الشملة والعاممة تقلد حساماً اعنف وتحمل رثعاً وحربة وقد علاه الغبار ولوحنة الشمس وظهرت على وجهه آثار الاسفار وكان عبد الله خبيراً بقبائل العرب لكنه اخنلاطوا بهم فلما رأى ان الرجل من اهل الحجاز فتعجب لحياته وليس في بيت المقدس كلو احد في مثل لباسه وشكله لاولا اشتغاله بأمر نفسه لخلافه وسأله عن حاله ولكنه اضطر لارافقة البطريرك الى قاعة الامبراطور فدخلها وجاء البطريرك في محله ووقف عبد الله في موقفه

فقال هرقل للبطريرك كيف رأيتك الرجل قال رأيته صادقاً في لحيته وهو معدور في كتفان امن وامر هذا الخاتم وقد اطلعني على خلاصة حكماته فاذا هي مستقلة عن جلالكم ولا علاقة لها بالروم فاطبة ولكنه سرّ مقدس اقسم على كتفانه فلا يطيق التصریع بوالآ في حيجه

## الفصل الرابع عشر

### \* دعوة المؤوك الى الاسلام \*

فافتتح هرقل القاعة الى عبد الله وبعد الله مطرق اجلالاً ووفاراً وقال قد اخبرنا غبطه البطريرك بعذرك في الکتفان فصفحا عنك فكن مطمئناً امناً وناوله الخاتم بيده ونادي الحارت فوقف بين يديه فبلغة عنده ولمنع ان يدفع اليه كتاب الامان فتقدمن عبد الله وجنا امام الامبراطور وشكراً له وتقدير بريد الخروج فرافقة الحارت الى ماب القاعة ثم رأى ذلك البدوي قد اذن له بالدخول وفي يده رقّ من جلد بريد نقيمة الى الامبراطور فاعتربه الحارت فقال البدوي يدي كتاب الى جلاله الامبراطور اريد تسلية اليه فاخذ الحارت الكتاب فاذا هو مخوم بالطين (١) فقدمه

(١) ابن خلدون

إلى هرقل فاغتنم عبد الله اشغال الحارث وأزروه في بعض جهات القاعة بين الجمجم  
ووقف ينظر إلى ما يكون من أمر ذلك الكتاب  
فرأى هرقل قد فضله وتأمله فلم يستطع فرازنه فناوله إلى ترجماته فنظر إليه ثم  
قال إنه مكتوب بالحرف الكندي باللغة العربية  
فقال هرقل إنما عليها فرازنه فإذا فيه

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم  
والسلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم بؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فان أثم  
الا كابر عليك»<sup>(١)</sup>

الختم

محمد

رسول

الله<sup>(٢)</sup>

فلما أتم ترجمة فبغت كل من في الجلسة لشيء لجهة ذالتنت هرقل إلى  
من حوله كأنه يستشيرهم في شأنه وهو لم يفهم المراد منه لم يكن يسمع تلك الدعوة  
الا همساً فقال ومن يبيئني بمحكاية هذا الرجل فلم يستطع أحد اصاحاً كافياً وقطعاً إلى  
اطراف القاعة فشاهد عبد الله اليه فشارفه رول نحوه متأنقاً ف قال له هل سمعت شيئاً  
عن صاحب هذا الكتاب فامر بالكتاب فدفع اليه فرازنه وقال اعم يا مولاي ان صاحبة  
نبي ظهر في مكة من بلاد المحاجز من قبيلة يقال لها قربس دعا الناس إلى عادة  
الله وكان أكثر العرب يعبدون الاوثان فاجابت جماعة كبيرة منهم بعد ان قاسى مشقات  
حسيبة من اضطهاد بعض اقاربها وأعماقها وأهل وطه وفها حر إلى بتره فنصر اهلاها وشدوا  
ازره وانتشرت دعوته في افاضي بلاد العرب وبظهر من كانوا هذا الله يدعوه مولاه  
الا براطور إلى التصديق به

فلما بسع ارباب المجلس قوله كثر المغطط فيها بينهم واظهروا الاستخفاف ذالتنت هرقل  
إليهم كأنه يستطلع رأيهم فقالوا لهم في كتاب هذا الرجل جرأة كبيرة أذ لا يرى  
مسوغًا أن يحقر الإمبراطور إلى هذا الحد فشارف هرقل إشارة فهم الحاضرون وبهذا  
يلغمس سكونهم فسكنوا ذالتنت إلى البطريرك عن يمينه فاستحضره المولى

فقال الباربريك اني ارى في هذا الكتاب جرأة لم يسبق لها مثيل لأن كاتبها بدأ في خطابه بذكر اسمه ثم بذكر اسم جلالنكم فقد قال « من محمد رسول الله الى عظيم الروم » والعادة في خطاب الامبراطور ان يكون الاستهلال باسمه ثم اسم مخاطبو (١) فارى بعد امركم ان لا تغيروا هذا الكتاب التفافاً

فقال هرقل ولكن علينا ان نبحث عن سيرة هذا النبي وصفاته ثم نحن مخدرن في ما فعلة فهل تعرفون احداً من قريش نسأله عنه

فقال الحارث اعرف اميرًا من امراء مكة عظيمًا اسمه ابوسفیان قدم في هذه الاشلاء لتجارة في غزنة وهو اقدر من يخبرنا عن صفات هذا النبي

فقال هرقل اليَّ بِـ

فقال الحارث سمعاً وطاعة فسيكون هذا الرجل هنا بعد بضعة ايام ان شاء الله

قال الامبراطور فلتعقد مجلساً اذ ذاك بحضور هذا العراقي لانه يعرف العربية فلعله ينيد بما شيئاً

---

## الفصل الخامس عشر

### \* ابوسفیان \*

فقد الحارث الارض بين يدي هرقل ووقف منها دبابة ثم ارفضت الجلسة

خرج عبد الله في جملة من خرج وقد أسف لتأخره هناك وود الاسراع الى حماد

وقد داهمه الوفت ولكنَّه كان قد شاهد ابا سفوان في بعض اسفاره الى مكة

ولم يكلمه فاحب ان يراه ثانية ويسمع حدثية عن صاحب هذه الدعوة فمار توا

الى دار الضيافة بالدير فاقام على الرحب والاسعة وخرج في اثناء ذلك الى المدينة

فطاف احياءها وتفرق يشاهدها فرأى فيها اخلاطاً من اليهود ولغتهم جميعاً العبرانية

المشوهة باللفاظ الكلدانية وفيهم جماعة من السربان ورأى جماعة كبيرة من الروم

وفي ايديهم اعظم متاجر البلاد وارفع مناصبها وما منزلة الوطنين بينهم الا منزلة الخدمة

ولم يسمع في احاديث الناس الا الجدال بين القاتلين بالطبيعة والقاتلين بالطبيعتين فتبيّن ان ذلك الخصم سيكون سبباً لسقوط هذه الدولة فلما كان الوقت المعن للاجتماع اجتمع بالحارث وسارا معًا الى كنيسة القيامة فدخلوا صعنهما فشاهدوا جماعة من البدو عرف عبد الله من لباسهم انهم من عرب الحجاز فطن انهم رجال ابي سفيان ونظر فيما بينهم فرأى رجلًا يهناز عنهم جميعًا جهنم زيد وكر عامتو<sup>(١)</sup> واساع عينيه عليه العباءة المزركشة وقد نقل الحسام بخلاف سائر رجاله فقد كانوا يتقدرون الرماح ومعظمهم مكشوفون الرؤوس وفيهم من قد شد رباطاً حول شعر من الاعلى

فلم يتكلّم عبد الله ولكن الحارث نقدم الى ابي سفيان فوقف له هذا وقد عرفة انه الحارث بن ابي شمر فالنبي عليه القدرة واخبره انه جاء انتياداً الامر الامبراطور فقال له ترقص ربيعاً ندخل على مولانا ثم نبعث اليك

ثم وصل الحارث وبعد الله الى القاعة فعلم ما وقوف الحرس عند الباب ان الامبراطور هناك فدخل وتأديباً فامر هرقل باستقدام ذلك القرشي فخرج الحارث ثم عاد وجد وخبر الامبراطور ان الرجل ابي الدخول الاجسامي قال هرقل فليدخل ولم تمض لحظة حتى دخل ابو سفيان ومرة بعض رجاله فبهرم ما في القاعة من انواع الزينة ودلائل البذخ فوقف ابو سفيان امام الامبراطور ثم قبيل الارض بين يديه وجاه فائلاً « ايَّتُ اللعْنَ » وهي تحية الملوك في المحايلية<sup>(٢)</sup> فلما طاف معاً بالحلوس فترفع على الارض وجعل سيفه عرضًا على فخذيه وجلس رجاله وراءه فعلم هرقل انها عادتهم في الجلوس فلم يعتوّضه ثم خاطبه بواسطة الترجمان فائلاً من ابي القبائل انت

قال من قريش حماة الكعبة

« وما تعني بالكبّة

« هي حجّ الناس الى الالماء

« انعرف رجلاً اسمه محمد ظهر فيكم يدعو الناس الى دين جديد

« نعم اعرفه وهو من ذوي قرابتي لكنني لست على دعوته فقد جاءنا بدعوة

جديدة ونحن على دين آبائنا وطالما نهينا عن ذلك فلم ينتبه  
قال هرقل لند هي امر هذا الرجل او اد ان اعرف حقيقة حاله فهل تهشمي عنه  
وعن دعوه وما يدعو الناس اليه  
فاصفع ابو سفيان مجلسه في تربعه كانه بعد نفسه لجلوس طويل ومدح طيبة  
باصبعه واطرق قليلاً يفكري امر ذي بال  
فابتدره هرقل قائلًا ما بالك لا تجيب وقد افترحتنا عليك امرًا بهنا الاطلاع  
عليه العنكبوت  
قال كلأ يا سيدى ولكنني نذكرت به امر محمد هذا ونذكرت والد ثم ما  
كان من دعوته واشارها فتجدد استغرابي له فاذا اذت بان افص عليك  
خبع فعلته  
قال ذلك ما افترحتنا عليك فقل

## الفصل السادس عشر

### \* سيرة صاحب الشريعة الإسلامية \*

فاسد ابو سفيان كوعيه على ركبتيه ليستريح في جلوسه والنفت الى من حوله  
واذا هو مخاطب بجماعة كبيرة من الطاركة والامراء والنواب فعلم الله بتضحكه على  
اعظم رجال الروم والتجمران يتترجم كلامه للحضور الا من كان عارفاً العربية منهم  
كمحارث وعبد الله فقال  
اعلم ايها الملك ايها اللعن ان محمدًا صاحب هذه الدعوة الذي نوصل الى  
مخاطبة جلائركم قد ربي يتم الابواب صفر اليدين على الله من اصل عربق في الشرف  
والمسود من قبيلة قربش التي انا منها و يصل سبباً بعدان ونسب عدنان يصل  
باسماعيل بن ابراهيم فنحن من اشرف العرب نسباً واطي لهم طيبة . وكان جدنا اسماعيل  
قد نهى لنا بينما تخرج اليه الناس من اقطار العالم اسورة الكعبة بناء في مكة بالحجارة وهي  
مسقط رأسى و محل اقامتي و مرکز تجاري و مقام اهلي

وكان ولادة هذا البيت نارة في قريش وطوراً في سوام حتى اغتصبها منهم من ذر قرنين او أكثر بني خزاعة وهم قبيلة من عرب اليمن المخطانية اذ لا يخفي على مولاي الفوسر ان العرب كافة يرجعون في انسابهم الى ابوبن ها (١) اسماعيل الذي قدمت ذكره ومنه قبيلتنا وسائر قبائل الحجاز (٢) قحطان ومنه بنو حمير وسائر قبائل اليمن . ولم تستطع خزاعة الاستبداد بولاية الكعبة الا لما كان من تفرق امر قريش وضعنهم حتى ظهر جدما فصيٌّ وذل الدم ومال حتى ظهر على خزاعة واسترجع ولاية البيت الى قريش وتولى هو كل اعمال الكعبة وهي الحجابة والسفاهة والرفادة والندوة واللواء فلم يستطع الترجمان فهم هذه الالفاظ واشكال عليه تفسيرها فقال هرقل افهمها ما معنى هذه الاعمال

قال ابو سفيان اعلم يا سيدى ان مكة لا حكمة فيها ممثنة حكومة جلالكم بل هي مكان عبادة لان الكعبة حجٌّ يزوره الناس كما يزور الصارى ديراً من الدبور ولكنها اعظم من ذلك كثيراً فمن تولى اعمالها كانت ابو حكمة مكة وولاية امرها على نسبة ما يتولى من تلك الاعمال فمن تولى الحجابة كانت له حجابة الكعبة انى ان مفاتيحها تكون بين يديها لمن اراد وينتها من اراد لما السفاهة فهي ان في داخل الكعبة بئراً قدية يقال لها بئر زرم احيلها جدنا اسماعيل (٣) فمن يتولى السفاهة تكون تلك البشر في عهدهم يسقى الحجاج منها . اما الرفادة فهي خرج او مالٌ تدفعه قريش الى من يتولى الرفادة فيصنع منه طعاماً للحجاج الذين يزورون الكعبة من اقطار الارض لأنهم ضيوف عليه . واما اللواه فهو العلم الذي يعتقدونه للعرب وصاحب اللواء يعقد الاولوية للبعد الذاهبين الى القتال وهو منزلة قائد الجند عدوك . اما الندوة فهي مجلس القضاة وله بيت في الكعبة يجتمع فيه رجال قريش للمشورة والمداوله وصاحب هذه الدار هو صاحب الشور والرأي (٤) والبوا يرجع الامر . ففي هذه الامور الخمسة تجتمع السلطة المطلقة لمن يتولها لدنيا ودنيا فليكون القضاء والجند والكعبة ولمال في قبضته فـ حاز جدنا فصي شرف مكة كله (٥) وقطع مكة ارباعاً من قومه وبه اجتمع كلة قبيلتنا وعادت اليها سطوتها وطال نجم عدهما فتحمت باسم حتى

(١) ابن خلدون (٢) ابن الأثير (٣) ابن هشام والسيرۃ الخلیلیة

صارت لا تزوج امرأة لرجل من قريش إلا في داره ولا يتشارون في أمر نزل بهم او يعقدون لها حرب قوم من غيرهم إلا في داره يعقدها لم بعض ولد ولا تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع إلا في داره بشق عليها فيها درعها . وجملة القول كان امره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته كالذين المتبع لا يعمل بغرض<sup>(١)</sup>

وكان لنصي هذا أربعة اولاد وهم عبد الدار وعبد مناف جدنا وعبد العزي وعبد فلما شاخ قصي<sup>(٢)</sup> كان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وعظم أمره وكذلك عبد العزي وعبد<sup>(٣)</sup> فاراد قصي ان يشرف عبد الدار وكان يكن فدعاه اليه واوصى له بناصب الكعبة الخمسة المنقدم ذكرها فصار شرف مكة كله الى عبد الدار وبنيه من بعد

خلف عبد الدار اولاداً وخلف عبد مناف اولاداً آخرین وهم عبد شمس وهاشم وعبد المطلب وبوفل وكانت رجلاً أشداء وعبد شمس هو جدي فغبط بنو عبد مناف بني عمهم عبد الدار على ما في أيديهم من امر الكعبة وناظعوهم عليهم حتى كادي يقضي امرهم الى الحرب ثم تراجعوا الى الصلح واقسموا ذلك الشرف فيما بينهم فأعطيت السفاعة والرفادة الى بني عبد مناف فأعطيت الحجابة والثواب والدوة الى بني عبد الدار وتم الصلح على ذلك وانضموا الى اطلاع الكلام على غير طائل او اني دخلت فيما لم اسأل عنه فان لما قلت علاقه كبرى فيما سألتهم في عنده

فتولى السفاعة والرفادة اولاً عبد شمس ولكنه كان كثير الاسفار لا يقيم في مكة الا قليلاً فعهد بها الى اخيه هاشم وهاشم هو جد محمد الذي تسلّموني عنه اي ابو جده ثم مات هاشم فولى اخوه المطلب وكان سعياً سعياً قريش الفيض لساخته<sup>(٤)</sup> وولد هاشم ولد سماه شيبة ثم سمي عبد المطلب لحكاية طوله لا محل لها هنا وهو جد محمد ابو أبيه فلما مات المطلب تولى الرفادة والسفاعة ابن اخيه هذا اي عبد المطلب ووالد عبد المطلب عشرة اولاد ذكور منهم عبد الله والد محمد

وكان عبد المطلب قد اراد حفر بئر زرم فمنعه اقاربه من ذلك فلما فلقي منهم اموراً صعباً ولكنه فاز اخيراً بمحضرها فنذر انه اذا ولد له عشرة اولاد ثم بلغوا منه حتى يمنعوه من مثل ذلك ليخرجن احدهم عند الكعبة فلما بلغوا ومنعوه جاء الكعبة ليفي نذرها ولم يكن يدرى من ينحر من اولاده فاستخار هيل الصنم الاكبر الفائم في الكعبة<sup>(٥)</sup>

(١) السيرة الحلبية (٢) ابن اسحاق (-) ابن هشام (٤) ابن الاثير

## بواسطة الفداج

فاسْكَل امر هن القداج على الترجمان ولم يستطع تفسيرها فاستفسره عنها فقال ابو سفيان ان لها في الكعبه اصناماً كثيرة اتخاذها وسيلة يبتنا وبين من نعبد واعظمها صنم اسمه هيل عدد سبعة قداج ( اي اسمه بلا ريش ) كل قدم عليه كتابة بمعنى قدح قد كتب عليه ( العزل ) وقدح عليه ( نعم ) وقدح عليه ( لا ) فإذا ارادوا امراً ضربوا به في القداج فإذا خرج ( نعم ) فعلى ما جاؤا من اجلوا او ( لا ) لم ينعلوه وقدح فيه ( منكم ) وقدح فيه ( ملاصق ) وقدح فيه ( من غيركم ) وقدح فيه ( الماء ) اذا ارادوا ان يغترون الماء ضربوا القداج وبها ذلك الفدح فحيثما خرج عدوا به <sup>(١)</sup>

نجاه عبد المطلب الى هل وقال اصحاب القداج اضرب على نبي هرلام بقداحهم هن واخرين بندره فاصططع لاولاده عشرة قداج واعطى كل رجل منهم قدحه وقد كتب عليه اسمه وكان عبدالله والد محمد الذي نحن في صدده اصغر بي عد المطلب وكان احبيهم اليه فلما ضرب القداج طلع الفدح ان يذبح هو فهو عبد المطلب بذبحه فمنعه قربش من ذلك وقالوا لايل يحب ان نذدر فيه فانطلق به الى عرافة في المدينة ( يثرب ) فوجدوها بغير فجاؤها فسألتهم كم دية الرجل عندكم قالوا عشرة من الابل قالت فخذوا الغلام وعشرون من الابل واضربوا عليهما بالقداج فان خرجت عليه فزبدوا من الابل عشرة فعشرون حتى يرضي اليكم وخرج القداج عليها فتنحرروا <sup>(٢)</sup> فخرجوه وضرموا بالقداج فازالت تخرج على عبدالله حتى يلغ عدد الابل مائة فخرجت عليها فذبحوها ونجاه عبدالله ونبي حيا وتزوج فولد الله محمد ولم اطل عليكم الكلام الا لتعلموا مقدار ما نحن فيه من تعظيم الكعبه واصنامها فانها ضالتنا وغايتها ان نشيرها ونسخيرها واليها تنجح الناس من سائر اقطار الارض ولنا بها منفعة من حيث الانجذار لما ياتينا بواسطتها من اصناف الناس عربها وعجمها وقد ذكرت لكم <sup>كـ</sup> مـنـكـنا من الدماء في سبيل استيقاظها فهي مصدر سمعنا ومنبع اقوالنا ومرجع آمالنا وقد مضى عليها القروء الطوال قامة والناس يكرموها وبعظمنها ويذبحون عند اصنامها الذبائح ويندمون اليها بالهدايا الى اليوم فهذه

كلها قام صاحب هذا الكتاب ( وأشار الى الرق امام هرقل ) يدعوا الناس الى ازالتها و هدم ما بناه اجداده فيها

فلم يلغ ابو سفيان من كلامه الى هذا الحد ظهرت على وجه هرقل مظاهر الاستغراب و خاطب البطريرك الى يمينه باليونانية قائلاً ارى هذا الرجل بشكوى من يريد هداية قومه عن عبادة الاصنام فاذا كانت هذه هي غاية هذا النبي فنعت الغاية فتداوی المحضور هذا الحديث برقة على نحوه ! قال الامبراطور وازداد شوقي لمعرفة بقية الحكاية وكيف استطاع القيام بهذا المشروع على خطواته مع ما ذكر ابو سفيان من بنوه و ضعفه فالتفت هرقل الى ابي سفيان وقال له لند افصحت فيها قلت فهل لك ان تحيي لنا حكاية هذا النبي وكيف نوصل الى ان يدعوك الى ذلك

فقال ابو سفيان قد رأيت ايست اللعن كيف نجا عبدالله بن عبد المطلب من الموت وكان ابوه يحبه فازوجه امرأة من قريش اسمها امية ولم يكث عبدالله مع امرأته الا برهة بسرقة ثم قضت عليه الاحوال بالسفر الى غنم التي انا آثر منها الان ولكنها مرض في سفره هذه فعادت بو الى مكة فات قيل ان يدركها وهو يجوار يثرب فدفن هناك ولم يرثه احد

وكانت امية حين مات عبدالله حاملة<sup>(١)</sup> ولم يترك لها الا اربعه من الابل وقطيعاً من الماشية وجارية اسمها بركة . وكانت امية تقيم في بيت بضمواحي مكة عند جبل شري في مكة اسْمَهُ جبل ابي قيس وهناك ولدت ابنتها هذا في عام الفيل الذي جاء به ابرهه الاشرم من قبل الحبشة لنجع مكة ( سنة ٥٧٠ م ) فلما ولدت كان جده عبد المطلب في الكعبة فحملوه الى فباركة وسماه محمدأ وبن عادتنا ايتها الملك ان نرضع اولادنا من المرضى ويندر ان يعيش لنا ولد على ابن امه وتخمار المراضع من اهل المادية لصحوة اجسامهن فاختارت الله امه مرضعاً من اهل الطائف اسمها حلبة فارضعته حولين فقضاهما في سهل الطائف واودي به فشيئاً شبيطاً وسمعت الناس يخديرون عن طقواته اخباراً غريبة لم يسمع بذلكها من ذي قبل منها ان مرضعة تركتة بلعب مع اولادها ذات يوم خلف البيوت فاذا بولدها قد جاء بنول ان اخي القرشي اخذ رجالاً عليهما ثياب بيض فشققاً بطة فخرجت هي تلمسه فوجدها منفرد افسأته

عن امن فقال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فاضبعتاني وشفا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا ادري ما هو وغسلاه بالثاج<sup>(١)</sup> تخافت حلمية على الغلام فحملته الى امو مكة فقضى فيها ملة برعى الغنم وبطوف الاحياء مع الاولاد<sup>(٢)</sup> وكان كل من رأه اعجب بذلك وجواله ونور حميه ولكن لم يك يبلغ السادسة من عمره حتى توفيت والدته في الابطى بين مكة والمدينة فدفنت هناك فاصبح الغلام يتم الايوبين فاحتراطه جداً بعد امتطاب واحدة اكثر من هو اولاده فكان الناس يكرمونه من اجل جده وكان على صغر سنو يجالس الحجاج الفادمين لزيارة الكعبة وفيهم العلماء والشيوخ ويخادتهم بما يجذب وفلو لهم وعواطفهم وبعد سنتين توفي عبد المطلب فولى السقاية ابنة العباس اما الرفادة فانيطت ببني نوفل من ولد عبد شمس جداً فاصبح محمد بنهاً غريباً فكفله ابو طالب احد اعمامه وكان ابو طالب اقل من العباس مالاً ولكنها كان وجيهها مقدماً في قريش فاحضرن الغلام وتولى تربية والسيب في احضانها ايام دون سائر اعمامه اما طالب وعبد الله والد محمد كانوا اخويين من ام واحدة<sup>(٣)</sup>

وأعرف لك ايها الملك العظيم ان كفالة اي طالب هذه كانت سبباً عظيماً في نجاح دعوة محمد وبناؤه حياً لأن ابا طالب كان وجيهها في قريش محترماً مكرماً فاقام محمد في بيته كآحد اولاده . وكان ابو طالب اذا خرج الى تجارة او سفر اصطحب محمدَا فينزل الدبور ويجالس الرهبان والعلماء واشهر حدثة سمعتها عنده تزوج في دير بغيراء قرب بصرى فقد اخبرنا بعض الذين رافقوه في رحلته تلك ان الراهب بحيراً انبأه بامر كثيرة من معتقدل حياته واوصى عمه ابا طالب ان يعتني به ويخاف عليه اليهود . وكان محمد اذا عاد من سفر قضى معظم ساعات النهار في الكعبة يجادل الناس ويخادلهم ويطارحهم وهم يجهبون لذكائه وقوته برهانه فقد كان على صغر سنو ذكي القراء فصيحاً واسع الاطلاع بما اكتسبه من مجالسة عموم ومخالطة الناس في اسفاره مع انه كان امياً لا يعرف القراءة وهو لا يزال كذلك الى الان وكان مع ذلك مختصاً بحسن الطوبية حتى لقبوه بالامين فاذا جاء او ذهب قالوا جاء الامين او ذهب الامين واهل مكة ايها الملك اهل تجارة يجربون الاموال من مشارف الشام والبيزن وفارس والعراق الى مكة وغيرها وهم مشهورون بالتجارة كثيراً حتى ان نسائهم كن

يتعاطفونها وكان في مكة امرأة مشهورة بالفن اسمها خديجة بنت خوبلد من سلالة عبد العزى بن قصي الذي قدمت ذكره وكانت لشرفها وغناها نسأجرا الرجال في مالها وتضاربهم ايام بشيء تجعله لم فسيحت محمد وكان قد بلغ الخامسة والعشرين من عمره واشتهر بالاستقامة والنشاط<sup>(١)</sup> فعرضت عليه ان يخرج في مال لها الى الشام ناجراً وتعطية افضل ما كانت تعطي غير فساري في شوارتها مع غلام لها اسمه ميسن وعاد وقد اكسبها مالاً طائلاً فاحتنة وعرضت عليه ان يتزوجها ففعل فولدت له اولاداً وهم القاسم وهو يكنى به (فيقال ابو القاسم) والطاهر والطايب وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة اما القاسم والطاهر فانا قبل ان ظهر بدعونه

وافتني اذ بلغ الخامسة والثلاثين من عمره ونحن لا نعرف من امن غير ما عرفناه من حسن خصاله ومهاراته واستقامتوا ان قريلنا اجتمعوا لبناء الكعبة وكنت في جملتهم وسبب اهتماماً بذلك ان ثقراً سرقوا كنزها للكعبة كان في ثغر في جوفها ووجدنا تلك السرقة عند رجل من خزاغة فقطعنا يده وعذبنا الى بناء الكعبة وتسقيتها وكان الجسر قد رمى بسفينة عند جنة لرجل من ثغر الروم فتحطم فأخذنا خشبها واعددناه لتسقيتها وكان يكملها رجل قبطي يحسن صناعة الخخار فاغتنمها الفرصة لبنيتها واقتسمنا العمل فيها كثيلاً بحوز احدنا من الشرف في ذلك اكثر ما يحوزه الآخر فجئنا بالمحاراة والاخشاب حتى تم البناء ولم يبق الا الركن فاخصم الناس في من يرفعه منهم وكانت كل قبيلة تدعي الاحقية في رفعه حتى تعاظم الخصام وهيا بالتنازع فاتفق رأي عشائثنا اخيراً ان يحكم فيها بينهم اول داخل من باب المسجد في ذلك اليوم فكان اول داخل محمدأ ف قالوا هذا هو الامين قد رضينا به حكمه فاخذوا الخبر فرأى رأينا حسناً لم يخطر على قلب احد منا بذلك انه اثنى بثواب واسع جعل ذلك الركن فيه وقال لنا اخذ كل قبيلة بناحية منه فرفقاهم جميعاً حتى بلغنا بوضعه هو بين وانضم المخلاف<sup>(٢)</sup> وقد حدث هذا بعد حرب الغار بخمس عشرة سنة وحدث حرب الغار بعد العام النيل بعشرين سنة<sup>(٣)</sup> وكان لعله هذا اول حرب جدأ في ادماجاً فخرج الناس من الكعبة وهم يخدرنون بخطبته وتعلمه وكتبت في جملة المحبين به ولا ازال اعترف بفضلهم لولا ما اراد من تحير آلهتنا وتعييب اصنامنا كما ساقصة عليكم

(١) السيرة الحلبية (٢) ابن هشام (٣) الطبرى

وفيما نحن نحدث بمحسانه ونحبه بآخلاقه حتى بلغ الأربعين من عمره فسمى  
بأنقطاعه عن الناس وأعزازه في الشعب وال المجال حتى صار يأوي إلى المكوف يقول  
ان الملائكة جبريل ظهر له وعلمه الصلاة فعلها لأمر أنه خديجة ولزید بن حارثة مولاه  
ولعلي بن عمرو أبي طالب وكان على غلاماً صغيراً وعلمه أياضًا عبد الله بن أبي شحافة  
الذى يسمونه الآن أبا بكر وبعده آخر و هو يتلو عليهم آيات يقول ان ربهم عالم  
آياتها ونحن لا نعلم بذلك لانه لم يمس آلمتنا بعيوب ولكنه ما ابى ان جمع عمومته وأهل  
عشيرته الاقربين الى ولية دعاه الى ترك الآلهة فاجابه عمه عبد العزى ( ابو هلب )  
منكراً عليه جرأته هذه ونصح له ان يرجع عن ذلك <sup>(١)</sup> فأبى ولم يردد الا تسكت ثم  
بلغنا انه سبَّ آلمتنا وعاب اصنانها فشق ذلك علينا فاجتمعنا وفيينا نخبة من اشراف  
قريش وتدالوتنا في امره وما جاء به فتهيأ لبعضنا ان نقتله فقال البعض الآخر اننا  
اذا قتلناه اغاثي <sup>\*</sup> عمرو أبا طالب وهو رجل جليل القدر فالافضل لنا ان نخاطبه  
بشأن ابن أخيه وخصوصاً ان أبا طالب هذا ظل على دين آبائنا حتى مات ولم يؤمِّن  
بدعوة ابن أخيه فسرنا جميعاً الى ابي طالب في منزله فقلنا على الرحب والسعة و اكرم  
وفادتها على جاري عادته فلما استقرنا في مقام قلنا « يا أبا طالب ان ابن أخيك قد  
سبَّ آلمتنا وعاب ديننا وسنه احلاماً وضللاً آباءنا فاما ان تكشفه عنا او ان تخلي  
بیننا وبينه فانك على مثل ما نعن عليه من خلافه فنكفيك » فاجابنا ابو طالب  
جيئ بالطريق و وعدنا وعداً حسناً وردنا ردًّا جميلاً فانصرفنا عنه على أمل ان : دع  
ابن أخيه عن علم <sup>(٢)</sup> فلما هو باق على ما كان عليه وما زلت نسمع مثل ما كان  
نسمع عنه قبلاً وكان من أبد دعوته من قريش ابن عم امرأته خديجة وكان اسمه  
ورقة بن نوفل وكان نصراً لها مثلكم فاشتند غضبنا وهمينا بان نقتل به ثم رجعنا الى  
عيم فاجتمعنا اليه مرة أخرى وقلنا له « يا أبا طالب ان لك سناً وشرفاً وزيارة  
فيينا ولانا قد استشهدناك من ابن أخيك فلم نتهي عنا واننا لا نصبر على هذا من شتم  
آبائنا ونستهيه احلاماً وعيوب آلمتنا حتى تكشفه عنا او ننازله وإياك في ذلك حتى  
يُهلك أحد الفريقيين » <sup>(٣)</sup> فأنسنا هذه المرة من ابي طالب انصياعاً وكأنه عوْل  
على اgabe سؤلنا اذ لا طاقة له على فراق قومه وعشائرته ومعادائهم وبالغني انه لما

خرجنا من منزله بعث الى ابن أخيه فقال له « يا ابن أخي ان قومك قد جاءوا اليه فحالوا كذا وكذا فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا أطيق » فاَنس من اصراره على معتقد وبناته على عزمه ما كاد ان يغضبه لولا ان محمدًا قال له « يا عم والله لو وضعوا الشمس في يدي ولي القر في يسار ي على ان اترك هذا الامر حتى يظهر اى اهلك فيه ما ترکته » ثم بكى فرق له قلب عم ونذر ان ابن أخيه في منزله ولله عليه حق الجحوار فعاد الى نصريه وطأأن قلبه ووعده ان لن يسلمه ابداً ثم علمنا ذات يوم ان محمدًا ذكر آهتنا فيما نزل عليه من كتابه فقال « أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى تلك الغرائب على ان شعاعهن لترتضى » (١) وذلك ما كنا نعتقد فسررنا سروراً لا مزيد عليه وقلنا ها قد تم الوفاق ثم ما لبث ان رجع عن ذلك وابدل هذه الفتره بفتره تربينا نفع منه فقال ان تلك ائما الفاما الشيطان على لسانه ثم ذكر آهتنا بكل سوء فقال انها اسماً سببواها انت وآماؤكم الى غير ذلك ما زادنا نفوراً وبعداً

نحرنا في امرنا مع هذا الرجل ولبسنا نتوق فرصة لخاصل بها منه ونرجو رجوعه فاذا هو باق على عزمه وكثيراً ما كان بعض رجالنا اذا النقا به نهدوه وهو لا يبالي وفيما نحن في ذلك اذ سمعنا ان عمته حمزة بن عبد المطلب قد آمن بدعونه واخذ بناصره وحمزة هذا رجل شديد تهابه قريش فاشتد به ازره وازداد ثائنا في دعوته فقلنا لندعون محمدًا الينا تكلمة ونخاصة حتى نعذر فيه فاحتجهنا في الكعبة وفيها كل اشرف قريش واستنقذهما فجاءه فقلنا له « قد بعثنا اليك لتكلمك فاننا لا نعرف رجالاً من العرب ادخل على قومه مثل ما ادخلت على قومك لقد شئت الآباء وعيت الالهين وشئت الآلهة وسفنت الاحلام وفرقت الجماعة ما في امر قبيح الا قد جئتني فيها بونداً وبينك فان كنت انا جئت بهذا الحديث نطلب به ما لا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثراً مالاً وان كنت انا نطلب به الشرف فعننا فخمن نسودك علينا وان كنت تريده به ملكاً ملكاً علينا وان كان هذا الذي يأتيك ربنا تراه قد غلب عليك ( والرأي الشائع من الجن ) بذلك اموالنا في طلب الطيب لك حتى تبرئك منه او نعذر فيك »

فاجابنا بقلبه لا يهاب الموت قائلًا « ما في ما تقولون ما جئت بما جئتكم به اطلاس اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وانزل على كناتباً وامرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فان نقلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردو علي أصبر لكم الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » فارددنا ان نحن اعتقدناه فقلنا له « ان كمت غير قابل شيئاً ما عرضناه عليك فالمقد علمنا انه ليس من الناس احد اضيق بذلك ولا افل ماه ولا اشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثتك به فسيرجعاً هذه الحال التي قد ضيقنا علينا وليسطط لنا بلادنا وليغير لنا فيها انها ائمار الشام والعراق ولبيعت لانا من مضى من آبائنا ول يكن فيمن بعث لنا منهم قصي بن كلاب فاما كان شيخ صدق فتسألهما عما نقول أحلى هوام باطل فان صدقوك وصنعت ما سألك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وانه بعثك رسولاً كما نقول » فاجابنا وهو لا يتجلجج ولا يتتردد قائلًا « ما بهذه بعشت اليكم اهنا جئتكم من الله بما بعثني و وقد بلغتكم ما ارسلت به اليكم فان نقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردو علي أصبر ان الله تعالى يحكم بيني وبينكم » (١) وطال الجدال بينما في مثل ذلك وهو ما يقال على قوله حتى خرج ونحن لا نرى سبيلاً الى الابقاء به

وكان ابو سفيان يتكلم ولجميع صامتون ينتظرون باعناقهم فلما وصل الى هذا الحد جعلوا ينظرون بعضهم الى بعض وهم يعجبون لما سمعوه فقال بطريرك الفسطاطينية هرقل اني لا ارى هذا الرجل الا قد جاءهم بالحق وهم اهنا بشكوى من دعوته ايام الى دين الله . ثم عادوا الى استئصال بقية الحديث فقال هرقل وما جرى بعد ذلك

قال ابو سفيان وما زال امر هذا الرجل يستغل حتى كثر انصاره ومن غرب ما رأينا منهم كانوا يحملون منا الامور الصعب والاضطهاد الشديد على ان يكفرن به فلم يتعلموا حتى اذا ضيقنا عليهم فرّ جماعة منهم الى بلاد الحبشة ثم هاجوا واخذ بناصتهم أما محمد فقي في مكة بدعا الناس بالحسنى والصبر ونحن غافلون حتى

سمعننا باسلام عمر بن الخطاب وهو من اعظم رجال قريش فنأيدت دعوته به كما  
تأيدت بمحنة فعظم امن واشتد ازره فصار دعاته يتکاثرون يوماً بعد يوم بما ينضم  
اللهم من القبائل فخمنا عاقبة ذلك فاجتمعنا واثنمنا على ان نكتب كتاباً تعاقد فيه  
على بني هاشم وبني عبد المطلب ان لا ننكح اليهم ولا ينكحهم ولا نبيعهم شيئاً ولا  
يبيعنا شيئاً فكتبنا صحيحة تعاهدنا عليها وتوافقنا وعلقناها في جوف الكعبة ولكنها  
ما لبثت ان نقضت لاننا نعهدناها يوماً فاذا هي قد اكلتها الارض فتشاء منها بذلك  
واسقط في يدنا فلبثنا ننتظر ما يأتي بو الزمان

فمنذ عشر سنوات تقريباً<sup>(١)</sup> توقي اسو طالب وخدیجہ فذهب الذي كما هبہ ونزل  
مقامه فتلنا من محمد ما لم نتل قبلاً فسنه ا نوع العذاب والاضطهاد حتى كثیراً ما  
كان نشر التراب على رأس فخر من مكة الى الطائف يامس النصر من قبيلة ثقیف  
التي قضى زمن رضا عندهم فلم يبل خيراً بل كابوسونه وبؤدونه ويعترضون له  
في الطريق ويسموونه العان العذاب حتى ظنناه برفعه وترك دعوته ولكنه لم يزدد  
الآثانا وكان يذهب الى المواسم حيث تجتمع القبائل اربع والشراة كموس عكاظ  
وغيره ويعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى دينه وكان أكثرهم اقبالاً عليه قبائل المخرج  
من اهل المدينة (يثرب) فانهم بایعوه بیعات تعرف بیعات العقبة لوقوعها في  
مكان اسم العقبة بقرب مكة

فقال الترجان عد ذلك وما معنى المبايعة عدكم قال هي ان يتراضي الفریقان  
على امر كالبيع والشراء وسمعت ان هذا الرجل مبايعة يؤخذ منها تعهد المبايعين ان  
يكونوا على دعوته ومن امثلة ذلك قوله له «بایعناك على ان لا نشرك بالله شيئاً ولا  
نسرق ولا نرني ولا نقتل اولادنا ولا نأتي بجهنان فتربيه من بين ايدينا وارجلنا ولا  
نعصيه في معروف»<sup>(٢)</sup> وقد كانت بیعة العقبة هذه اول امر الانصار وهم اهل  
المدينة وقد ساهم الانصار لأن امن ضعف اعد وفاة عم وخدیجہ کا قدمت فجاه  
المخرج وبایعوه ونصروه فساهم الانصار و هو لاه ساروا الى المدينة ونشروا دعوته  
بين اهلها فنتيجة منهم كثيرون فلما رأى تضييقنا عليه بهذه امر اصحابہ بالهاجنة الى  
المدينة وسماهم المهاجرین تمیزوا لهم عن الانصار المتقدم ذكرهم

(١) الطبری (٢) ابن عثیام

فَلِمَا عَلِمْنَا بِذَلِكَ وَتَبَيَّنَ لِمَا أَهْدَى إِذَا سَارَ هُوَ إِلَى الْمَدِينَةِ سِيمْتَعُ بِأَنْصَارِهِ وَالْمُحَاجِّهِ  
وَرَبِّا عَادَى إِلَى مَنَاؤِنَا فَاجْتَهَدْنَا فِي دَارِ الدُّرْجَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ لَكَمْ أَنْ قَصْبَاهُ جَعَلْنَا فِي  
الْكَعْبَةِ لِلْمَشْوَرَةِ وَتَفَاقَضْنَا فِي مَاذَا نَهْلِلُ بِهِذَا الرَّجُلَ فَقَالَ بِهِضْنَا نَفْيُهُ وَقَالَ آخَرُونَ  
أَنْ نَفْيُهُ لَا يَمْتَعُ اجْتِمَاعَهُ بِالْمُحَاجِّهِ وَأَنْصَارِهِ

فقال آخرون فانقتله وجعل دمه متفرقًا بين القبائل لئلا يجتمع أعمامه بنو عبد مناف على المطالبة بدمه فجاء رجال من كل القبائل وسرى جيًعا خلسة حتى أتتني منزلة وتربيصنا له ربنا ينام فلما ظنناه نام وقد شاهدنا رجلًا ماتنا ببردة حسباه هو ثم خرج هو البناء ونحن نظرنا سواه فكلنا وحثنا التراب على عيوننا وفر من إمامنا فتركناه ودخلنا على النائم فإذا هو على <sup>١١</sup> ان عم فرق الآخر من إمامنا ونجا الجميع وتبعد من بيته في مكة إلى المدينة <sup>(١)</sup> وهناك نصر المهاجرين والأنصار وهم جئن إلى هذا اليوم مع ما اضم اليهم من أقوال على أثر المحروب التي حاربها والغزوات التي غزاها فامة لم يدع قافلة لها ثرث بالمدينة إلا غزاها وفرق أملاها وأموالها بين رجاله حتى كانت بيننا وبينه واقعة بدر الكبيري والله الغرى وفي اقعة أحد وغير ذلك مما يتعلول شرحه

فتعجب هرقل لحديث أبي سفيان ورأه لم يفرغ من حدبه حتى علا وجهه  
الاكتئاب والأسف فقال له وكيف حال صاحبك اليوم

قال قد انشر أمرم بين القبائل في سائر بلاد العرب الأمكة فانها لا تزال  
محبته علبي ونظمها سمعت برجالها وقد بلغني انه سيقدم لفتحها ولكنه سيفنى هنا غير ما  
لاقاه في وقائعه الاخرى وما يدلك على اغتراره سعو انه خاطب الامبراطور هرقل  
فيصر الروم بهشل هذا الخطاب على اننا ما برحنا نسمعة من ده دعويه يقول ان  
كونز كسرى وفيصر ستفتح له<sup>(١)</sup>

فقال هرقل يؤخذ من كلامك ان الرجل جاءكم بالقول الحق فان عبادة الله اولى من عبادة الاصنام واتم انما قاومتهو ظلما

فقال أبو سفيان أن أكثرنا إليها التبصّر يعتقد بالله ولكننا نتحذّل الأصنام  
«ليقربونا إلى الله زلفي»<sup>(٢)</sup> ونعرف بالبعث والإعداد ولكننا لا نؤمن بالرسول<sup>(٣)</sup>

(١) السيرة الحلبية (٢) الطبراني (٣) القرآن (٤) المسعودي

فاعتبره أحد البطاركة فائلاً فلا نظركم قاومتهو إلا خوفاً على تجارتكم ان تبور اذا هدمت كعبتكم وقلَّ توارد الناس اليها فهي مصالح دنيوية آثرتها على مصلحة الاخرين ثم اشار هرقل اشارة لهم الحضور منها انه اكثري من حدث اي سفيان فتقدمن الحارث الى اي سفيان ولما بىء فوقف وقبل الارض بين يدي هرقل فقال له الامبراطور لقد سرنا لقاوك واستندنا من حدثك ولكنك تكبدت المشقة بالقدوملينا جراك الله خيراً فقبل ابوسفيان الارض ثانية وقال ايست اللعن اباها الملك العظيم فاني بالمثلول بين يديكم افاخر اهل الحجاز كافة اذ قلما نيسر لاحدهم ان يخاطب فيصر الروم . قال ذلك وخرج ورجاله معه فامر له هرقل بخلعه من الحزير المزركش

ثم التفت هرقل وتناول الكتاب وهو من الرق وامر ان يحفظ في قصبة من ذهب <sup>(١)</sup> وامر بهدية الى دحية حامل الكتاب وسلم اليه الكتاب وصرفه

### الفصل السابع عشر

﴿ عود عبد الله ﴾

أما عبد الله فما صدق ان فرغ ابوسفيان من حدثه وخرج حتى خرج هو معه فلما التقى في صحن الدار سلما وكان ابوسفيان لا يذكر وجه عبد الله ولكن عبد الله رأه يكمل في بعض السنين على انها تعارفاً وتصافحاً حالاً لما بينهما من رابطة اللغة في ارض قل فيها العرب فسألة ابوسفيان عن مسيئ او أقامته فقال اني مسافر الى عمان فقال ابوسفيان لكن في طريقك اليها اودية وعقبات فهل انت معناد السفر فيها قال قد سرت اليها من غير هذه الطريق منذ بضعة اعوام

قال ابوسفيان أما وقد تعرفنا وتربطنا فلنسر معاً لانتا عازمون على الحجاز وقد يسهل علينا المرور بعاصي اذا اتيت هناك ودعناك وسرنا في سبيلنا ولكن قافلتنا لا تزال في غزق وفيها جمالنا وانفالنا وخيوالنا فلتقم هنا يوماً او يومين ريثما نستقدم القافلة ونسير جميعاً

(١) السيرة الحلبية

قال عبد الله حسناً نتعلّم فهـا اني ذاهب لوداع الحارث ثم اقضي بعض المهام  
وتنقـي الليلـة في السـاحة بـقرب الكـيسـة  
قال ابو سـفيان نـعم الرأـي رأـيت  
وافترقا فـعاد عبد الله الى القـاعة وـكانت الجـلسـة قد اـرـضـت فالـنـقـي : الحـارـث  
خارـجاً يـبحث عـذـا فـلـما لـقـيـه سـأـله الحـارـث عن غـيـابـه فـاعـتـذر بـأنـه كانـ في شـاغـلـ.  
فـقال له هل تـسـيرـ الى بـصـرـى فـتـكـون بـعيـبيـ

فـتـغـيرـ عبد الله بماـذا يـجـيـبـه وـخـافـ اذا اـبـى الـدـهـابـ مـعـه انـ يـحـمـلـ ذلكـ عـبـداـ سـيـعاـ  
وـهـوـ بـالـحـقـيقـةـ لاـ يـرـيدـ الـدـهـابـ الىـ بـصـرـى قـبـلـ انـ يـلـتـقـيـ مـحـمـادـ وـخـافـ انـ يـخـبـئـ عنـ  
عـزـمـهـ عـلـىـ عـمـانـ معـ اـبـيـ سـفـيـانـ لـلـلـأـءـ بـسـتـغـشـةـ فـوـقـهـ فـيـ حـيـةـ وـلـكـنـهـ ثـنـيـ عـلـىـ نـاطـفـهـ فـيـ اـسـتـصـاحـةـ  
وـشـكـرـ عـنـايـةـ فـيـ اـنـقـاذـهـ وـقـالـ لهـ انـ مـعـيـيـ اـلـىـ بـيـتـ المـقـدـسـ قدـ حـبـبـ اـلـىـ الـاقـامـةـ فـيـهاـ  
مـنـ قـبـلـ انـ اـسـيـرـ اـلـىـ بـصـرـىـ عـلـىـ اـنـيـ حـيـثـاـ كـنـتـ اـنـاـ اـكـوـنـ فـيـ ظـلـ حـمـاـيـةـ وـحـمـاـيـةـ مـوـلاـ  
الـامـبـراـطـورـ

فـوـافـقـهـ عـلـىـ ذـلـكـ وـسـلـمـ اـلـيـهـ كـتـابـ الـامـانـ وـوـدـعـهـ فـسـارـ عبد اللهـ حـتـىـ النـقـيـ بـاـيـ  
سفـيـانـ فـنـضـيـاـ بـضـعـةـ اـيـامـ فـيـ الـقـدـسـ حـتـىـ جـاءـتـ الـقـافـلـةـ فـهـيـاـ اـلـىـ الـلـسـفـرـ وـكـانـ الـقـافـلـةـ  
تـنـتـظـرـهـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ وـفـيـ صـبـاـجـ الـبـيـوـمـ الـشـالـثـ أـعـدـتـ الـخـيـولـ لـرـكـوبـ اـبـيـ سـفـيـانـ وـحـاشـيـتـهـ  
فـقـالـ اوـ سـفـيـانـ لـعـبدـ اللهـ هـلـ عـدـكـ جـوـادـ لـرـكـوبـكـ

فـقـالـ كـلـاـ لـانـيـ تـرـكـتـ فـرـسيـ فـيـ بـصـرـىـ  
فـأـمـرـانـ يـعـطـيـ لهـ فـرـسـ بـمـنـ اـفـرـاسـ حـاشـيـتـهـ وـقـالـ لهـ اـرـكـبـ هـذـاـ جـمـيـادـ اـلـآنـ  
فـاـذـاـ وـصـلـنـاـ الـقـافـلـةـ اـعـطـيـنـاـكـ فـرـسـاـ يـلـيـقـ بـكـ

## الفصل الثامن عشر

\* جـوـادـ حـمـادـ \*

فـرـكـبـوـاـ حـتـىـ جـاـءـوـاـ الـقـافـلـةـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ فـجـلـسـوـاـ الـلـاـسـتـرـاـحـةـ قـلـيـلاـ وـعـبدـ اللهـ لاـ  
بـرـنـاجـ اـلـاـلـىـ السـفـرـ اـسـتـجـعـاـلـاـ الـلـاـلـفـاـةـ حـمـادـ وـلـكـنـهـ اـطـاعـهـ فـجـاؤـهـ بـفـرـسـ عـلـيـهـ سـرـجـ ثـيـنـ

فلمَّا وَقَعَ نَظَرُنَ عَلَيْهِ اخْتِاجَ قَابَةَ فِي صَدْرِهِ لَا هُنْ يَشْبَهُونَ فَرَسَ حَمَادَ ثُمَّ تَأْمَلَهُ جَيْدًا فَإِذَا هُوَ  
هُوَ بَعْيَدٌ فَاعْدَ نَظَرَنَ عَلَى السَّرْجِ فَإِذَا هُوَ سَرْجٌ فَرَسَ حَمَادَ فَدَنَاهُ مُهَمَّهُ وَلَسَّهُ بَينَ عَيْنَيْهِ  
فَأَنْسَ بِالْفَرَسِ حَنْوًا إِلَيْهِ وَارْتَبَاحًا إِلَى لَمْسِهِ فَتَحَقَّقَ أَنَّهُ هُوَ فَرَسُ حَمَادَ بَعْيَدٌ فَبَغَتْ  
وَكَانَ أَبُو سَفِيَانَ وَاقِفًا عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْهُ يَرَاعِيهِ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُ سَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ  
فَقَالَ أَنِّي فِي رِبِّي مِنْ أَمْرِهِ هَذَا الْفَرَسُ لَا هُنْ فَرَسَ وَلَدِي  
فَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ وَكَيْفَ عَرَفْتَهُ

فَقَالَ عَرْفَتُهُ مِنْ لَوْنَهُ وَقَدْ وَسَرَجَهُ وَقَدْ رَبَيْتَهُ مَذْكَانَ مَهْرَأً رَضِيعًا وَاعْرَفَ  
أَمْهُ قَبْلَهُ

فَعَجَبَ أَبُو سَفِيَانَ لِهَذَا الْاِتِّفَاقِ الْغَرِيبِ وَقَالَ لَهُ وَابْنَ كَانَ وَلَدِكَ  
قَالَ كَانَ رَاكِبًا مِنْ بَصْرَى إِلَى عَمَانَ فَابْنَ ظَفَرْتُمْ بِهَذَا الْفَرَسِ  
قَالَ ظَفَرْتُمْ بِهِ تَائِهًا بِالْقَرْبِ مِنَ الزَّرْقاَهِ

خَيَافُ عَبْدِ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِضَيَاعِ هَذَا الْفَرَسِ سَبِبُ بَوْجَبِ قَلْفَانَ فَاعْدَ السُّؤَالَ ثَانِيَةً  
عَنْ كَيْفِيَّةِ عَثُورِهِ عَلَيْهِ

فَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ كَمَا قَادَمِينَ مِنَ الْمُجَازِ إِلَى الشَّامِ مِنْذَ بَضْعَةِ أَسْبَاعٍ وَفِيهَا نَحْنُ  
بِالْقَرْبِ مِنَ الزَّرْقاَهِ نَحَادِرُهُنَّ نَقْرَبُ مِنْ مَسْبِعِهِنَّ إِذْ شَاهَدْنَا هَذَا الْفَرَسَ تَائِهًا فِي الصَّحْرَاءِ  
فَأَرْسَلْتُ بَعْضَ رَجَالِيِّ فِي أَشْرَقِ وَبَعْدِ الْعَنَاءِ وَالْمَشْقَةِ قَبْضَ عَلَيْهِ فِجَاءَ بِهِ إِلَيْهِ فَسَقَنَاهُ مَعْنَاهُ  
إِلَى غَزَّةَ ثُمَّ جَئْنَا بِهِ إِلَى هَذَا كَمَا تَرَى

فَبَهِتَ عَبْدُ اللَّهِ وَلَبِثَ صَامِتًا لَا يَتَكَلَّمُ وَقَدْ غَلَبَتِ الْمُواجِسُ عَلَيْهِ مُخَافَةً أَنْ يَكُونَ  
حَمَادَ قَدْ ذَهَبَ فِرِيسَةَ السَّبَاعِ وَفَرَّ جَوَادَهُ مِنْهُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْفَرَسَ اصْبَلَ لَا يَنْزَكَ  
صَاحِبَةَ الْأَذَادَاتِ أَوْ سَرَّ أَوْ غَابَ عَنْهُ فَتَرَقَرَقَ الدَّمْوَعُ فِي عَيْنَيْهِ رَغْمًا عَنْهُ وَلَكِنَّهُ  
نَجَدَ وَقَالَ أَرَانِي كَثِيرَ الْفَلَقَ عَلَى وَلَدِي وَلَا يَهْدَأُ لِي بَالَّهُتِي اتَّقَدَ الْمَكَانُ الَّذِي  
وَجَدْتُمُ الْفَرَسَ فِيهِ

فَقَالَ أَبُو سَفِيَانَ هُوَ قَرِيبُ مِنْ طَرِيقِنَا إِلَى عَمَانَ فَإِذَا شَتَّتَ عَرْجَنَا إِلَيْهِ وَجَهْنَمَ عَلَيْكَ  
عَا تَرِيدُ فَانَّ أَمْرَ وَلَدِكَ بِهَمَنَا كَمَا يَهْمَكَ

ثُمَّ رَكِبُوا أَمَّا عَبْدُ اللَّهِ فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَرْكِبَ فَرَسَ أَبُو بَعْدِ مَا رَأَيْهُ مِنْ أَمْرِ فَارِكِبِهِ  
غَيْرِهِ وَسَارُوا وَهُوَ لَا يَنْبَسُ بِبَنْتَ شَفَةٍ لَا شِنْفَالَهُ بِالْمُواجِسِ فَقَضُوا بِوْمَيْنِ سَاعَيْنِ وَعَدَ اللَّهُ

لا يأكل ولا بنام الاً فليلاً حتى صاروا على مقربة من الزرقاء فقال ابو سفيان ها اتنا بقرب المسيعة فلنترك القافلة ونجعلها واحداً معاً ولنصلح بعض الفرمان الى ذلك السهل حيث عثينا على الفرس بركلض فيو

فخرجوا وهم عشرة رجال وفيهم ابو سفيان وعبد الله وساروا بمحاذر وان يلقاهم اسد او وحش آخر على انهم لم يكونوا بمحاذر ذلك والوقت نهار وهم كثيرون فلم يسيرا الاً فليلاً حتى وقف ابو سفيان وقال هذا هو المكان الذي عثينا فيه على الفرس فقد رأينا بركلض في هذا السهل

قال عبد الله وابن هي المسيعة

قال هي الى يميننا فاذا رأيت ان نخرج نحوها فعلنا

قال عبد الله لا اراني قادرًا على العود قيل ان افتقى اثر حواري الجناد  
لعلي اقف على اثر ولدي فاني اخاف ان يكون قد ذهب فرئيس الوحوش والعياذ بالله  
قال ابو سفيان مررت هنا شاه فاتنا بين يديك وامر رجاله فتفرقوا بين النلال يبحثون  
عن آثار الآدميين وبعد سرقة عاد احدهم بسوق جواده زميلًا حتى دما منهم فقال  
رأيت آثار اناس بالقرب من شجرة هناك

فهز عبد الله جواده وتبعه ابو سفيان في اثر الرجل حتى دنوا من المكان فاذا  
هناك شجرة كثيرة تحتها آثار جواد مقتول لم يبق منه الا جمجمة وسرجه وبعض  
عظامه فعرف عبد الله بن السرج انه جواد سلمان خادمه فصاع قائلًا هذا هو جواد  
سلمان فأباين حمادوسلمان واخذ يبحث حول الشجرة وبالقرب منها فرأى آثار سجع عرف  
بالتأمل فيه أنها عباءة فظنها عباءة حماد قد مزقها انياب الوحوش فلطم كثناً بكفت  
وقال وهذه هي عباءة فأباين تقاباه أهل الاسود اكلته كلة قال ذلك وتناول قطع  
العباءة وجعل يقبلها ويدرُّف الدموع ويصبح واولاده قد أكلتكم السباع آه ابن انت  
ولم يجد يستطيع الوقوف

فناشر ابو سفيان وكل من حضر من حاله ولو لا خشونة البداوة وتعودهم القتل  
والنهب ليكونوا معه أما ابو سفيان فقال له هون عليه يا اخا لخ فاما لم تتحقق موت  
الغلام بعد وانت لم تعاشر بأمر من آثار جيشه واخذ يختلف عنده ويظلمه مثل هذا الكلام  
وهو لا يهؤ له بال ولا ينفك عن البكاء بل جعل يلطم كثناً بكف ويقول أهـنـهـيـ

آخر حباتك يا حماد آه من لي نالنياب التي نهشت جلدك الماعم فاخطتهاها وابن تلك  
الحالب التي غرسـت اظافرها في لحمك فـا مزقها كما مزقتـه آه ولدـاه أهذا هو وفاء النذر  
أهـن عافية الاصطمار عشرـين عامـاً لـقصـك شـعرـك

فـلـما رأـيـ اـبـوـ سـفـيـانـ شـدـةـ اـضـطـراـبـ عـبـدـ اللهـ وـعـظـمـ بـكـائـوـ رـقـ لـهـ وـخـافـ عـلـيـهـ  
فـجـلـسـ إـلـىـ جـانـبـ وـامـسـكـةـ يـدـ وـاخـذـ يـخـفـ عـنـهـ بـاـبـوـ مـلـةـ بـيـقـاءـ اـبـوـ حـيـاـ وـقـالـ لـهـ انـ  
ماـ رـأـيـناـهـ مـنـ الـآـثـارـ لـاـ بـدـ عـلـىـ شـيـ.ـ ماـ خـفـنـهـ فـلـوـ كـانـ اـلـاسـدـ فـنـكـ بـالـغـلامـ لـرـأـبـتـ  
شـبـئـاـ مـنـ نـيـاهـ وـهـبـ اـنـ اـلـاسـدـ اـكـلـ ثـيـابـ فـهـوـ لـاـ يـسـطـعـ اـنـ يـزـدـرـدـ سـيـفـهـ وـرـحـمـهـ فـلـيـ  
كـانـ مـاـ نـظـنـهـ صـحـيـحـاـ لـرـأـبـتـ سـلاـحـهـ مـاـيـةـ هـنـاـ عـلـىـ الـاـقـلـ فـلـعـلـهـ فـرـ وـنـجـاـ وـلـمـ بـنـتـكـ  
اـلـاسـدـ بـغـيرـ هـذـاـ الفـرـسـ اـرـجـعـ اـلـىـ صـوابـكـ وـتـصـرـ فـيـ الـاـمـرـ فـالـكـ رـجـلـ عـاقـلـ خـيـرـ  
وـزـدـ عـلـىـ ذـلـكـ اـنـ الـبـكـاءـ لـاـ يـحـدـبـكـ نـعـمـاـ هـلـمـ بـاـنـجـعـتـ فـيـ هـذـاـ الـجـوـارـ اـمـلـاـ نـفـ علىـ  
مـاـ بـكـشـفـ لـاـ الغـامـضـ

فـتـالـ عـبـدـ اللهـ صـدـقـتـ يـاـ أـخـاـ قـرـيشـ اـنـ الـبـكـاءـ لـاـ يـعـدـبـنـيـ نـعـمـاـ وـلـكـنـيـ اـخـافـ  
اـذـاـ بـحـثـتـ اـنـ لـاـ زـدـادـ اـلـاـ فـشـلـاـ وـيـأـسـاـ فـدـعـنـيـ اـبـكـيـ وـلـدـيـ وـاقـبـلـ عـاـءـةـ فـيـ هـذـهـ  
الـصـحـراـ،ـ حـتـىـ يـلـقـاـيـ اـلـاسـدـ الـذـيـ اـفـتـرـسـ فـاـنـ اـنـ أـتـقـمـ لـهـ مـنـهـ اوـ اـنـ يـنـتـرـسـنـيـ فـنـمـوتـ جـمـيعـاـ  
فـاـنـ ذـلـكـ خـيـرـ لـيـ وـلـقـيـ

فـاـزـالـ اـوـ سـفـيـانـ يـدـاعـمـهـ حـتـىـ سـكـنـ روـءـ،ـ فـنـبـضـ وـسـارـ مـاـشـيـاـ بـيـنـ النـلـالـ وـالـصـخـورـ  
وـاـوـ سـفـيـانـ بـصـحبـةـ وـرـجـالـهـ مـيـثـونـ فـيـ الـنـحـاءـ السـهـلـ بـسـاعـدـوـنـهـ فـيـ النـفـيـشـ فـوـصـلـ  
عـبـدـ اللهـ وـاـوـ سـفـيـانـ اـلـىـ غـدـيرـ صـغـيرـ اـشـرـفـاـ عـلـيـهـ مـنـ اـكـمـةـ فـاـنـ عـبـدـ اللهـ عـدـ الغـدـيرـ  
شـبـئـاـ فـهـرـوـلـ نـحـوـهـ فـاـذـاـ بـوـ نـيـابـ وـسـلـاجـ فـتـأـمـلـهـاـ فـاـذـاـ هـيـ عـبـاءـةـ حـمـادـ وـرـحـمـهـ وـسـيـفـهـ فـضـمـ  
الـسـيـفـ اـلـىـ صـدـرـهـ وـصـاعـعـ هـذـاـ هـوـ سـلاـحـهـ وـهـنـهـ هـيـ عـبـاءـةـ لـاـ تـلـكـ فـاـيـنـ هـوـ فـاـخـذـهـ  
يـعـثـونـ فـيـ ذـلـكـ الـجـوـارـ حـتـىـ مـاـلـىـ النـفـيـشـ وـكـادـتـ الشـمـسـ تـبـلـ اـلـاـصـبـلـ وـلـمـ يـجـدـواـ  
شـبـئـاـ فـخـفـقـ عـبـدـ اللهـ اـنـ حـمـادـاـ قـدـ ذـهـبـ فـرـبـسـةـ اـلـاسـدـ فـمـادـ اـلـىـ الـبـكـاءـ وـالـلـوـحـ حـتـىـ  
اـنـفـطـرـ قـلـبـ اـيـ سـفـيـانـ لـهـ وـلـشـفـقـ عـلـيـهـ فـاـخـذـ يـعـزـبـوـ وـيـخـفـ اـحـزـانـهـ وـهـوـ لـاـ  
بـزـدادـ اـلـاـ بـكـاءـ

فقال أبو سفيان ما يجدينا البكاء يا أخا العرب إننا لا نستطيع رد الضائع والله لو كان ابنك أسيراً في أيوان كسرى أو قصر قيصر لذلنا انفسنا في سبيل انقاذه لأن لك علينا حق المحوار وردد على ذلك المك رجل قد وقعت من نفسي موقعاً عظيماً فسررت بلقائك وهذا إنني بين يديك فافعل ما تراه فاني اطوع لك من بنائك فسكت عبد الله ولم يجب ولبث برهة غارقاً في بحار الموجس براجع في ذهنه تاريخ حياته وما جاء من أجلو إلى بصرى وما كان من أمر النذر ثم رجع إلى صوابه وتجدد تجدد الرجال المدرسين فعلم أن البكاء لا يجديه ففعلاً فرأى من المحرم أن يتدارس الامر بالصبر والتقوى فلا يرجع له أن يسير إلى عمان يقتضي فيها عن حماد فعلماً أحدهما يتبثث بحاله ونظر إلى الشمس وقد فارت الرؤال وبينهم وبين الطريق بضعة أميال ورأى أبا سفيان ورجاله واقفين في خدمته يستظرون امراً بطبيعة فيو فخاف أن يسبب لهم بالبقاء هناك أذية فقال لأبي سفيان إنني يا أخا قريش شاكر لحسن صنيعك وأخيتني أن أكون سبباً لضرر بيت الله على يدي ونحن في هذه الصحراء التي شربت دم ولدي فسيروا إلى مقصدمكم بحراسة الله ودعوني أسيء في طريقي فاجابه أبو سفيان قائلاً دع عنك الموجس وأعلم أسلالاً تمرح هذا المكان الآيات في مقدمتها فلساً بيتاركك وحدك فإذا رأفتنا فاننا في خدمتك حتى نصل مأمتوك وإذا شئت المسير معنا إلى مكة فالمك تنزل بينما على الربح والسعنة فاختر لنفسك

فهم عبد الله بالي سفيان وضمه وبكي لما آنسه من تعزيمه وقال لقد وفيتم الكيل وأجزلتكم الجميل أما المسير معكم فغير ممكناً ولا بد لي من النظر في الامر فاما ان اسيء إلى عمان او اعود إلى متولي بقرب بصرى حتى يحكم الله بما يشاء قال إنما اذن في ركبك إلى عمان ثم إلى حيث تشاء قال ذلك وأمسك بيده وسار به فشي عبد الله وسيف حماد بين يتنسم منه رائحته وعادوا جميعاً إلى القافلة وكان عبد الله في اثناء عودته صامتاً يفكري حاله ويتعدد بين ان يسير إلى عمان وهو لا يدرى ما يلقى هناك بعد ما دخله من الريب في أمر حماد وهو يرجح موئنه على انه لما نظر في الامر طويلاً وراجع ما مرّ به من أحوال ذلك اليوم اعترضه أمل رأى

من خلاله بصيحاً هياً له حماداً حياً وذلك انه فكر في أمر ما عثر عليه من بقاياه فلم يجد دليلاً قاطعاً يتوه و هو لم يعثر بشيء من جهته فقال في نفسه لو أكلته السباع لقيت منه بقية مثل بقية ذلك الجحود من جسمه او عظام اخرى او قطع من ثوبه ممزقة ثم فكر في ما وجد من السلاح فاذا به لم ين في الموضع الذي رأى فيه بقايا الجحود فقضى منه يتعدد بين اليأس والرجاء حتى وصلوا النافلة

فقال ابو سفيان ما ترى يا اخا لحم هل نسير معنا الى الحجاز او نزمع الى مكان نوصلك اليه في انحاء الشام أم تريد امراً نقضيه لك

فقال عبد الله اني والله لا ادرى ماذا اقول ولا اعلم ماذا أعمل فارى ان تتركو في هذا المكان افكرا في امري حتى اهم امراً اعمله فاني لا افقه من امري شيئاً

فقال أبو سفيان لسنا ناركين واست في هذه الحال

فقال عبد الله لقد غيرتوني بفضلكم واسيموني حزني تعربيكم أما وقد اصرتم على ذلك فاني أود الذهاب الى عمان لعلي استطلع خبراً جديداً وكانت الشمس قد آذنت بالرطال فباتوا ليتلهم هناك واصبحوا باكراً يربدون عمان فدنوا منها و الشمس قد دنت من مغيبها فقال عبد الله استودعكم الله فاني مدرج الى عمان انتظر ما يأتي به القضاء

## الفصل التاسع عشر

### \* عمان \*

فودعوا وانصرفوا وقد تركوا عنده فرس حماد وبعض الزاد فلما انفرد عبدالله بنفسه نظر الى عمان وقد أشرف عليها من مرتفع فاذا هي مدينة خربة لم يبق من ابنيتها الرومانية الا بضعة متهدمة اعظمها هيكل خرب على تل بالقرب من غدير كاد ما به ان يجف ورأى على مقربة من ذلك المكان بيوتاً حقيقة يسكنها بعض الفقراء لا تكاد تزيد على قربة حقيقة فسار نحو الميكل وقطع ابو على جسر يظهر من منظرن انه كان

عظيماً ونهداً<sup>(١)</sup> فوصل الميكل ماشياً يقود الفرس وراءه وهو بحرص على حرص على  
ابو لانه من آثاره

فأوصل ذلك النساء حتى غابت الشمس وأغاره وجه الافق فجلس على حجر من  
الحجارة الميكل ملقى عد بابو وأمسك بزمام الفرس ونظر إليه فرأه هادئاً كثيباً كما  
شعر بها بخامر قلب عبد الله من المهاجمين فشاركه في الاسف على فقيده ثم نظر عبد الله  
إلى ما حوله فإذا هو في أرض خالية من أنفاس الناس لا يسمع فيها صوت ولا يرى فيها  
الأشباح بعض التلال أو الأشجار أو الأشجار والتفت إلى ذلك النساء على عظيمه فرأى  
الذلة والمسكينة قد ضربنا عليه لما يجلبي فيه من آثار الخراب فكان له بذلك عبرة عن  
مصير الإنسان فتذكرة حالي مع حماد وما مر بي في ذلك اليوم من الأحوال فغلب عليه  
القلق واشتد به الحزن حتى ترققت الدموع في عينيه ثم حاست منه التفاتة فرأى بيوت  
القرية عن بعد فحمدته هوا جسه أنه سجد حماداً بين أهلها فهض بعده بريد الذهاب  
إليها ثم عاد إلى صوابه فقال في نفسه لا أراني إلا في اضطراب أحلام انت حماداً قد  
اصبح في عداد الاموات فعادت إليه أحزانه فجلس على ذلك الحجر وعاد إلى البكاء  
وقضى منه في مثل هذه الحال يتعدد بين اليأس والرجاء وللليل قد سدل ثابة  
وعلا نعيق الغربان وضججت أصوات الضفادع في ذلك الغدير القليل الماء فخاف أن  
يكون في بقائه هناك خطر على حياته من وحش ينترسه أو أصوص تسطو عليه فيقضي  
نحبه قبل أن يتحقق أمر حماد فعاد إلى ذكرى أحزانه فامسك بمسامه وقباه وأجهش  
في البكاء

وما زال في مثل ذلك حتى شعر بالبرد والنعاس على اثر ما قاساه من نعس  
المشي فاستند رأسه إلى جدار الميكل وهو بين اليقظة والمنام وعنان الفرس في يديه فما  
شعر إلا الجحود يصهل ويغتصب الأرض بجواره فعلم أن هناك أمراً ذا بال فوق  
وأصبح يسمعه وحدق بعينيه فلم ير شيئاً ولا سمع صوتاً فعاد إلى متلاه وهو لا يستطيع  
الرقاد لشدة هوا جسه فالقي ناديه إلى الأرض ليستطلع سبب اضطراب الجحود لعله  
يسمع أصواتاً أو يستجيب نبأً جديداً فسمع وقع اقدام كثيرة فعلم أن الجحود لم يجعل عيشه  
وان جماعة قادمون إلى ذلك المكان فهياً نفسه للدفاع وصعد إلى ربوة بالقرب منه

لعله يرى اشباحاً عن بعد فلم ير شيئاً لاس الظلام كان شديداً فعاد الى مكانه وهو يتوقع أمراً خطيراً فشغلة ذلك عن هوا جسو برهة فقضى بقبة ذلك الليل في مثل هذه الحال حتى دنا الفجر وكان قد غمض جنهه قليلاً فافق على صهل الجحود فرأى بالقرب منه جماعة كبيرة من الرجال في لباس البدو فظنهم لا ول وهلة من رجال أبي سفيان لأنهم في مثل زفهم وفيافتهم ولكنه ما لبث ان سمع بعضهم يناديه منهراً ثم هموا به يريدون القبض عليه فهم بالركوب على الجحود للدفاع عن نفوس فتجهروا حوله وهم كثار فلم يستطع دفاعاً فقضوا عليه واوثقوه وساقوه وهو يكاد يتمزق غيظاً فقال لهم ما تريدون مني ولا نأر بيتي وسيكم فناداه أحدهم قائلاً كيف لا ترى ثاراً بينا وبينك واست من رجال غسان وقد قتلتم رسولنا وأهنتم سينا

فقال لقد أخطأت المرمى فما أنا من غسان وإنما أنا غريب في هذه الدبار  
فقالوا إذا كنت صادقاً فيما تقول فبرئ نفسك امام اميرنا قالوا ذلك وساقوه موثقاً وأخذوا سلاحه وفرسه فتشي معهم برهة فأشرف على خيام مضر وبة ورأى جحوداً كثيرة من عرب الحجاز ومعهم الاحمال والانتقال والخيول والجمال فساروا به الى فسطاط كبير علم من العلم المنصوب اماماً انه فسطاط الامير وكان العلم ابيض<sup>(١)</sup>  
ولم يكدر يدuno من الخيبة حتى نتاط الرجال زرافات ووحدانا وكلهم من اهل النادية مكسفو الروؤس نغطي ابدائهم شملات يلتحفونها الاً قليلين منهم وقد لوحت وجوههم الشمس وظهرت عليهم آثار الاسفار ومعظم سلاحهم من الرماج والنبار  
فلما وصل الفسطاط اوقفوه خارجاً ودخل بعضهم ثم عاد فقاده الى داخل فرأى في صدر المجلس رجالاً بعامة وجبة جالساً على بساط وبين يديه بضعة من رجال في مثل لباسه فعرف انهم امراء ذلك الجيش فاستعاد بالله ما هو مساق اليه خطابه الامير قائلاً

من انت يا اخا العرب العنك من رجال الحارث من ابي شمر  
قال لست من اهل هذه الدبار  
قال ألمست من غسان  
قال كلاماً

قال ومن است

قال من لحم

قال وما جاء بك الى هذا المكان ولهم نقيم في العراق . العالك من جاؤوا للجنة  
الروم من لحم وجذام وباقين فقد علمنا ان هرقل قد جند جنداً فيه اخلاق من العرب  
المتصنة<sup>(١)</sup>

قال لست من اولئك مل جنت في حاجة ولا أبى ان اعود

قال أصدقنا الخبر فالمك اسير بين ايدينا

قال قلت لكم الصدق

قال وما دليلك على ذلك

وكان عبد الله قد عرف من لغتهم ولناسهم اهتم من قريش فذكر ابا سفيان  
فظن استشهاده به ينجيه من الخطر فقال ودليلي اني كنت في الامس مع أبي سفيان  
امير قريش وهو صديق لي حميم فاذا كان بينكم اسئلته

فاًتَمَ كلامه حتى قطع الامير وجهه وقال له أأنت صديق لذلك الكافر  
فالمك لم تردننا في شأنك الا شكاً وما الذي جررك الى صداقه هذا الزيف

فارتبك عبد الله في امن ولم يدر كيف بخاص نفسه من ذلك الاقرار ولكنه تجلد  
وقال عرفته منذ نصعة ايام فقط وقد جاء لتجارة الى هذه الانحاء فاصطحبته زماناً يسيرًا  
ثم افترقنا بالامس

قال ذلك وقد تذكر حكاية ابي سفيان وعداؤته لصاحب دعوة الاسلام فادرك  
انه بين يدي رجال صاحب الدعوة الاسلامية فلم يزد شيئاً

فقال له الامير لواقتصرت على كوكك من لحم المكان الامر سهلاً ولكنك أفتررت  
بانك صديق لعدوينا فامت مقيم في اسرا حتى رى ما يكون من امرك ثم امر واخرجونه  
محفوراً الى خيمة مفردة جعلوه فيها



## الفصل العشرون

### \* غزوة مؤتة \*

ولو كان عبد الله من لم ينعدوا الاختار لاستعظم الامر كثيراً ولكنه لعله  
براءته صبر نفسه حتى يمكن من اظهار حقيقة حاله على انه ما زال في ريب من امر  
هذا الجيش ومجيئه من الحجاز الى الشام فاحب الاطلاع على مهنته حتى يعرف كيف  
يخلص نفسه فلما وصل الخليفة جاءه بعض المختر وأخذ بسأله عن أبي سفيان وكيف  
لقيه وبين فارقة فاغتنم تلك الفرصة فقال للرجل الى اين تقصدون بهذا ابيه  
قال نقصد مشارف الشام لحرب الروم

قال وما الذي دعاكم الى حرthem

قال دعانا الى حرthem ما رأينا من وقاحتهم

فقال وما اوجب ذلك وانتم من قربش على ما يظهر ومقامكم في الحجاز وليس  
 بينكم وبينهم علاقة

فقال ان نبينا محمدـا الذي ارسله الله نذيرـا للناس كافة انذرهم بكتاب يدعوهـم  
فيـه الى الاسلام فـما وصل الكتاب الى الغـساني اميرـ العرب المـتصـرقـ حتى مـزـقةـ وـقـتلـ  
رسـولـنا (١) فـاشـتـدـ الـاـمـرـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ فـبـعـثـ مـوـلـاهـ زـيدـ بـنـ حـارـثـةـ فـيـ هـذـاـ الجـنـدـ  
لـقـتـالـ الرـوـمـ

فـقاـلـ عـبـدـ اللهـ قـدـرـأـبـتـ رـسـولـكـ اـلـىـ هـرـقـلـ بـهـشـلـ هـذـاـ كـتـابـ فـلـمـ يـفـعـلـ وـمـثـلـ ذـلـكـ  
قاـلـ ذـلـكـ كـتـابـ غـيـرـ الـذـيـ ذـكـرـهـ لـكـ اـرـسـلـهـ قـبـلـ اـمـاـ قـوـلـكـ اـنـ هـرـقـلـ لـمـ يـفـعـلـ  
مـثـلـ فـعـلـ الغـسـانـيـ فـلـأـنـهـ هـابـ مـلـكـهـ اـمـاـ الغـسـانـيـ فـقـدـ غـرـهـ جـهـلـهـ وـسـوـفـ يـلـقـيـ مـنـاـ مـاـ  
لـقـيـهـ عـرـبـ الحـجازـ وـبـيـنـ مـنـ اـبـيـنـ اـبـيـنـ اـلـاسـلامـ

فـقاـلـ عـدـ اللهـ وـمـنـ هـوـ اـمـيرـ الـجـالـسـ فـيـ صـدـرـ الـخـيـرـةـ وـمـنـ هـمـ اـمـرـاـ،ـ الـذـينـ حـوـلـهـ  
قاـلـ هـوـ زـيدـ بـنـ حـارـثـةـ مـوـلـيـ رـسـولـ اللهـ اـمـاـ اـمـرـاـهـ الـآخـرـوـنـ فـاـلـجـالـسـ مـنـهـ  
عـنـ يـمـنـ هـوـ جـعـفـرـ بـنـ اـبـيـ طـالـبـ اـبـنـ عـمـ نـبـيـنـ وـالـجـالـسـ عـنـ بـسـارـهـ عـبـدـ اللهـ بـنـ رـوـاـحـةـ

(١) السيرة الحلبية

وقد أوصي لها بالamarة على هذا الجيش أكل منها عبد الحاجة<sup>(١)</sup> وقد أمرنا نينا ان نأتي المكان الذي قتل فيه رسولنا وهي قرية يقال لها مؤنة فندعوا اهلة الى الاسلام فان ابو قاتلهاهم حتى نفجهم عن آخرهم او يحكم الله بيننا وبينهم فأدرك عبد الله سر الامر . فقال للرجل وما الذي جنحته انا حتى سقطتني اسيراً وما انا من الروم ولا من غسان

قال لا اظن عليك بأساً من هذا الامر ولو لم تظاهر بصادفك لابي سفيان لكن ذنبك خفيفاً ولكنك ستبقى في اسرنا لعلنا نحتاج اليك في أثناء الحرب فسكت عبد الله وقد هان عليه ما خافه ولبث يتظر ما يأتي به الفدر ولكن ما لبث ان هدا روعه من قبيل الخطر عليه حتى عاد الى هوا جسم بشأن حماد وكلما ترجع له مؤنة تمنى ان يقتل فيلحق به وبعد يومين من دخوله في الاسر تهياً ت ذلك الحملة للمسير الى مؤنة فلنتركهم في طربتهم ولنعد الى حماد وما تم له مع سلمان

## الفصل الحادي والعشرون

### \* حماد وسلمان \*

تركنا حماداً وسلمان وقد خرجا من الدبر وسلمان يفضل العدول عن ذلك الطريق لما خافه من مسبعة الزرقاء وحماد يحب البيو المسير فيه خوفاً من طول المسافة اذا عدلا عنه

فلما رأى سلمان اصرار حماد اطاعه وسارا في اقرب الطرق ولكنه ما لبث خائفاً غائلاً ذلك السبيل فعول على الاحتراس والتخاذل وسائل الوقاية فاوعز الى حماد فليس درعه تحت اثوابه وسارا حتى امسيا بالقرب من غدير نلا على ضفتها فالبنا ان تناولا شيئاً من الزاد حتى تعاظمت هوا جس سلمان وكان نفسه حدثة بخطر قريب فهم بمحبس المكان قبل اشتداد الظلام . وكان حماد قد زرع عباءته وسلامة وجعلها الى

جانب على ضفة الغدير فلما نهض سلمان بهض حماد معه وقادا فرسيهما وراءها وصعد الى اكمة اطلاقا منها على السهل المدق بها وجعلها ينظران الى ما حولها من السهل وفيها بعض الاكاما تراى كأنها جماعات من الناس او اسراب من الالوش فهمها ذلك المظر ثم سمعا زئيرا عن اعد فأجلل الجوابان واخذوا يغصان الارض بحوارها فقال سلمان ها قد ادحى الخطر بنا وهذا ما كنت اخوفه يا سيدى فهم بما الى النجا . فقال حماد وماذا يجيئنا فالنعت سلمان فرأى شجرة ف قال عليك بهذه الشجرة تسلق اغصانها فان الاسد لا يقوى على الوثوب اليها فاسرعا وقد نسي حماد سلاحه وعباءته فشدا الجوابان اليها وتسلقا اغصانها والجوابان لا يفكان عن الصهليل ثم سمعا صوت الزئير يدنو منها فتمسكا بالاغصان وها بمحاذر ان يراهما الاسد مع علمها بامتناعها عليه تم ما لدنا ان رأياه وانما عن اكمة بالقرب منها اما الجوابان فانهما اجفلوا وصهلا صهلا طويلا ونtra بریدان الفرار فاقطع زمام فرس حماد فطلب عرض الصحراء وما فرس سلمان فلم يستطع التخلص قل ان ظفر بوالاسد فقضى على صدره بحاله فوق الفرس الى الارض فهم بوالاسد فمزق عقدهما وفصال دمه فأخذ ينهش في لحمه

ثم وقف الاسد ونظر الى ما حوله فرأى عباءة سلمان فهم بها كأنه ظنها رجالا فجزقها بين ايديه ومخالله اي مهرق واخذ بنابل بشيشه المعهودة حول الشجرة وقد تسم رائحة الرجلين في اعلاها مع عبن عن ادراكها فجعل يحلك جلد بحدتها وبزار اي زئير حتى مالت الشجرة بها وخافا السقوط فتمسكا بالاغصان وثبتنا في مكانها وقلداها يختفان خوفا وحدرا واسد لا ينفك عن الزئير والمسير ذهابا ولبابا وعياته تتلالان في الظلام كأنها سراجان منيران والدرس يخور خوار الثور حتى مل الاسد فزأر زأرة دوى لها ذلك السهل الواسع ورددت صداتها تلك الاكاما وارسل ذنبة فوق ظهره وعاد من حيث أتى فلمنا يراعيها في مسبيه وهو يخطر المبويا منجذرا نبها وعيها حتى واراه الظلام عنها ولكنها ما زلا يسمعان زئير عن بعد وها صامتان لا ينسان بنت شفة فلما تحققنا النجا منه وها لا يصدقان انها نحوها قال سلمان أرأيت يا سيدى ما كنت اخافة فشكرا الله الذي انبت هذه الشجرة في هذه الصحراء لتكون سبيلا لنجاتنا من الموت بين مخالب الاسد

فتحقق حماد عظم الخطر الذي نجوا منه ولكنّه اسف لذهب فرسه . فقضىا  
معظم الليل مستترین في تلك الشجرة يخافان الانحدار منها حتى انبثح الصبح فنزا ونظرا  
إلى فرس سلمان فإذا هو مضرج بدماء ولا حياة فيه فقال سلمان هلمَّ هنا نطلب عان  
على اقدامنا وقد كان في طاقتنا ان نذهب اليها راكبين ولكن هذه اراده المولى فنشكره  
لنجاتنا من مخالب الاسد وما خسرناه انا هو متعاع يسهل التعب بعض منه

قال حماد ان الفرس عزيز عندي كما نعلم فهو نظرنا نظره وبعد  
قال دعا ولأفراس فان منها شيئاً كثيراً حيثما حللا فسرينا حالاً لقطع هذه  
المسبعة قبل ان يدركنا الظلام  
قال ولكنني اعزل وقد تركت السيف والرمح والعاشر على الغدير فعد بنا  
للحث عنها

قال لا أراني قادرًا على تعين المكان الذي كان فيه لأن الطريق تشابهت عليه  
وأخشى اذا اطلانا البحث ان تهوننا المرة للنجاة وقد نجحنا من الاسد مررتين فلا نأمن  
ان ننجو منه في المرة الثالثة ونحن على اقدامنا فهم بنا

عاطعة حماد وسارا الى عان فوصلها وفاما فيها بقية الشهر المعين فلم يأت  
عبد الله فقضىا اسبوعاً آخر وما على اخر من الجمر فلم يأت احد فابتاعا جوادين  
آخرین عادا عليهما نحو بصرى عن طريق غير التي جاءا بها خوفاً من غاللة الاسود  
وما في هاجس على عبدالله وغيا به واخذوا بدران وسيلة بدخلان بها المدينة او ما  
جاورها ولا يعلم بها ثعلبة او احد من رجاله

اما حماد فكان بين هاجسين عظيمين هد من جهة وعبد الله من جهة اخرى  
ولكنه شكر الله لبقاء الدرع لانها تذكرتين عنده

فلنندعها في حيرتها ولذهب بالفارى الى بصرى وما كان من امر ثعلبة بعد ان  
تم له القبض على عبدالله وارسلوا مختوراً الى بيت المقدس كما قد رأيت



## الفصل الثاني والعشرون

### ﴿ عوامل الغيرة ﴾

تركنا ثعلبة بعد ذهاب عبد الله في بصرى وفي نفسه غلٌ على هند لا يهدأ له بال إلا باليقاع بهماد فبك رجالة في ضواحي المدينة للبحث عنه فلم يقف له على خبر فانفذ نفرًا من خاصتو سرًا يتجسسون حال عبد الله بعد ذهابه إلى هرقل فانبأوه بما كان من عنو الامبراطور عنه ومسير مع أبي سفيان ولكنهم لم يعرفوا عنه شيئاً بعد ذلك لأنهم لم يقرأوا على مراقبة القافلة خوفاً من اكتشاف أمرهم أما ثعلبة فامة اندفع بعوامل الغيرة على الانتقام من حماد وأيقاع الأذى بهند وشعر بانعطاف إليها لا حجاً بها بل رغبة منه في أن يحررها من حبوبها وقد تكون تلك الغيرة سبباً للحب الحقيقي على ما سراه عادة في الناس فقد يعاشر الشاب فتاة أعواضاً لا يهمنها من أمرها شيئاً ولا يخطر له الافتتان بها وربما كان في نفسه ترفع عنها وقد يزعم أنها لو عرضت عليه لا يرضيها فإذا آنس منها ميلاً إلى غيره أو رأى غير ميلاتها وخاصة إذا كان الحب متبدلاً بينها فان عوامل الغيرة تثور في قلبه ويتحول حبه الماتر إلى شغف شديد ولا يرتاح له مال إلا بليلها ولا يقتصر ذلك على هذا النوع من الحب ولكنه يتناول سائر أنواعه فقد ترى عقاراً أو متعاماً معروضاً للبيع ولا يهلك ابتهاعه فإذا رأيت الناس يقبلون عليه آمنت في نفسك ميلاً إلى شرائطه والظاهر أن ذلك غريزي في الناس على اختلاف ادوار حياتهم فإذا اردت أن تطعم الطفل شيئاً لا يحبه نفر منه فإذا ظهرت باعطاً ذلك الشيء إلى سواه رأيته يطلبها بمعاجة ويتناوله بلذة

ثعلبة لم يكن بهمة امر الزواج بهند ولا هو أحدها حب الزواج إلا بعد ما آنس من ميلها إلى حماد فدفعته عوامل الغيرة إلى الافتتان بها ولكن خبث فطرته جعل ذلك الميل مقرضاً مالانتقام وما لم يجد سبيلاً إلى ذلك بالقوة عمد إلى الحيلة فحدثته نفسه أن يشكوها إلى والديها ويكشف لها ما كان من انفرادها بمحماد في الدبر ولكنة خاف أن تكون تلك الوشاية سبباً لغضب عمها حتى ينقلب عليه لعله بمنزلة هند عنده فربما صدقها وكذبها ورغب في حماد عنه . فلم ير سبيلاً إلى شفاء غلو إلا بخطبتها من

ابيها وهو يعلم ان والدها لا يرده فلما عاد ابوه من بيت المقدس بسط له عزمه على الاقتران بها لما بينها من رابطة القرابة فسر ابواه بذلك ووعده ان يخاطب جبلة في الامر

فركب ذات يوم الى البلقا في موته وحاشيته فاستقبله جبلة بالتحلة والاكرام  
وان يكن في نفسه منه غيرة لاحرازه الوجاهة عليه لدى هرقل فما التقى ودار الحديث  
بينها ذكر الحارث رغبة بصاهرته فادى له ارتياحاً ووعده بناء الامر قريباً وهو  
غافل عما تضمن هند من البعض لشعلة والاشتغال بحب حماد

فلما رجع الحارث الى بصرى خلا جبلة بامرأته تلك الليلة وذكر لها الحديث  
الحارث فلم يسمع منها ايجاباً ولا سلباً لعلها بما في نفس ابنتها من الاحتقار لشعلة ولكنها  
استهانة ريشا نطاح الفتاة ونطاع على رأيها وان تكون عوائدهم لا يتعي للسنات حق  
الاختيار في مثل هذا الشأن ولكن هند اكانت متغلبة على عواطف والديها حازمة  
على نهود يؤذن براجعتها واستشارتها

### الفصل الثالث والعشرون

#### هند وأمها

اما هند فقد تركناها ليلة الدبر عائنة الى القصر وقد تكفت من حبت حماد  
والاعجاب شهامتها الى درجة لم تعد تراعي معها حقوق الوالدية وخصوصاً بعد ما عاينته  
من غيرة شعلة وغدره ولكنها وصلت القصر وقلبه لا يزال مشيناً حماداً في عودته وهي  
تدبر حيلة لخلص بها من لوم والديتها على غيابها فلما دخلت القصر رأت والديها في قلق  
لغيابها فبادأتهما بالتعتب على تأخير الخادمة بالاساور فقالت الوالدة اتنا مستحيدين  
الاساور واعدنا الخادمة بها لتعذيل حضورك فادع هند ابنتها انظرت رجوعها حتى  
حلك الظلام فلما ابطأه استصعبت بعض خدمة الدبر حتى اوصلها الى ذلك المكان  
فاستغربت والديتها ذلك الاتفاق وجعلت تعتذر لها عما حملتها من المشقة وقالت  
لعل الخادمة سارت اليك من طريق غير الذي جئت به ولا تلبث ان تعود

فقط اهربت هند بالتعب وسارت الى غرفتها وهي غارقة في بخار الموجس وقلبها واجس على حماد من غدر ثعلبة لا تعلم من لومه وخيانته فقضت تلك الليلة بليل هذه الموجس لم يغرس لها جفن الى قبيل الصباح فنامت قليلاً فلما أصبحت جعلت تنفس الاخبار من يذهب من خدمة صرح الغدير الى بصرى لا ينبع حاجيات الفصر

فما لبثت ان علمت بالقبض على عبد الله وفرار حماد فشكت الله على نجاته ولكنها ظلت في خوف عليه وهي لا تستطيع سبيلاً الى الوقوف على خبر فقضت بضعة ايام منفحة النفس لا يلذ لها طعام ولا يهأ لها عيش حتى ظهر أثر ذلك على وجهها ووالدتها تبالغ في تسليمها وتستعرب ما ألم بها وهن تعتذر بالحراف صحتها على أثر التعب من ليلة الدبر

فجعلت تصطحبها في أثناء النهار الى ضواحي الفصر تقضي الساعات معاً في البياتين على ضفاف الغدير وهن لا تزداد الا انفاساً وضعفاً حتى امتنع لونها وقل طعامها فارتابت والدتها في امرها وازدادت حنقاً لها ومهلاً لاستطلاع حقيقة حالها فلم تجد الى ذلك سبيلاً . وقد قدمها ان سعدى كانت من الذكاء والفطنة على جانب عظيم فأمسحت في ابنتها ظناً وخيلاً لها ان لذلك التغيير سبيلاً منها فعولت على اغتنام الفرص لكشف ذلك السبب فلما خاطبها زوجها بأمر ثعلبة ورغبتها في هند اخذت ذلك الامر وسبيله لاستطلاع ما في صبرها فدعها ذات يوم للخروج معاً الى الغدير على حد فاًمرت بعض الخدم فأعدوا لها وسائل الراحة فخرجنا حتى اتنا ضفة الغدير وكان الجو صافياً والنسم عليلاً وللما يجري امامها وكانت هند بلباس البيت وقد ضفرت شعرها ضفيرة واحدة ارسلتها على ظهرها وشدت عصابة حول رأسها كمن يشكى الصداع فقضت مسافة الطريق من الفصر الى المكان المقصود تسير الهوينا صامة تجر ذيل رذائها وراءها ونشاغل نارة في رفعه عن الارض لنلاً يعلق ببعض الاشواك المابنة في ذلك السنان وطوراً تلهو بالتأمل في ما يتطاير عن اشجاره من الطيور فلما وصلت المكان انكلأت على وسادة من الحرير المركش صنع دمشق فوق بساط ثمين تحتح شجرة ظللتها ساعة العصر وكانت والدتها قد جمعت بعض الازهار في ضمة واحدة جاءت بها اليها فتناولتها هند وهي لا تتكلم فهمت بما زحها فقالت اليك هذه

الا زهار فان لقد يها معنى هل تفهمونه  
 فتناولت هند الا زهار وهي لا تفهم المراد  
 فقالت لها والدتها ما بالك لا تخيبيني على سؤالي  
 قالت اسألني فاجبيك  
 قالت قد سألك فأجبت  
 قالت لم تأسلي ولا اجبنك  
 قالت ملى قد أجبت  
 قالت كيف ذلك واما لم أفهم بكلمة  
 قالت ان تناولك هذه الا زهار من بداي جواب على سؤالي  
 قالت لم افهم مرادك يا أماه فافصحي  
 قالت اضمرت في باطن سري واما اقدم هذه الا زهار اليك امك اذا قبلتها من  
 يدي كان أخذها جواباً على ما في نفسى  
 قالت ما لي اراك تحاطبني بالرموز فاني لم افل شيئاً  
 قالت ما لنا ولهذا فاني اسألك سؤال آخر فهل تصدقيني فيه  
 قالت قولي فاني طوع امرك  
 قالت أتحبب ان عملك ثعلبة  
 فلما سمعت اسمه بغضت وعلا وجهها الا حمرار ثم عقبة الا صرار بغنة وظهر الانقباض  
 عليه ولم تجتب  
 فقالت والدتها قد وعدت بالجواب ولا اراك تخيبين  
 قالت لاني لم ار مسواها لهذا السؤال ولم افهم مرادك منه وانت تعدين منزلة  
 هذا الشاب عدى  
 قالت بما لنا والمراجع فاني اسألك سؤالاً صريحاً فأرجو الجواب عليه ضرباً  
 فهل تحبب ثعلبة . فتجاءحت قائلة أليس هو ابن عي فاحبة معبة الاعام  
 وان يكن لا يستحق هذه الحبة  
 قالت ولكنني اسألك هل تخيبيني حبة غير هذه . فادركت هند مغز كلام  
 والدتها فنفرت ولم تجتب

فاقتربت سعدى منها حتى احذق جنبها وقلت ما بالك لا تجبييني فان والدك كلفني  
بالسؤال عن ذلك فاذا اجيبة

فسكتت هند ولبنت برهة نظر في مراد امها فتبسمت من وراء هذا الكلام  
 شيئاً فرائته على ملابع وجهها ولكنها تجاهلت واظهرت عدم الاكتراث فظلت متكتمة  
نظر الى والدتها شذراً كأنها تقول لها كفى المزاج في هذا الموضوع  
فكررت والدتها السؤال بهذا المعنى فاعتدلت هند في مجلسها ونظرت الى  
والدتها والاستغراب ظاهر على وجهها وقالت افصحي يا اماه فان لسؤالك معنى  
اقبضت له نفسي فما تعنين بمعي لهذا النذل السافل غير الحب الذي اوجده القرابة  
رغماً عنني

فهمست والدتها ما في قلب هند من الحقد على ثعلبة وكانت قد لاحظت منها  
ذلك قبلأ فارادت المبالغة في التجاهل حتى تستطع افكارها فقالت لا نساري الى  
الطعن في ابن عمك فاما سيكون أقرب اليك من ذلك

فنفرت هند حتى وقعت الا زهار من يدها ونظرت الى والدتها نظر العجب وقالت  
لها ارجو ان لا اسمع منك يا اماه ما يقدر عواطفني فاني لا ارى مسوغاً لتکديری  
بهن الالغاز فليس لثعلبة وطر عندي ولا هو من يطبع بقرابة فوق هذه فوحشك لو  
استطعت التبرؤ منه لتعلمت وانت أعلم الناس بمنزلته عندي واظنك اقدر مني على  
الجواب عن هذا السؤال أم أنت تمازجني

قالت بل اقول الجد فان عمك المحارث خاطب والدك بشأنك فاذا تجيبة  
فالتفتت هند الى والدتها باستخفاف كأنها تقول لا اصدق ما تقولين  
فاجابتها بملامع عينيها ولبسامها انها تزيد الجد وقالت لا بل اسألك سؤالاً  
صربياً هل تخبين ثعلبة

فتهضبت هند عند ذلك ونظاهرت بجمع الا زهار التي كانت قد وقعت من يدها  
وازداد وجهها امتناعاً وظننت سكوتها جواناً كافياً وظبها في محله ولكن سعدى كانت  
بالغ في التجاهل لعل الحديث يجرها الى معرفة سبب انياض ابنتها بعد ليلة الدبر فقالت  
لها ما بالي اخاطبك فتشغلين عن جواي العمل خطابي لا يستحق الجواب عدك  
فترامت هند على صدر والدتها بدالة الوالدية وقبلت يدها وقد خجلت لهذا التوجيه

وقالت حاشاي ان افعل ذلك يا امه ولكنني أتعجب لسؤالك واصرارك على طلب الجواب وانت تعلمين اني اريد التبرئ من القراءة القديمة فهل اجرأ علي عيما آخر وليس لشعبة وطر عندي

فقالت أظنك شغات عمه بغيره . قالت ذلك وظاهرة بالمزاج ولكنها آمنت في وجه هند نغيرا سريعا فعلاه الا حمارة بغنة وسكتت  
فقالت سعدى ما بالك لا تجيبييني واري وجهك بتكلم وعيماك تعرفان فما بال لسانك لا ينطق

فتقذكرت هند حبيبها واشتغالها و عن كل شيء و نصوّرت ما أنها شعبة من الاذى له فاشتد بها الامر حتى ترفرقت الدموع في عينيها تحولت وجهها عن والدتها اخفاء لما كاد يظهر من عواطفها ونشاغلت بمراقبة غزالٍ نافر رأته يسب على القلال عن بعد وظلت صامتة ويكاد الدموع ينبع من عينيها

فازدادت والدتها ارتياها في شأنها ف وقالت في نفسها هن هي الفرصة المناسبة لكشف الخباً ف وقالت لها ما بالك تحولين وجهك عني يا هند العلك تخفيين شيئاً فظلت هند ملتفة وتحت ا تكون في خلوة لتطلاق الدموعها العمان

فاما مسكنها والدتها بيدها وحوارات تحويل وجهها نحوها فافتنت هند وغضبت وجهها بكدها لثلا يظهر يكاؤها فتحققت سعدى ان هندا تبكي فكاد قلبها ينفطر عليها ف وقالت ما بالك يا هند ما الذي يبكيك أعلی اصبت ظني وهل انت تخفيين شيئاً عني فاوغلت هند في البكاء وهي تخاذر ان تسمع والدتها شهيقها حتى بللت كعها ولم تستطع النسلط على عواطفها فتحققت سعدى ان هندا قد وقعت في الشراك وان قلبها في شاغل ولكنها لم تفقه لحقيقة الحال فحاولت استطلاع السر ف وقالت اذن انت في شاغل عن شعبة

فظللت هند صامتة بخجل وقد سرت وجهها بكدها بين يديها فسكتت سعدى واخذت تفك في من عسى ان يكون ذلك الشاغل وخافت ان تقع على ابنتها بالسؤال فتزدهر بخجل فلا تعرف لها بالواقع

فمضت بضع دقائق وها صامتان واخيرا ظاهرة سعدى بالجد ونادت هند قائلة أما وقد ظهرت ما ظهر فلم بعد ثم داع الى الاخفاء فقد تحقق لدى انك في

شاغل ذي بال فاخصعي يا ابتي وقولي ما في ضميرك فاني والدتك وانت تعلمين  
حي لك فاجعليني مكان سرتك واتخذيني صديقة لا والدة واطلبيني على مكنوبات قلبك  
فتخن الان في خلوة لا برا ما احد وقد قضيت اياماً اوكر في ما غيرك وقضت تقسلك  
وانت تخفين عني حقيقة حالك . أما ابن علك ثعلبة فانه لن ينال منك شعرة لانا اعلم  
الناس بـ وهي ان والدك رضي به فانا لا ارضاه لك

ثم همت بها وضها الى صدرها وقلتها وهند تداعى في نغطية وجهها حباء فقالت لها  
سعدى افصحي يا ابتي واخبريني فقد نفذ صوري قولي ما في سرك فاني معينة لك على مرادك  
فلسمعت هذكلام والدتها رفعت رأسها من بين يديها فنظرت الى والدتها بعينين  
قد اذبلتها الدموع وغيرها الهياق وحاولت الكلام فتنعها الحياه فاعادت وجهها الى  
ما بين يديها واقت نفسها على صدر والدتها وقد أخذ المياه منها ماخذ عظيمها  
فرفعت سعدى رأس هند بين ذراعيها وقالت قولي يا ولداه لا تخافي فاننا في  
خلوة لا براانا احد هل تخفين احداً

فتهافت هند تنهداً عميقاً ولم تجتب فاتخذت والدتها التهد جواباً شافياً فقالت  
ومن ذا الذي تكن حبه سرك حتى نسلط على قلنك ونحن نحسبك اثنت جاشاً من  
الرجال وما عهدي بك مسترسلة لعواطفك الى هذا الحد  
فاطرقت هند وقالت لا باس بي ولا انا احب احداً ولكني احب الخلاص من  
هذا العالم فاني تعيسة قد كتب علي العذاب من يوم ولدت . قالت ذلك وعادت الى البكاء  
فاصدع قلب والدتها بذلك وجعلت نفسيها ونفسها الى صدرها ونقول ما هذا  
الكلام يا هند أعلمك يئسة ممن تخفين

فنبذت هند الحياه عند ذلك وقالت نعم يا امامه الذي يئس فابكي على ابنته  
وانديها فابتها تعيسة شفقة . فتحققت سعدى ظنها وارادت معرفة النافي

فقالت وما سبب تعاستك وانت فتاة غسان وزهرة هذه البلاد والناس يتحدثون  
بنعفلك وبمحضك اترابك على مقامك  
فقالت على اي شيء بمحض ونبي

هم يحسدوني على موتي فوا اسف \* حتى على الموت لا اخلو من الحسد

فازدادت سعدى تحرقاً وتساقط الدمع من عينيها وهي تحاول التجدل خوفاً على هد  
وقد ادركت انها غالفة بمحب رجل لا سبيل لها اليه فقالت لما لا تذكرى العاشرة  
واستر الامن الناهية ولا تخشى بأساً ولما الآخنة يدرك العاملة على رضاك فاصحي عن  
ضميرك فقد كفانا بكاءً وأعلى ان شعلة سيرتد خائباً ولو كان مستهلكاً في هواك  
غمرّقت هند اسنانها عند ذكر شعلة وقالت ان الشركة من هذا المخائن وهو  
وحده سبب هذا الشفاء وهل تظنين رغبتي في خططي من عظم حدو لي  
قالت وكيف اذن

قالت انه فعل ذلك انتقاماً من ذلك الشهم الذي ابقى على حياته كرماً وافقة  
فتقذّرت سعدى حكاية السباق وما كان من شهامة حماد واحست كأن غشاوة  
انقضت عن عينيها فايقنت ان الفتنة مفرمة بمحاد فبغمنت ولم تبد جواباً لعلمها ان  
الرجل غريب في تلك الدبار وكانت قد سمعت بقراره والقبض على والدته بهمة  
الجاسوسية فوقعت في حيرة على انها لم تفتر من ذكر هذا الشاب في عرض الحديث  
بل كانت ترنّاج الى ذكره والتحدث عنه لما ظهر لها من شهامتها وكرم اخلاقه ولكنها  
استغربت وقوع هند في هواه مع انتهاءها وعلمها بعموض حسي و عدم سنج الفرصة لها  
للجماع به وحسبت وقوع ذلك من قبيل التقادير الالهية

فيحضرت هند اليها ل تستطلع ما يظهر منها بعد هذا التمييع فلما رأتها صامتة قالت  
ألم أقل لك اني تعيسة فيها ان مجرد الاشارة الى سبب بلاي اضاع حنوك والفالك  
في حيرة

فقالت كلاماً يا ولدي فقد وعدتك بالانتصار لك ولا ازال على الوعد ولكن  
الخبر جاءني على حين غفلة فبغت له فهل انت تخمين ذلك الشاب انه بالحقيقة شهم  
كريم النفس وانت تعلمين متزانة عندي من يوم السباق  
فسكتت هند وكان سكونها جواباً صرحاً

فعادت سعدى الى استغراها واستعطممت زفاف ابنتها الى رجل لا يعرف له  
حسب ولا نسب فضلاً عن اتهامها بالجاسوسية والقبض على والد وغضبه الحارث  
وشعّلة عليه فلاح لها ان بناء هند على عزمهما سيكون سبباً لنفور بين زوجها وابن عمها

ولكنها لم تستطع مكاشفة هند بذلك خوفاً عليها من سلطان الغرام بعد ما عاينت من شغفها وشدة تعزفها بمحاد فعمدت الى الملاية وسايرتها في محري عواطفها ريثما ترى ما يكون من أمر ثعلبة وقبضه على حماد فقالت لاستها ان حماداً أهل الحك ولكن كيف بلغت الى هذه الدرجة من الحب والرجل غريب عما

فقطعت هند الكلام وقالت ألم اقل لك اني صائعة الى الملائكة لاني علمت بما يخامر ذهنك ولكن ما العائق من كل ذلك وحماد في مكان لا نعرفه ولعلة ذهب فريسة غدر ذلك اللئيم قالت ذلك وعادت الى البكاء

قالت والدتها لا تخزعي يا هند ان الله على الباغي ولكنني استغرب بعد ثعلبة الايقاع بهذا الشاب وليس بينهما علاقة

قالت هو الحسد والغيرة ولو لم اطلع فوالله ان هذا الخائن لا يساوي قذة من نعل حماد قالت ذلك وهي تشرق بدموعها

فاخذت سعدى تخفي عيها واطهيب قلبها حتى سكن روتها فاحسنت الاطلاع على نار من ذاك الحب وكيفية وقوعه فقالت لها كيف تسلمين فلنك الى رجل لا تعرفين حسبة ولا نسبة وانت في ما عالمت من تعقلك ودقة اطرك وحسن روتك

قالت امة حبيب نسيب وسياه في وجهه

قالت ان الوجه لا تدل على الاحساب يا ولدي

قالت قد علمت امة من امراء العراق وهذا يكفي وهي امة اقل من ذلك فقد تسلط على عواطي بقعة من الله تجد اسد فهرازد اهانتك على مكنونات قلبي . قالت ذلك واطرقت حياء وقلبت رقص فرحاً لما آتتني من مجازة والدتها وعدها بالمساعدة

قالت سعدى وكيف عرفت

فاتتهن هند لا ارتکبة من الكدب في ذهابها الى دير بغيراء فهبت ييدي والدتها وجعلت نقلها ونقول اصفعي عن زلتى فقد ارتکبت ذنبًا يوجب غضبك

قالت وما ذا تعنين

فاحدكت لها حكاية دير بغيراء واعترفت بكل ما دار بينها وبين حماد باختصار وحشة وهي اطرق زارة وتنسم اخر ووالدتها صغييرة نطاول بعنفها حتى انت على آخر الحكاية فاحسنت كأنها او قلت من غناية فسايرتها وظلت قلبها ولكنها صبرتها

قالت خفي علىك يا ولدي وكوني محتاجة فالي كافية نجاتة باذن الله ولا بد من  
الصر و التوّدة لنرى ماذا تم من امر حماد وفراه

قالت ذلك وهي ترتاد مقاشه حياً وكانت تحدهما نسها باعظام عمل ابنتها وتنازلها الى حب رجل غريب وعدت نسها مخالطة بمسايرتها في ذلك ولكن ضعف املها ببقاء حماد في قيد الحياة كان يهون عليها ذلك فنالتقت في طائشها حتى وصلت الى صرح الغدير وقضتا بعض تلك الليلة في مثل هذه الاحاديث وفي الصباح التالي ندأت سعدى تشتعل باستطلاع خبر حماد فعملت بعد ايام ان هرقل عنا عن عبد الله وامر له بكتاب الامان فاخبرت هرقل بذلك فاطمأن ما لها لعلها امة اما فرق خوفا من شعلة وإنها مو بالجاسوسية فقدت نترقب من يعلمها بغير حماد لشاغلة ذلك فلم تجد البيو سبيلاً فلما طال غيابه زاد قلقها عليه فصررت نسها تتضرر ما يأتي به الغدر وهي تنذر النذور سراً للدبر بحيرا



## الفصل الرابع والعشرون

منادي دير نجران

ففيها هي ذات يوم جالسة في غرفتها تفك في أمر سمعت منادياً بجوار القصر يقول «من نذر نذراً لنجران المبارك»<sup>(١)</sup> فاطلته من الماء فرأته فارساً متزمراً بعباءة وعلى رأسه قنسوة الرهبان وفي يده صليب من النضة فلعلت انه منادي دير بحيراء يطوف البلاد والقرى بجمع النذور على جاري عادته في كل عام

فلما سمعت اسم ذلك الدبر هاجت عواطفها وتندرت حبيبها وما دار بينها وبينه هناك فتوسمت في ذلك المنادي خيراً لعلها الله كثیر التجوال فاحت مدانته اعلها تستطلع منه خبراً سمعه عن حماداته نحو الو فامرت بعض الخدم ان يستقدمه ففعل فتحول الرجل ودخل القصر حاملاً خرجاً فجاء به الى هند فحيباً تجية الملوك وبأولها الصليب فقبله وقبلت يده وقدمت له وسادة جلس عليها ووضع المخرج الى جاسو

وكانت امها في شاغل بعض مهام القصر وليس في الغرفة سوى هند فتأملت وجه الرجل فاذا هو غير الراهب الذي كان يرى بهم عادة فحافت ان يكون قد جاء بجيبلة للسرقة او نحوها فسألته اذا كان يريد الذهاب الى قاعة الطعام فاثني على كرم الغسانيين واعذر بآمة لا يحتاج الى طعام

فقالت من اين اتيت يا حضره الا بـ

قال اتيت من نحوالي في جهات اللقاء اجمع النذور  
فقالت هل جمعت شيئاً كثيراً

قال نعم يا سيدتي ان المسيحيين في هذا العام اكثروا من النذور حتى ملأت خرجي هذا من خبرائهم وتناول المخرج يده وهنّ فسمعت له صوتاً يشبه صليل الحديد

فقالت ما هي ا نوع النذور التي جمعتها هذا العام اني اسمع لها صليباً

(١) مهم ياقوت (ونجران اسم من اسماء دير بحيراء)

قال ان في خرجي هذا نذوراً كثيرة لم يدخل دير بحيراً مثلها منذ عمر حتى العام  
قال ذلك وتسم فارناتس هند بقوله وادركت ان وراء تبسمه معنى خفياً  
فقالت وكيف تأتي لك ذلك والنذور تحمل الى هذا الدبر ذهناً وفضة وحجارة  
كريمة من افاصي البلاد.

قال لم اخرج هذه المهمة الا في هذا العام فجئت بالمعجائب الغرائب  
فرأت في كلامه لهجة غريبة فلم تستغرب ذلك لعلها ان الرهبان في دير  
بحيراً اخلاط من امم كثيرة ولغات شتى ولكنها ازدادت شبهه في مغزى كلامه  
فقالت وما هي الغرائب التي اتفقت لك دون سواك

قال جئت الدير بنذر لم يسبق له مثيل لا لغلاء ثنو سل لغرابته قال ذلك  
وحل رباط الخرج وبدى اليه وحاول اخراج ما فيه فسمعت صليلاً كصليل الدرع  
فتندرت درع حماد فاختلط قلبها في صدرها وعلا وجهها الاحمرار فقالت هات ما  
عندك فاستخرج يده وفيها قطعة من درع لم يقع نظر هند عليها حتى اتفق لونها  
وغلبت عليها البغية لما آنسست من المشابهة بينها وبين درع حماد فتناولتها وتأملتها  
فاذا هي هي بعينها فالتفت الى الراهب فرأته يتغافل عنها ولكنها فرأت على وجهه سريراً  
يمحاول اخفاءه والا بتسام يكاد يظهرن فابتدا درنة قائلة من اين اتيتك هذه الدرع ومن  
هو الذي اعطاكها

قال اعطانها صاحبها

فقالت هل تعرف مكانة فانها مسرورة من عندما  
فالتفت اليها قائلًا لا اظن صاحبها سارقاً مل هو رجل امين وقد اتبعها بمن  
غال جداً

فقالت ربما كان ذلك كما تقول ولكنني اعلم ان هذه الدرع كانت عدنا فلا  
يبدئي من روبي الذي اعطيها فهل هو قريب من هذا المكان  
قال هو قريب جداً واذا صدق ظني فهو في اقرب مكان منك وانت تعلمين  
انه ليس سارقاً

فادركت انه يلغز بمحاد وانه عالم بشيء ما بينها فتجاهلت ولكن الحباء والبغية  
غلياً عليها فقالت ما تعني بهذا الكلام أراك تقول جزاً

قال كلاماً ياسيدتي أني انكلم عن ثقة وأكذب تجاهلين في الحقيقة ظاهرة على وجهك فخفقت عد ذلك انه رسول من حماد ولكن سوء الظن سبق الى ذهنتها مخافة ان يكون قادماً بدسسة من ثعلبة فتجاهلت ابداً وفالت اراك تقول كلاماً لا افهمه او لعلك مخاطئ في ظنك

فاز لست مخططاً لاني انكلم عن ثقة وان شكت بفالى سلي الاساور نصدقك الخبر  
فقالت واي الاساور تعنى

قال الاساور التي يبعث هن الدرع بها اذا بالغت في التجاهل جئتكم بتاجر  
المخل عينه

فايقنت عند ذلك انه رسول حماد اليها وحدثتها نفسها ان تسلّم عنه صريحًا  
ولكنها تجلدت ربها تخبر والدتها بذلك فنهضت للحال ولم تته بكلمة وسارت الى غرفة  
والدتها وخلت بها واخبرتها بما كان فقالت والدتها اخشى ان يكون الرجل جاسوساً  
من ثعلبة فلا تبوي لشيء قبل ان تتحقق رسالته

تجاءت سعدى وهند تبعها فلما دت من الراهب وقف لها وحياتها فناظهرت  
باجفاء قائلة . أعلمك قادم من دير بحيرا . الان  
قال كلاماً ياسيدتي بل اما آت من البلقاء

قالت أربني الدرع فاراها ايها فتحققت انها الدرع التي ناها حماد جائزة سقوط  
بوم السباق فتناولتها من بين وقالت له ان هذه الدرع مأخوذة من عندنا ولعلها  
مسروقة فهل تعرف الذي اعطاك ايها

فتبرسم الراهب تبسم ايازجه ريب وقال أظني اعرفه  
فقالت وابن تركته

قال تركته في بعض قرى البلقاء على بعض ساعات من هذا الفصر

قالت هل هو مقيم هناك ام راحل

قال هو مقيم يتظر عودتي

قالت ( وقد استغربت ذلك ) وماذا يتوقع من رجوعك وانت تقول انه دفع  
اليك هذه الدرع ندرأ ندره الى الدبر فما معنى رجوعك اليه . اني ارى في كلامك  
تناقض

قال لا مناقضة في ما أقول لأن صاحب هذه الدرع شرط في ندره أنها لا تكون  
ندرًا إلا بعد أن أعود إلى بيت عن أمره قال ذلك وهو ينظر إلى هند نظر  
عينه كأنه يتنتظر إشارة منها فآتاه في وجهها اشرافاً فتبسم وأوْمَأَ بمحضه نحو والدتها  
كأنه يقول لها هل أتيت بالسراماها

فتفققت هند أن الرجل مرسل من حماد إليها ولكنها تحملت ولم تنبهه .  
فجلست على الدرع في يده يتضرر ما تأمر به هند

أما هي فأوْمَأَت إلى والدتها وخرجنا معًا وتركنا الراهب في الغرفة فلما خلما  
قالت هند وقل لها برقص فرحاً لا ريب عندي يا أمي إن الرجل رسول من حماد  
ويظهر من أساليب كلامه أنه آتى بشري خبر ولكنه لم يتجه على الصرح بذلك  
اما ملك لظنه أنك لا تعلمين بما بيني وبين حماد ولا ريب عندي بالخلاص فاسمعي  
لي بخطابته صريحًا فتسمع منه الخبر الصحيح فاجابتها والدتها إلى ما أرادت فعله  
غرفة منفردة وارسلتها إلى الراهب فجاءها وخرج على ذراعه فلما جلس قالت له  
سعدي عزرت عليك أن تخبرنا بحقيقة حملك ومن هو صاحب هذه الدرع وكان  
لعزمه الامراء عند العرب حق أن نطاع فنظر الراهب إلى هند كأنه يستشيرها في  
الجواب فقالت له قل ولا تخف

فمد يده إلى المخرج واستخرج الحوذة وقال إذا كنت لا تعلمين الذي المستو  
هذا الحوذة يدرك فمن العنت ان أخبرك عنه

فتحقق قلب هند وعلا وجهها الأحمرار وقالت نعم نعرفه قل أنت ما اسمه  
قال اسمه حماد يا سيدتي فارقت اسقة المتناء أي ابراق ولو لا محاب التعقل والرزانة  
لرقصت طرَا لذكْرِه ولكنها امسكت نفسها فاكتفى الرجل بها فرأه في عينيها من آيات  
البشر فشاركتها في ذلك وإن ظرجبها ففقالت له صدقـت هو حماد فابن هو لأنـ  
قال هو في خلوة لا يحسن على القدوم إلى هذه الديار لاسباب لا يجعلها عاملاً غسان  
فضلاً عن خاصتهم

فقالت سعدي قل لما اذن من أنت فاني لا اظنك راهماً فرفع الفلسوة عن  
رأسه وقال لا اظنك تعرفهانـي ولكنـي اعرفـكـا بـنـسـيـ فـانـيـ عـبدـاـ مـاـ سـلـمانـ خـادـمـ سـيدـيـ  
الـأـمـيرـ حـمـادـ

فاستأستها بو كثيراً وأخذت هند نسألة عن حال حماد وما مرّ بوفيق علّها الخبر منذ خروجهما فراراً من غسان الى ان نجوا من الاسد وسارا الى عمان وعادا منها الى ان قال وقد جئت متذكرًا بهذا اللباس وتركـت سيدـي حمـاداً في بعض الفرى في قانـى شـديد عـلى والـهـ وـفي شـوق وـلهـةـ مـولـاتـيـ ( وأشارـتـ الى هـنـدـ )

فـقالـتـ سـعـدىـ أـلـمـ يـلـغـكـاـ خـبـرـ سـيـدـكـ الـامـيرـ عـبـدـ اللهـ بـعـدـ

فـقـائـ (ـ وـقـدـ حـمـلـ عـيـنـيـوـ وـمـالـ بـكـلـيـنـيـوـ لـاـسـتـنـاعـ خـبـرـ )ـ كـلـاـ يـاـ سـيـدـتـيـ فـاـ هوـ خـبـرـ قـالـتـ قـدـ عـلـمـاـ اـنـ الـامـيـراـطـورـ هـرـقلـ عـمـاـعـهـ وـاـمـرـ بـصـرـفـ مـصـحـوـ بـاـبـ الـامـانـ فـاـنـبـسـطـ وـجـهـ سـلـمـانـ عـنـدـ سـاعـهـ الـحـبـرـ وـوـدـ اوـ يـكـوـنـ طـيرـاـ فـيـسـرـعـ.ـ الـىـ حـمـادـ يـشـهـرـ بـذـلـكـ وـلـكـهـ اـسـتـشـارـ سـعـدىـ فـيـ الـاـمـرـ فـقـالـتـ اـرـىـ اـنـ تـسـرـعـ الـىـ مـوـلـاـكـ بـالـخـبـرـ وـطـئـيـةـ عـنـ هـنـدـ وـقـلـ لـهـ اـنـ وـالـدـيـهـاـ تـهـدـيـكـ السـلـامـ وـلـكـ اـحـذـرـ اـنـ يـعـلـمـ اـحـدـ فـيـ الـاـرـضـ اـنـكـ جـئـتـ هـنـاـ المـكـانـ اوـ نـقـطـتـ بـهـنـاـ الـكـلـامـ فـلـيـجـبـ هـوـعـنـ وـالـهـ وـسـتـنـصـلـ الـاخـبـارـ بـيـنـاـ عـنـدـ الـحـاجـةـ عـلـىـ مـقـضـيـ الـاحـوالـ وـلـيـكـ هـوـمـطـئـنـ الـبـالـ وـالـاـيـامـ بـيـنـاـ .ـ

وـكـانـتـ هـنـدـ نـسـعـ كـلـامـ وـالـدـيـهـاـ فـلـاـ تـدـيـ مـلاـحـظـةـ وـلـمـ تـكـنـتـ بـهـنـاـ اـمـاـعـدـ الـعـيـنةـ بـلـ كـانـتـ تـوـدـ اـنـ تـضـرـبـ اـجـلـاـ لـلـفـاءـ وـلـكـنـ الـحـشـمـةـ اـمـسـكـتـهـاـ عـنـ الـكـلـامـ .ـ اـمـاـ سـلـمـانـ فـسـرـ كـثـيرـاـ مـاـ آـنـسـ فـيـ سـعـدىـ مـنـ الرـضـاءـ عـنـ حـمـادـ وـلـكـهـ رـأـىـ قـوـلـهـ مـخـنـصـرـاـ مـقـضـيـاـ لـاـ يـشـيـ غـلـيـلـاـ عـلـىـ اـنـ اـقـبـعـبـاـ لـقـيـةـ وـمـاـ سـمـهـ قـلـبـسـ قـاسـونـةـ وـوـدـعـهـاـ وـخـرـجـ الـىـ فـرـسـوـ وـسـارـ قـاصـدـاـ حـمـادـاـ .ـ اـمـاـ سـعـدىـ فـلـمـ تـخـفـقـتـ بـنـاءـ حـمـادـ حـيـاـ وـرـأـتـ هـنـدـاـ قـدـ اـنـتـعـشـتـ قـوـاـهـاـ وـزـالـ اـمـتـنـاعـ لـوـنـهـاـ الـذـيـ كـانـ السـبـبـ الـاـولـ فـيـ تـخـرـيـكـ حـنـوـهـاـ حـتـىـ سـاـيـرـهـاـ فـيـ ماـ دـارـ بـيـنـهـاـ بـشـأـنـ حـمـادـ مـعـ ماـ كـانـتـ نـظـةـ مـنـ مـوـتـهـ اوـ اـنـقـطـاعـ خـبـرـ فـلـمـ تـخـفـقـتـ بـقـاؤـهـ تـمـلـهـ لـهـ الـاـمـرـ مـعـسـاـ وـنـدـمـتـ عـلـىـ مـاـ فـرـطـ مـنـهـاـ مـنـ مـجـارـةـ هـنـدـ بـشـأـنـ حـيـهـ حـمـادـاـ عـلـىـ غـمـوضـ حـسـبـوـ مـعـ ماـ تـخـشـاهـ مـنـ اـيـقـاظـ الـفـتـةـ بـيـنـ زـوـجـهـاـ وـالـحـارـثـ اـذـ اـمـتـعـتـ ثـلـعـةـ مـنـ اـبـنـهـاـ ثـمـ تـذـكـرـتـ غـدـرـ ثـلـعـةـ وـكـنـ هـنـدـ لـهـ فـصـوبـتـ رـدـهـاـ طـلـبـةـ وـلـكـنـهـاـ اـحـسـتـ بـصـعـوبـةـ ذـلـكـ فـلـبـشـتـ رـهـةـ صـامـمـةـ تـفـكـرـ فـيـ الـاـمـرـ وـهـنـدـ تـنـأـمـ فـيـ مـلـامـ وـجـهـهـاـ وـنـتـظـرـ مـاـ يـبـدـ وـمـنـهـاـ فـلـمـ طـالـ سـكـونـهـاـ وـنـسـمـتـ فـيـهـاـ التـرـدـفـاـنـةـ.ـ ضـتـ نـفـسـهـاـ وـعـادـتـ هـوـاجـسـهـاـ الـيـهـاـ فـتـرـكـتـ وـالـدـيـهـاـ وـسـارـتـ الـىـ غـرـفـهـاـ وـالـفـتـ نـفـسـهـاـ عـلـىـ السـرـيرـ حـزـيـنـةـ تـرـاجـعـ فـيـ ذـهـنـهـاـ حـكـامـ سـلـمـانـ وـمـاـ قـالـتـ وـالـدـيـهـاـ لـهـ فـلـمـ تـرـ فـيـ قـوـلـهـاـ مـاـ يـشـفـيـ غـلـيـلـاـ فـاـحـسـتـ اـنـ وـالـدـيـهـاـ اـنـاـ كـانـتـ سـاـيـرـهـاـ ظـاهـرـاـ فـعـظـمـ عـلـيـهـاـ الـاـمـرـ

## ﴿فتاة غسان﴾ (تابع ما قبله)

وفيها هند في ذلك جاءت والدتها وكانت لاتزال منقبضة النفس فرأيت الدموع  
تلألأ في عيني ابنتها فهياج حنوها ونسرت هوا جسها ودنت منها وهي تبتسم ولخت  
ما في نفسها وهند تنظر الى وجهها لعلها تستطاع شيئاً جديداً فلما رأيتها تبتسم اطمأن  
بما لو لكنها ادركت انها انا فعملت ذلك حنوا فعمدت الى اثارة شفقتها الفاسا لمساعدتها  
فظهورت بالغضب دلاًّا ونیها واطرقت هنيهة لا تنكم  
فقالت سعدت مالي ارى المهاجم قد عادت اليك ألم يكفلك ما سمعتو  
عن حماد

فلم تنجو

فازدادت سعدى حنوا و الفت يدها على كتف ابنتها وقالت لها ما بالك ساكتة  
يا هند الم نشكرني الله على انعامه  
قالت شكرته كثيراً ولكنني اراه لم بأذن بانقضائه زمن تعاستي لاني لم اكد اسمع  
ما سرّي حتى رأيت ما يكدرني

قالت وما الذي يكدرك بعد ذلك

قالت يكدرني ان ارى حبل المساعدة كاد ينقطع

قالت وماذا تعنين بذلك

قالت اعني ما اقرأه على وجهك من آيات التردد ولا لوم عليك فقد عاملتني  
بها استخفافاً . قالت ذلك وقد وقفت شاغلة بحمل ضئيلتها وعتصها امام المرأة فرافقتها  
سعدى وهي تنظر اليها وتنتوقع منها ابتساماً فرأيتها لا تزال منقبضة فعافت ان تعود الى  
حالمها من الصعب فهان عليها كل ما تريه وصاحت على مساعدتها فعلاً فظهورت  
بالاسفراط وهمست بها فقبلتها وضمنتها الى صدرها قائلة انزعي عنك الظنون يا هند  
فاني على ما تريدين ولو سوف ترين مني ما يسرُك

فانتهشت هند لما سمعته ولكنها ظهرت بانكار ذلك وقالت بكفيي املأ بلا  
عمل فاني اراك تسخر بنبي  
فضحكت سعدى حتى فهمت واظهرت المزاج قائلة ذلك خلق الحسين فانهم لا  
يستقررون على حال

فنظرت هند اليها شدراً وشعرها لا يزال معلولاً واصابعها تخلملة فلما رأت والدتها  
 تضحك انبسط وجهها وعادت اليها الامال فتبسمت ولكنها حولت وجهها نحو المرأة  
 ونشغلت بضرر شعرها  
 فمدت سعدى يدها الى الضفيرة وتناولتها وقالت وهي نعم ضفرها دعينا من ضفر  
 الشعور فانسا في ما هو ادعى الى الاهتمام  
 فقالت هند لا ارى الاهتمام شيء آخر الا عيشا  
 فقالت أم من العيش ان تخلص من مطالب ثعلبة  
 فلما سمعت اسمه نفرت وانقبض قلبها ولكنها توسمت بابا للفرح فقالت يا حبذا  
 ذلك لوضع  
 وكانت سعدى قد فرغت من ضفر الشعر فامسكتها يدها واجلسها الى السرير  
 ونظرت اليها نظره فهمت هند منها انها تريد الجد فاصفت اليها فقالت دعينا من  
 المواجه يا هند ولنجث في الامر بالتدري  
 فقالت قولي ما تريدين واذكري وعدك  
 قالت لا اقول الا ما يرضيك ولكنني اعلم امك عاقلة رزينة ولا اظنك ترتدين  
 من حبي لك وانعطاف والدك نحوك وإذا اتيتنا امراً ساءك او سررك انما نأنيه الفاسدا  
 لراحشك  
 فخافت هند ان يكون وراء هذه المقدمات نصيحة تنبعها من حماد فليثبت صامتة  
 وقلبيا يتحقق في انتظار ائم الحديث  
 فقالت سعدى لا يسعني الا غضاء عن اهالك الجھت عن اصل حماد وفصلوا  
 فان الحسب يعني وبضم فانقدم اليك ان تستجعي رشك وتسألي عقلك هل هو  
 مساعد لك على ما رضيتك قلبك  
 قالت نعم يا امامه اني في كمال عقلي ولا ارى في عملي هذا خطأ ولا ريب عندي  
 اذا خاطبتك حمادا واستطلمت اخلاقه واطواره امك تربين فيو مثل ما رأيته  
 انا فهو شاب كامل الصفات كريم الاخلاق ولا بد من ان يكون ذا حسب وناسب  
 فاذا لم يكن ملائكة ارضيا فهو ملاك ساوي ولا افل من ان يكون اميرا وزد على ذلك  
 ان ما شهدناه من شهادته وكرم اخلاقه بوهله لصاحنه والدي وقد قيل المرء باصغر دو

لا يردد به فهي انه غير حبيب فهو لا ريب شهم كريم . قالت ذلك وعلمات الهايم ظاهرة على وجهها تخالطها ملامع الجبل

قالت سعدى اذا كان الامر على ما نقولين فاني اهتئك بهذا الصيب ولكننا يجب ان تتدبر الامر بالحكمة حتى لا ينجم عن عملنا ما يضر بصلحة والدك او يأول الى حرب وانت تعلمين علاقته باسن عم الحارث وما بينها من المنافسة المموجة بالمحاجمة فخشى ان يأول عملنا هذا الى حرب تندى نارها وتسفك الدماء من اجلها فقالت أتر يدين اذن ان ارضي شعلة و . . .

قطعت سعدى كلامها قائلة كلاما لا اريد ذلك ولا ارضاه ولكنني اريد ان لا تستعلي في الامر فان في العجلة ندامة قالت وماذا افعل اذن

قالت اتركي تدبیر ذلك الى على ما نقتضيه الاحوال ولا ريب عندي انك ستثالين مناك على ادون سبيل .

قالت ها اني قد القيت حملي عليك وجعلت قيادي في يديك فافعلي ما تريدين فقبلتها سعدى وطأ ثنها ثم تركتها وسارت الى غرفتها

## الفصل الخامس والعشرون

### التقفيش عن عبد الله

اما سلمان فعاد الى حماد وكان في مأمن خفي يستظر عودته بنار غ الصبر فلما لقيه استطلاعة الخبر فاجابه وامارات الانبساط ظاهرة على وجهه وبشره بالعنوان والد وبقاء هند على حبها ورضاه والدتها بذلك فلم يكن يوم اسعد على حماد من ذلك اليوم فابرقـت اسرته وتمثلت له السعادة خادماً مطبيعاً وقضى بقية يومه يردد حديث سلمان عن هند وما ينطوي تحت كلام والدتها لكنه ما لبث ان عاد الى ذكرى والده وقد خاف عليه طول الغياب فاستشار حماداً في امره فقال ارى ان نبحث اولاً عنه فاذا التقينا به تركنا تدبیر ذلك الى

فقال حماد أنسير الى بصرى متذكر بن  
قال لا خوف علينا بعد ما صدر من العنوان ولكن ثعلبة ثعلب لا يركن اليه فامكث  
انت هنا ودعني اسير بمنسي الى منزلنا في غسام ومتى وصلت المكان سلمت حقيقة الخبر  
فقال وكيف تعلمة

قال اني ذاهب للبحث عن المخبأ التي تركناها بجوار منزلنا لا يعلم بها احد سواي  
فاذالم اجدها علمت ان سيدى اخذها فتعلم انه عاد من سفرتو فبحث عنه في بصرى  
وجوارها والا فتعلم انه لم يعد بعد فاسير الى بيت المقدس للتفانيش عنه  
فاسخن حماد الرأي فاتا ليتهم ولما اصبعوا ركب سلمان لمباس الرهبان وترك  
حمادا في منزل رجل من يقايا الاياط الذين كانوا يقيمون في جنوبي البلقاء . وكان  
الايناط في الزمن القديم أمة عظيمة ذات عز و مجد وكانتوا بواسطة عقد التجارة بين  
مصر والشام والعراق وبلاد العرب يقيمون شرق العقبة بين مصر والشام وبلاد  
العرب ولا تزال بعض آثارهم باقية حتى الان في ما يسمى ناترا او بطرة ويغلب على  
الظن ان اصلهم من ايناط ما بين النهرین . وما زالت دولتهم قائمة حتى غلبهم الرومانيون  
في اوائل القرن الثاني للميلاد فتشتت شملهم وتفرقوا في البلاد و اختلطوا بقبائل العرب  
الاخري . ومن طرق معاشرهم التنجيم وقد حملوه معهم من بين النهرین <sup>(١)</sup>

وكان صاحب المنزل المشار إليه طاعناً في السن لم يرزق أولاداً يعيش من زراعة بقعة من الأرض صغيرة ولم يكن يحب الغسالين لأنهم على زعمه أحدث نعمة من الانبطاط وإن الانبطاط أولى منهم بالسيادة وسبب بغضه لهم الحسد وذلك طبيعي في من كان من سلالة الحكام ثم رأى السيادة في غير أهله فامة لا يستطيع حبهم أو الأذعان لهم الآخرة فإذا خلا بيته وندد في حكومتهم وعدد معاييرهم وهو من أدلة الضعف في بني الإنسان وكان سلطان لما عاد بمحاجة من عمان قد عثر على هذا الرجل واستطاع حاله فعلم أنه أحسن ملجأ يلجأ إليه ريشاً يعود إليه مخبره فلما عاد بخبرها كما نقدم وإنقاذه على ذهابه إلى غسام سار إليها وهو مطمئن البال ولكنه غادر حياداً على مثل الحمر في انتظار رجوعه

فلم يمض يومان حتى عاد سليمان ومعه التحف والمقود الذي كانوا قد خبأوها بجوار

(١) الانسكلاو يذيا وغيرها

منزلم فدفعها الى حماد وهو منقض النفس كاسف البال فسألة عن أمره  
 قال اني خائف على سيدى من دسيسة اسن المحارث واخاف ان يكون قد غضب  
 لما ناله من العفو وامض اليه رجالاً اغتالوه  
 قال وما الذي حملك على هذا الظن  
 قال اني تدررت الامر واستطاعت الخبر من اهل بصرى سرًا فعلمت ان الخبر  
 بالعفو وصلهم من عشرة ايام وان سيدى خرج من بيت المقدس مع قافلة سارت الى  
 الحجاز رأساً فهل نظمه سار معها  
 فقال حماد وكيف يعقل ان يسير الى الحجاز ونحن على موعد من لقاء في عمان فلا  
 يبعد ان يكون قد رافق القافلة الى جوار عمان ثم عرج اليها  
 فقال سلمان ولكنه يعلم ان موعدنا فرغ اذ قد مضى الشهرين او اكثر من ذلك افترقنا  
 فقال حماد لعله اراد المرور بعمان ليتحقق عودتنا فلا يلست ان يعلم بذلك  
 حتى يعود فلنضر فليلاً نتنسم اخباره  
 فصمت سلمان وهو لا يزال خائفاً على سيد و لكنه ظاهر بالاقتناع تخفيقاً عن حماد  
 وكان لا يزال نزيي الرهان وقد غشية الغمار فترزع ثيابه وغسل وجهه وكان صاحب  
 المنزل قد خرج في بعض المهام وترك كلية بحرس المضارب ربما يعود  
 فاغتنما تلك الفرصة وخفيا ما جاء به سلمان من الاموال فجعلوا بعضه في جيوبها  
 وبعضه بين الثياب

---

## الفصل السادس والعشرون

### \* الخطبة \*

تركبا هندا في صرح الغدير وقد أملت الحصول على حماد ولكنها كانت ترى  
 اظللاً من الريب تتعرض آمالها لأن ذكاءها ودقة نظرها اوحيا اليها شكاً في  
 رضاه والدتها عن حماد اما هندا فكانت تحاول اقناع نفسها في صلاح ما وعده  
 هندا به ولكنها ما زالت ترى في ضميرها ما يتعرض مقاصدها على انها كانت تتغلب  
 على ذلك الضمير ارضاً لايتها وتنتظر ما يأتي به الفدر

وفيما هي جالسة ذات يوم في الصرح جاءها بعض الخدم يبعثها بقادم من البلقاء  
فهرولت إليه لعلة جاء بخبر من جبلة وقد طال أمد غيابه فرأيت فارساً ترجل وقبل  
يدها فعرفت انه من رجال زوجها فاستطعنه المبر فالآن الامير جبلة قادم اليكم  
في صباح الغد وهو يقرئك السلام  
فذلت أهلاً ومرحباً فاسمع لاستقباله ثم دخلت وقد علمت انه آتى ليساً لها  
بشأن هند وثعلبة

فانقضت نفسها وشعرت بحرج المقام وجعلت تفك في حل ذلك المشكل وفيما  
هي غارقة في بحار المهاجم جاءت هند وكانت قد رأت الناس وعلمت سبب  
مبيئه فخفق قلبه لما يعرض أمامها من الشكوك وتوقعت أن ترى والدتها في ارتباك فلما  
علمت بخلوتها دخلت غرفة فرأتها في ما نقدم من الانقباض فحبسها فاتجهت سعدى لها  
محاولات الابتسام لتخفي ما يخامر قلبه فانتدرتها هند بصوت مخفيق قائلة لا يشغلك  
شاغل يا أمي فالامر ما يدعوا إلى هذا الاهتمام  
فقالت سعدى لست في اهتمام يا ولدي ولكنني اشعر بالخراف في صحتي  
فقالت صدقت ولكن سبب هند هن  
قالت حاشا وكلأ فانك تسلطي ومن شأ سعادتي ألا ترينني حلاما وقع نظري عليك

قالت ارى ذلك ولكنني أرى عليه صبغة التكلف فلا ترتبكي ولا نهر نفسك فان كل حال تزول . وارادت هند ان تخبره والدتها وتستعيد وعدها لها قبل قドوم والدها لان على اجتماعها هذا يتوقف مستقبلها

فقالت سعدى ما بالك تكلميني بالرموز ألم تتفقى حتى الآن انى على ما وعدت  
قالت قد تتفقى ذلك ولكنني اراني سببت لك تعباً وارتباكاً  
قالت ان نعمك راحة فاقلعي عن هذه الظنون وهمّ بنا ندرس الامر فتفقى على  
خطة سير عليها . لأنّ والدك قادم غداً ولا أظنه إلا فاتحاً حدبيث ثعلبة فما ظنك  
فيها بحسبية بو

قالت انت تعليت ما في قلبي فاجببيه بقىضي حكمتك أما أنا اذا سئلت فلا  
جواب عندي غير السلب ولو لمها كلغنى ذلك

فقالت هي انه سأله عن سبب هذا الرفض فهل اذكر له حكاية حماد  
قالت لا ادرى ما تقولين ولكنني اخبرتك بكونات قلبي وقد وعدتني بتدبر  
الامر فافعلي ما نشائين

فسكتت سعدى وقد وطنت نفسها على مهارة ايتها وخرجت من الغرفة وامرت  
اهل الفصر بضرب المضارب واعداد الذبائح لاستقبال جملة وحاشيتها في صباح المغد  
فاصبح الصباح وقام الخدم لاعداد ما بلزم فشرعوا البسط ونصبوا الخيام وذبحوا  
الذبائح وأقدوا النيران ولبس سعدى وهى أحسن ما لديها وتهياً للاستقبال فلما  
كان الضحى ظهر الغبار من جهة البلقاء فعلم اهل الفصر بمجيئ جملة ورجاله فمرجوا  
للاقائهم واطلت سعدى من بعض النوافذ المشرفة على ذلك السهل أما هدى  
فاستلقت على سريرها وفرانصها ترتعد لهول ما نصوريته من غضب والدها اذا علم بما  
في نفسها ثم ما لذت ان سمعت قرقعة البعيم وصهيل الخيول بجوار الفصر فعملت بوصول  
والدها وفرسانه وتحقق قلبهما ولكنها تحجلت واطلت من الشرفة فرأيت الفرسان قد تحولوا  
إلى الخيام المضروبة لهم هناك وترجل والدها أمام الحديقة ودخل بلباسه العاشر وقد  
لفت رأسه تكوفية والعقال حولها والنف بالعباءة فوق الطيلسان فاستقبلته سعدى  
بوجه باش بخammen بعض الانقباض ثم جاءت هند فقبلت بين فضحيها وقبليها واستغرب ما  
رأته في وجهها من الخمول فسألها عن سبب ذلك فاجابت والدها بأنها شكت من ألم  
عارض فساروا جميعاً إلى قاعة مفروشة بالبسط والسياد والأوسائد فدخل ثعلبة مسكة  
هندأ يردها حتى جلس في صدر القاعة وجلسها إلى جانبه وقد تباهت في يوم عاطف الشفاعة  
ولاحظ لها آنسة فيها من الضعف فاصدق انه خلا بها وسوالدها حتى سألهما عن شكتوى  
هند منه فطاً نهانى لخنا عليه ان يدل ثيابه السفر ويستريح ففعل وقد اوصى الخدم  
باصلاح ما يحتاج اليه رجاله من الزراد

اما سعدى فآمنت في وجه زوجها انها ضاراً لم تعهد فيه وخصوصاً عند مقابلته  
هندأ بعد غياب طويل فعولت على استطلاع السبب بعد الغداء والاستراحة ولكنها لم  
تسقط ذلك لانشغلت بمشاهدة غرف الفصر وزوله الى الاسطبل يتنقل افراساً له كان  
قد تركها هناك ولكنها لاحظت انه انا كان يتلاهى بذلك شغلها من سؤالها واستفهمها  
فلما كان المساء جلسوا للطعام وكل منهم في حاجس فلم يدرك بينهم حدث غير ما لا

بدمنه على المائذن كالناس الآنية او استبدل بعض ا نوع الطعام او الشراب او نحو ذلك  
فلما فرغوا من العشاء تررق الحدم بهموف بشوؤتهم وهي جلة وزوجة  
وابشة في القاعة على حد و كانت جلة منكنا على وسادة وهند الى جانبها  
بين بدبو

فيظرا الى هند وتأمل وجهها تم التفت الى سعدى وقال لها لفدي اطلاها الغيبة  
عليكم هذه المرة لشواغل اتفاتي وكتت أعد النفس بالقدوم اليكم منذ ايام فلم استطعه  
الاً اليوم وكانت احس بمحبتي هذا يخرج كرتبي فلم از الا ما يزيدني الانقباضا  
فقط اولت سعدى بعنقها نحوه قائلة

ليس في هذه ما يدعوا الى الانقباض فقد ير على الانسان ايام يتوعك بها مزاجه  
لغير سبب بعرفه واكسي توسمت في وجهك انقباضاً منه قدومك هذا الصباح وكتت  
اغاظه ونسبي واحسبي مخطئة اما وقد اقررت بو من فيك فارجون تصح عن السبب  
قال ليس في ما تشاهد بيته من الانقباض ما يهمك الاطلاع على اسبابه فهوامر  
عارض لا يدعوا الى بحث  
فقالت لا اظن امرأا يهلك لا يهمنا ومهما كان من شأنه فان بالانا لا يهدأ  
الاً بعرفته

فقال دعينا من الخوض فيه وقد يكون سحابة صيف تتشع ولا تنظر  
فاشتاقت سعدى الى استطلاع الخبر وعلمت انه منقبض من خبر سمعه ولم يتحقق  
صدقة . فقالت هب انك لم تتحقق ما سمعته فاطلعنا عليه  
قال جاءنا قادم من المخاز يخبرنا بقدوم جد من العرب لحارتنا  
فبلغت سعدى وقالت وما سبب قدومهم ولا نعرف بيننا وبينهم ما يوجد  
حرجاً

فهز رأسه واعدل في مجلسه وجعل يشطر لحيته باصابعه وقال ان هو لام  
العرب عصابة قوية برئاسة نبي ظهر بينهم يدعوا الناس الى دين جديد وقد بعث  
كتاباً يدعونا فيه الى دينه فوصل كتابة الى الحارث فهزقها وامنهن حاملة فشق ذلك  
على صاحب الدعوة فانهذ جداً من رجاد لحارتنا فبئثنا العيون والارصاد لمراقبة  
مسيرهم ولا نعلم متى يصلون « سنأتي البقية »

فبغشت هند عند ذكر الحارث وقالت في نفسها «قد كتب علينا الشقاء على يد الحارث وإنما فلا حول ولا» ولكنها نظرت الى والدهما وقد ثارت فيها الحمية وقالت وما يخفينا من قドوم هؤلاء العدنانيين ونحن بني غسان رجال اشداء لا نرحب القتال فانشرح صدر جبلة لما اظهرته هند من الشهامة وقال نعم اتنا لا نخاف حربهم ولكننا كما في غنى عن حشد الرجال واعداد معدات الدفاع وحصوننا لا تزال مهدمة على اثر حربنا مع الفرس سامح الله الحارث لما جرّه علينا من البلاء

فقالت سعدى بظاهر ان هؤلاء العدنانيين ائمّا يريدون قتال الحارث لاغتياله قال نعم ولكننا جميعاً تحت سيطرة الروم فإذا احتاجوا الى دفاع استجدونا جيّداً ولا يسعنا الا الاذعان . فقللت هند أبخطي الحارث ونحن نحارب عنه قال ذلك ما لا بد منه اذا دعت الحالة اليه وسرى ما يكون من امر هذا الجند ولكن الحارث جاءني بالامس ونداولنا في الامر ملياً واخذنا في حشد الرجال واعداد معدات القتال وعلى الله الاتكال

فلما سمعت سعدى باجتياح الحارث بزرو . بما ايقنت انها تداولا في شأن هند وتوقعت ان تصفع حدثة من جبلة ولكنها علمت انه لا يذكر ذلك وهنذا حاضرة بظاهرة بالملل وقالت اظنك تعينا من جراء السفر في هذا الصباح فهل تrepid اذهاب الى الفرش . فادرك مرادها فاجاب دعوتها ونهض وبهضت هند ولم يغتنما امراد من ذلك فانصرفت الى غرفتها بدعوى الرقاد وقد نظرت الى والدتها بطرف خفي كأنها تذكر ما بوعدها فافتربوا وخلت سعدى بزوجها في غرفة الرقاد وقد اعادهما الخدم ثياب النوم فبدل ثيابه وبدلت هي ثيابها وكلاهما صامت يفكرا في جهة الموضع واحد

## الفصل السابع والعشرون

### \* كشف السر \*

فإنك كل منها على سريره والسريران متقابلان وفي الغرفة شمعات مضيئة على مائدة وقد هدا الليل واستولى السكوت على ذلك الصرح لذهاب الناس الى مناهم الا

ما كانوا يسمونه من صهيل خيول في معسكر حاشية جبلة عن بعد  
 فبدأ جبلة بالكلام قائلاً عهدت إليك مهمة منذ أيام وكانت اتوقع قدومك إلينا  
 بخبر انمامها فابطأه حتى استبطأ الحارث جوابي فجأة يستعجلني فيه وقد آنسست منه  
 تغيراً لما كان يتوقعه من سرعة الإجابة وخصوصاً بعد ما سمعه من قدوم هؤلاء  
 العدنانيين فإنه برى التحجيل في الافتتان قبل وصولهم  
 فاحسنت سعدي بما جرّته على نفسها من المشاق ؟ أكدت لهنـد من الوعود فترددت  
 برهـة في الجواب

فابتدرـها جبلـة قائلاً ما بالـك لا تجيـبيـني أعلـم ؟ الـامر مـندوـحة للـترـدد  
 قـالـت لا أعلـم ذـلـك ولـكـنـي أعلـم أـنـ هـذـاـ لمـ تـرـصـهـ . مـنـذـ ذـكـرـتـ هـذـاـ الـأـمـرـ  
 فـقاـلـ وـمـاـذـاـ كـانـ جـواـبـهـاـ  
 قـالـت لا سـلـباـ ولا ايجـابـاـ  
 قالـ اذـنـ هي رـاضـيةـ

قـالـت لا يـدلـ السـكـوتـ عـلـىـ الرـضـاءـ فـيـ كـلـ خـالـ  
 قـالـ وـقـدـ بـغـتـ وـمـاـذـاـ اذـنـ العـلـكـ فـهـمـتـ ماـ يـدلـ عـلـىـ الرـفـضـ  
 قـالـت لا اـدـريـ . . . . ولـعـلـيـ مـخـطـلـةـ فـيـ ظـيـ  
 فـقاـلـ وـقـدـ اـسـتـغـرـبـ جـواـبـهـاـ قـوـلـيـ اـفـصـعـيـ فـانـيـ اـرـىـ وـرـاءـ تـوقـنـكـ ماـ يـأـولـ إـلـيـ  
 خـطـرـ جـسيـمـ

فـقاـلـتـ واـيـ خـطـرـ تـخـافـهـ  
 قـالـ أـلـاـ تـعـلـمـنـ اـنـ رـفـضـ هـذـاـ اـمـرـ يـأـولـ إـلـيـ نـفـورـ بـيـنـاـ وـبـيـنـ الحـارـثـ  
 فـقاـلـتـ وـهـيـ تـجـاهـلـ مـرـادـهـ واـيـ عـلـاقـهـ بـيـنـ الـأـمـرـ بـيـنـ اـيـكـنـ الرـوـاجـ فـسـرـاـ  
 فـهـمـتـ مـنـ مـجـلسـ وـقـدـ زـادـ اـسـتـغـرـاـبـأـوـقـلـ أـبـلـغـ مـنـ هـنـدـ اـنـ تـرـفـضـ مـاـ اـخـنـارـهـ لـهـوـ الدـاهـاـ  
 قـالـتـ لـاـ نـقـلـ (ـوـالـدـاهـاـ)ـ بـلـ قـلـ (ـوـالـدـهـاـ)ـ فـقطـ  
 فـعـملـقـ وـقـالـ وـقـدـ عـلـاـ صـوـتـ الـعـلـكـ مـجـارـيـهـ لـهـاـ عـلـىـ تـحـثـهـاـ يـاـ عـدـىـ  
 فـاجـابـهـ بـصـوـتـ خـاـفـيـتـ قـائـلـةـ لـاـ لـمـ اـجـارـهـاـ فـيـ شـيـءـ وـلـكـنـيـ خـفـتـ عـلـيـهـاـ الـمـوـتـ فـاـذاـ  
 كـنـتـ تـرـىـ اـنـ تـجـبـودـ بـهـنـدـ فـرـيـسـةـ لـذـلـكـ الرـجـلـ زـوـجـهـاـ بـوـ . . قـالـتـ ذـلـكـ وـاطـرـقـتـ  
 وـقـدـ شـرـقـتـ بـدـمـوـعـهـاـ

فبهرت جبلة عند سماع تلك العبارة ولبيث سرقة يحسب نفسه في منام ثم قال وماذا  
تعنين يا سعدى أعلمك نتكلمين عن ثقة  
قالت لم اذكر لك الا ما تختلف عنه بعد جدال طويل فإذا كنت لا تصدق مقالتي  
فهذا هند ادعها اليك وخططها وجهها لوجه فقد نفذت جبلة فيها  
فرجع جبلة الى صوابه وتذكر حبة هندا وما يعجب به من شهامتها وتعقولها ولكنه  
ما زال على ما يخافه من عواقب ذلك الرفض فقال لها ادعها اليك لاخاطرها واسمع  
اعتراضها

فوقفت سعدى وهبت بالخروج الى غرفة هند ولكنها علمت ان مجدها وجبلة في حال  
غضبو قد ينتهي الى عاقبة وخيمة فرأيت من الحكمة ان تختلف من غضبو وتهديه روعه  
قبل مجدها فتقدمت منه والدموع ملء عينيهما وقالت لها اني ذاهبة لاستقدامها ولكنني  
انبهك الى أمر ارجوان لا يبرح من بالك  
قال وما ذلك

قالت انت تعلم شهامة هند ورقة احسانها وخصوصاً بعد ما عانته من الضعف  
على اثر حدثي معها بشأن ثعلبة وتعلم ايضاً ان ثعلبة كما اعرفه نحن ليس كفؤاً لها بمع  
ما خبرناه من خساسته وغدره ولا نظمه يحبها بل هو يرى قتلها فاذا علمت ذلك تدر  
الأمر بالحكمة وخططها بالحسنى ولا تطبع في اكرامها لئلا نسوقها الى حتفها فتندم حين  
لا ينفعنا الندم فمن الحكمة ان نأخذها باللين والمطل ريثما تتغلب على عواطفها  
فقال جبلة لقد نظرت الى امور سبب رفضها ايها وهو ابن عمها ولا اعرف فيه  
أتوقة بسبب ذلك على اني لم ادم سبب رفضها ايها وهو ابن عمها ولا اعرف في  
غسان من هو اقرب نسباً منه ولا أليق بهما فما سبب هذا البغض

قالت اما كرهها له فسبة دناءته وخشاسته فقد عاشرته اعواماً طوالاً فلم نجد فيه  
 شيئاً من افة الرجال وكرم اخلاقه في غسان وطالما حدثني بذلك عن هند اعولم  
وكثيراً ما كانا نذكر سباته وحضورها فلا يسعنا بعد ذلك اقناعها بابتزاهه وكرم اخلاقه  
فقال جبلة لا انكر عليك ذلك يا سعدى ولكنك تعلمين ما بيننا وبين ابن عمها  
الحارث من المنافسة المستمرة رداء القرابة تحت ظل الجاملة ولا ريب عندي ان  
رفض طلبه يجرنا الى حرب ونحن في حال تدعونا الى اجتماع الكلمة لما سمعناه من

فقالت اني موافقة لك على ما تقول ولكنني علي ثقة ما قلتة لك واقوله ايضاً وهو ان اصرارنا على اقتراحها بتعلية يقودنا الى ما نندم عليه ساعة لا ينفعنا الندم في لا تجده ولا ترضاه ولا يمكن ان ترضاه فهل بهون علينا ان نخسر هنداً وهي ثمرة حياتنا ومرجع آمالنا انضجها بين يدي ذلك الجبان الخسيس وهو لا يجهها قال ذلك والدموع تتناور من عينيهما

قال اراك وانقة بعدم حبها ولو كان كذلك لم يطلبها  
فألا تانا مخفة ذلك ما ساقصة عليك في فرصة أخرى أما الآن فاني داعية  
هندى اليك لسمع كلامها شفة لشقة والتمس منك ان ترافق بعواطفها ما استطعت لأن  
المنف لا يحديننا نفعاً

فَالَّتِي ذَلِكَ وَخَرَجَتْ وَالْمَصَابِعَ بِيَدِهَا حَتَّى أَنْتَ غُرْفَةً هَنْدَ فَرَأَتِ الْبَابَ مَوْصَدًا  
وَأَنْسَتِ فِي الْغُرْفَةِ صَوْنًا فَاصْنَعْتَ بِسَعْهَا فَسَعَتْ بَكَاهَ يَقْلَلُهُ شَهِيقٌ فَعَلِمَتْ أَنْ هَنْدًا  
تَبْكِي فَهَارَقَتِ الْبَابَ وَنَادَاهَا بِاسْمِهَا فَابْطَأَتْ قَلْبِلًا ثُمَّ فَخَنَّهَ فَأَدَنَتْ سَعْدَى الْمَصَابِعَ مِنْ  
وَجْهِ هَنْدَ وَنَظَرَتِ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ ذَابِلَةُ الْأَجْنَانِ مُحْمَّدَةُ الْعَيْنَيْنِ كَاسِفَةُ الْبَالِ فَانْفَطَرَ قَلْبُهَا  
لِذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْمَرْبِعِ فَوَضَعَتِ الْمَصَابِعَ عَلَى الْأَرْضِ وَهَمَّتْ بِهَا وَجَعَلَتْ تَقْبِيلَهَا وَدَمْوعَهَا  
تَسَاقِطُ حَنْوًا وَشَفَقَةً وَهِيَ تَقُولُ لَا تَسْكِي بِاَبِنِي لَا تَسْكِي وَلَا تَخْزِنِي فَلَا يَكُونُ إِلَّا مَا يُسْرِكُ  
فَهَذَا كَفَانِي بِاَمَاهٍ نَعْزِيَةً وَمَسَايِّرَةً فَقَدْ سَعَتْ غَضَبَ وَالْدِيَّ بِاَذْنِي  
فَالَّتِي وَمَا الَّذِي اسْعَلَكَ كَلَامَةً وَإِنْتَ هَنَا

قالت مرت بالباب فسمعت ينهرك وهو مصر على قوله وما ذلك الا لتعاستي  
فاما دان لا يزال على عزمه فاستودعك الله . قالت ذلك وعادت الى البكا .  
فقبلتها سعدى وقالت لقد أخطأ ظنك يا هند فان والدك يكاد يسلم معي برفض  
ثعلبة وهو انا بانتظر مخاطبتك في شأنه لم يسمع الجواب من فبك فهيا بنا اليه فانه  
يتضررنا في الغرفة . وارادت سعدى ان تدخل على زوجها بهند وهي باكية لعلة برق  
لها فيجار بها على مرامها .



## الفصل الثامن والعشرون

### ﴿ موقف هائل ﴾

فاحببت هند الانتظار رهبة ريشا تجف دموعها فام نهلها فسارنا حتى وصلنا اغرفة وجبلة متکي لا على فراشه وقد استبطأ امرأة وأحب البقاء متکي اظهاراً لما في نفسها من العتب على هند اما هي فدخلت مطرقة وقد نكسرت اهدابها وذلت اجنانها واحمرت عيناهما وتوردت وجنتها واسترسل شعرها على ظهرها ومشت حتى اقتربت من سرير والدتها فوقنت وأستندت كتفها الى الحائط ذليلة كثيبة ولبثت مطرقة فلما رأها جبلة على تلك الحال حن لها ونسى غضبها ولكن ما زال مكراً عملها فخاطبها قائلاً ما رأيك يا هند

فطلت صامتة تشاغل باهداب ضفائرها بين اناملها  
فنال ما رأيك ماسن عنك ثعلبة

فلما سمعت اسمه ارتعدت فرائصها وعاد البكاء اليها فامسكت نفسها عن الشهيق ولكنها لم تستطع امساك دمعها عن الانحدار فلما شاهد جبلة تلك الدموع تنقطر عن خديها شعر كان قلبها يتقطر دماً عليها

فنال ما بالك لا تخيبيني ونحن انا بعشنا اليك لنسمع الجواب من فيك قولي ما جوا بك على طلب ثعلبة  
فلم تعد نهالك عن الشهيق فتحولت من الغرفة وارادت الخروج فامسكتها سعدى يدها وهَّت بارجاعها فألقت نفسها الى الارض واخذت في البكاء حتى كاد يغنى عليها

فعجلت سعدى تخفف عنها ولو مات الى زوجها ان يكف عن السؤال وجاءتها بهاء رشتها بو وسفتها منه قطرة حتى هدا روعها وجبلة صامتة ينظر اليها وقلبه يكاد يتقطع وقد هان عليه كل صعب فنال لها قد فهمت باهند انك لا تخيبين ثعلبة فهل تخبين والدك وعشرينك

قالت وهي تشرق بدموعها نعم احبك واحبها وان كنت ترى في تسليبي لذلك

الخائن راحة لك ولعشيرتك فاني راضبة بالموت فداء عنك وعنها وهن روحي بين يديك فافعل بي ما تشاء

قالت ذلك وترامت على والدها فضمها الى صدره والدموع تساقط من عينيه رغماً عنها وجعل يقبلها ويختف عنها وهو يقول لا تخزعي يا هند اني على ما تريدين فهو نبي عليك واستجعي حواسك . قال ذلك واجلسها الى جانبه فخلست وهي تجمع شعرها وترسله الى ظهرها وكان قد مال الى الامام عند استلقاءها على والدها ولما رأت في والدها هذا الانعطاف تذكرت ما لا يزال في طريقها من العقبات بشأن حماد لعلها ان والدها سيعظم امر حماد اكثر ما اعظم امر ثعلبة فعولت على اغتنام تلك الفرصة وهو في حال الانعطاف لنيل رضاها عنها فعادت الى البكاء

فتعجب لبكائها بعد مجاراته لها في العدول عن ثعلبة وكانت يظن ذلك كافياً لزوال كل احزانها فلما رأها تبكي ظنها لم تفهم مراده فقال كفي البكاء فقد اغفلنا ثعلبة وطلبة فهدئي روعك . فلم تردد الا بكاه فادركت والدهما ما في نفسها فاما ومات الى والدها ان يكف عن السؤال هنئها ودنت من هند وجعلت تمس دموعها بمنديلها ونقبلها ثم امسكتها بيدها وخرجت بها الى غرفتها فلما خلت بها سألتها عن مرادها بذلك فقالت دعيبي يا اماه دعيبي ابكي على صبائي فقد ادركت ما جرته على نفسي من البلاء

فعلمت انها تشير الى امر حماد وما تخلفه من غضب والدها اذا علم بمحبها الله فقالت اشكري الله يا هند انا قطعنا نصف الطريق بامان والله يساعدنا على البادي فقالت هند لم تقطع الا السهل منها وقد بني الوعر يا اماه

قالت ان الذي نجاما من ثعلبة لا يدخل علينا بحماد طيب نفساً وقربي عيناً فقالت لا يطيب لي عيش فقد زهقت روحي قبل ان اقطع السهل المبين وكيف وقد وصلنا الى العتبة التي لا ارجوا جنائزها فقد رأيت ما اعظمها والدي من امر ثعلبة وهو يعلم خساسته ويعتقد بأنه ليس اهلاً لي فمن يجرأ على ذكر حماد امامه وهو رجل غريب يقول انه لا يعرف اصلة ولا فصلة آه يا لتعاستي وسوء حظي

وكان سعدى تعتقد مثل اعتقادها وربما خافت اكثر من خوفها ولكنها لما رأت حال ايتها هان عليها ركوب ذلك المركب الخشن فجعلت تختف عنها وتشطط

آمأها وهنَّ تبالغُ في اظهارِ يأسها  
فقالت سعدى خفني عنك وانهضي الى فراشك وعليه تدبير ما تريدينه والملك  
عليه ان لا يصبح الصباح الا وقد رضي والدك بكل ما تريدين  
فلما سمعت هنَّ ذلك شعرت بانتعاش واحسست كأن قلبها افتح وقد انفرجت  
الازمة ولكنها استبعدت ذلك كثيرا فالقنت الى والدتها شذراً وتبسمت نبسم طفل  
نان امرأاً كان يتطلبه باكياناً فقيض عليه وهو لا يصدق انه ناله فلما رأته سعدى في  
ذلك الحال زادت انعطافاً اليها وابتسمت لها والدمو مع ملء عينيها وقالت هوئي عليك  
فقد قلت لك اني ضامنة لك ما تريدين الا يكفيك ذلك  
قالت يكفيكني يا امامه ولكنني ارى والدي صعب المراس فلا اظنه يشقق على قلبي  
قالت لا تستهظني امراً تريديه والله قادر على كل شيء فاذهي الى فراشك وما  
اني ذاهبة الى السعي في مرافقك والله يفعل ما يشاء

## الفصل التاسع والعشرون

### ﴿ الاستغراب ﴾

فسكن روعها وعادت اليها آماماً وافت حملها على والدتها وسكت ثم تهمست  
ومشت الى الفراش وقد انها كما النعْب وخارت قواها من هول ما فاسنة تلك الليلة  
ولما رأت والدتها تهم بالخروج استخلفتها ان تبذل جهدها في اقتناع والدتها فاكدت لها  
الوعد وخرجت حتى انت غرفة زوجها فاذا هو في انتظارها ليستطلعها سبب ما شاهدته  
من هنَّ فلما دخلت ابدرها بالسؤال فائلاً

انظنين هنَّا تفتقى على عزمهما من رفض ثعلبة فقد رأيت اني جاريها في امر  
ربما آكل الى حرب دموية بيني وبين المحارث ولكنني فعلت ذلك مدفوعاً بشفقتني  
على الفتاة وإنما ارجوان اعود الى اقامتها في فرصة اخرى الا تساعديني على ذلك  
فابتسمت واظهرت الاستغراب قائلة انظبني جاري هنَّا في عملها هذا عيناً الم  
أقل لك اني انا فعلت ذلك رغمَ عني وقد خفت على حياة ابنتنا ولو علمت ان

الاصوات ينفعنا شيئاً ولو بعد حين ما سمعت منها فولاً ولكنني رأيت ذلك لا يجد بنا غير خسارة لا تغوص . أليس هند ثمرة حياتنا ومرجع آمالنا وزهرة عمرنا ليست نعزيزنا في شيخوختنا المتأخر بها ملوك العرب ونفضلها على خيبة البنين ليست هي فتاة غسان ومضرب امثالهم ليست هي افرس فرسانهم فاكرم كرامهم انسنت وقد رأيتها تبكي كالطفل انها تجاري فرسان غسان في حومة الميدان فإذا ركبت جوادها نطاولت اليها الاعناق وحامت حولها القلوب ألم تكن هند اذا وقفت في حومة الوعى واستخفت الرجال على دفاع الاعداء انهضت همم وثارت حميمهم اغرى منا ذلماً وإنكسرها الليلة فنسقطت هندأً وما هي امثل هذه الفتاة بسهل التسليم بها لرجل لا يساوي قذة من نعلها . ثعلبة وما ثعلبة اليه هو ذلك الجبان الغر الذي رأيناه يحفد كالغيل وبخال كالثعلب ويغدر كالعقرب انسنت يوم السياق وما كان شأنه مع ذلك الشاب الغريب يوم سبعة مرتين حتى اذا سابقة ثلاثة عاد من حلبة السياق وفي يد قصبة السبق مبرية بري القلم الا تذكر المك رأيت القصبة مبرية

وكان جبلة في اثناء ذلك صاماً وقد اعجب "بفصاحته سعدى وانسجام حديثها فلما ذكرت القصبة تذكر انه رآها مبرية فقال نعم اذكر ذلك  
قالت اندرى سبب بريها فوالله وشرفبني غسان لو اطلعنك على سر الامر للعنت الساعة التي ولد فيها ثعلبة بسي غسان ولو ددت لوان حماداً مكانة لانه اشهى بشهامهم وكرم اخلاقهم

قال جبلة الى استطلاع السبب فقال وما سبب بريها فسرت سعدى لاصفاه زوجها الى حديثها فقصت له حكاية القصبة وبانقت بما اظهره حماد من الشهامة وكرم الاخلاق وما كان من دناءة ثعلبة وخاسته فلم تكدر تفرغ من حديثها حتى انقض وجهاً جبلة لما جرّه ثعلبة من العار على الفسانيين وأحسن بارتياح الى حماد فقال تبا لثعلبة ورعايا لذلك الشاب فيما لبنته قتلة ولم يسمعوا هذا الحديث عنه

فتساءلت سعدى من جبلة اصفاه لحديثها فقالت اما وقد فتح الحديث وجرّنا الكلام الى هذا المحد فاسألك مسألة سنكون جواباً لسؤال سألتنيه الليلة

فقال وما ذلك

قالت أتدرى ما الذي حمل ثعلبة على خطبة هند بعد ما علمته من تباعد عنها  
قال وما تعنين بتباعد

قالت ألم تكن هند ابنة عمي منذ ولدت  
قال بلى

قالت ألم يكن يجدر به ان يخطبها لنفسه منذ اعوام وقد يخطب ابناء العم اطفالاً  
قال بلى

قالت أتدرى ما الذي امسكه عن خطبها حتى الان  
قال وقد بهم قوماً ونطاول بعنف لاستكمال حدتها لا ادرى وما ظنك بذلك  
قالت لأنّه بحسب نفسه ارفع منها مقاماً او لعله كان يتوقع ان نعرضها عليه فاذا  
قبليها اذ ذاك انا يقبلها كرماً ومنة

قال جبلة وقد افطرب وجهه ونعاذه غضبة خسي «النذل وخسي» أبوه قبله  
قالت بل خسي «كل من يقول قوله فقد علمت ان ثعلبة لم يكن عازماً على خطبة  
هند لو لم يحدث ما حرك غيره وهاجر على الانتقام فإذا اذنت ان اكشف لك  
الغطاء فعلت

قال وقد مال بكلتيه الى استطلاع السرنعم اني شديد الميل الى معرفة ذلك قوله  
قالت ولكنني استخلفك بمحبك هنداً ان تبني على حبها وتشفق على صباها وتغدرها  
في ما رأيتها او تراه من حالمها

قال لقد عذرناها من قبل فلا حاجة الى الاستخلاف

قالت انا استخلفك على امر لم تعلميه بعد

فازداد شوقاً وقال قوله لقد نفذ صيري

قالت قد علمت حسد ثعلبة حماداً على اثر ما ناله من قصب السبق عليه وقد  
نعاذه حسد لما رأى هنداً تلبست ذلك الدرع وهي انا فعلت ذلك بأمرك

قال نعم

قالت وقد رأيتك وانت رجل محبباً بشهادة ذلك الشاب ولا يخفي عليك  
ان النساء أكثر اعجاباً بشهامة الرجال وخصوصاً من كانت مثل هند في مقتبل العمر

وربما ان الشباب . قالت ذلك وهي تراغي ما يبدوا من جبلاه ولم تكن تتوقع الا استغراها  
 فجهاق جبلاه ونظر اليها والشرر يكاد ينطابر من عينيه وقال وماذا تعنين  
 قالت وهي تردد بين ان تصرح له او تبقى على الکتمان « اعني انه لما رأى هنـا  
 محبـة بمحـاد ثـارت في قلبـة نـيرـان الغـيـة والـحـمـد والـإـنـقـام و ..... »  
 فقطعـ علىـهاـ الكلـامـ فـائـلاـ اـخـلـكـ تعـنـينـ أـكـثـرـ منـ ذـلـكـ  
 فـرأـتـ سـعـدىـ انـ تـصـرـحـ بـالـحـقـيـقـةـ لـتـرـىـ ماـ يـكـوـنـ فـقـالتـ رـبـاـ اـعـنـ اـنـ ظـنـهـاـ تـحـبـ  
 حـمـادـاـ فـارـادـ خـطـبـهـاـ الـجـرـمـاـ مـنـهـاـ فـيـنـتـقـمـ مـنـهـاـ جـيـحاـ  
 فـيـهـتـ جـبـلـةـ وـقـدـ اـرـنـابـ مـنـ كـلـامـ سـعـدىـ بـعـدـ ماـ آـنـسـ مـنـ تـرـدـدـهـاـ وـلـكـةـ اـسـتـزـادـهـاـ  
 اـبـضـاحـاـ فـقـالـ هـلـ كـانـ ذـلـكـ مـنـهـاـ عـلـىـ سـبـيلـ الـظـنـ فـطـ  
 قـالـ لـاـ اـدـرـيـ اـذـاـ كـانـ يـقـاـوـزـ الـظـنـ  
 فـقـالـ اـرـاكـ تـدـافـعـيـنـيـ وـتـكـتـيـنـ شـيـئـاـ آـخـرـ فـاـفـصـحـيـ عـاـ فيـ ضـمـيرـكـ  
 فـسـكـتـ وـقـدـ خـافـتـ الـصـرـبـ  
 فـاـمـحـ عـلـيـهـاـ وـهـوـ فـيـ رـبـبـ مـنـ اـمـرـهـاـ وـقـالـ اـفـصـحـيـ  
 فـقـالـتـ وـهـبـ اـنـ اـكـنـمـ شـيـئـاـ آـخـرـ فـاـ الـفـانـةـ مـنـ الـاـفـصـاحـ  
 فـادـرـكـ اـنـ فـيـ ضـمـيرـهـاـ سـرـاـ تـحـافـ اـفـشـاءـهـ فـرـارـاـ مـنـ غـضـبـوـ فـقـالـ وـقـدـ اـشـتـدـ قـلـقـةـ  
 وـحـيـ غـضـبـةـ قـوـلـيـ اـفـصـحـيـ فـهـلـ عـلـمـتـ بـقـيـئـاـ اـنـ هـنـاـ تـحـبـ ذـلـكـ الشـابـ  
 فـاطـرـقـتـ وـلـمـ تـحـبـ وـلـكـهـاـ أـشـارـتـ بـكـتـهـاـ وـحـاجـيـهـاـ اـنـهـاـ لـاـ تـعـلمـ  
 فـقـالـ .ـاـ بـالـكـ لـاـ تـجـيـيـنـ اـعـلـمـهـاـ تـحـبـةـ  
 فـنـظـرـتـ الـبـيـوـ وـقـدـ عـولـتـ عـلـىـ الـصـرـبـ فـلـاـ رـأـتـ تـنـطـبـ حـاجـيـوـ وـحـملـةـ عـيـنـيـوـ  
 خـافـتـ اـشـتـدـادـ غـضـبـوـ فـنـهـضـتـ وـنـظـاـهـرـتـ بـنـأـ جـيلـ الـحـدـيـثـ إـلـيـ وـقـتـ آـخـرـ وـقـالـتـ وـهـيـ  
 هـمـ بـالـخـروـجـ «ـ لـاـ اـعـلـمـ وـسـأـ بـحـثـ عـنـ ذـلـكـ وـاـخـبـرـكـ »  
 فـاـمـسـكـهـاـ بـيـدـهـاـ وـأـفـعـدـهـاـ وـقـالـ لـهـاـ يـكـنـيـ مـدـافـعـةـ فـانـكـ تـعـلـمـنـ فـقـوـلـيـ وـلـاـ حـاجـةـ إـلـيـ  
 التـسوـيفـ بـعـدـ اـنـ فـهـمـتـ مـاـ فـهـمـهـةـ مـنـ خـلـالـ حـدـيـثـكـ  
 فـقـالـتـ فـاـذـاـ كـنـتـ قـدـ فـهـمـتـ فـلـمـاـذـاـ نـسـتـعـيـدـنـيـ مـاـ قـلـتـهـ  
 قـالـ اـذـنـ هـيـ تـحـبـةـ وـتـرـيدـ الـاقـرـانـ بـهـ  
 قـالـتـ رـبـاـ كـانـ ذـلـكـ .ـ وـأـعـرـضـتـ عـنـ جـبـلـةـ مـتـشـاغـلـةـ بـاـصـلـاحـ فـرـاشـهـاـ وـأـظـهـرـتـ

## عدم الاكتزات

فهي غضبة وأمسكها بيدها وجدبها إليه بعنف وقال ما بالك تختفيت بغضبي  
كأنك لا ترين في الأمر ما يستحق الاهتمام إلا هنك أن نفترهن أبنتك سرجل غريب  
لا نعرف أصله ولا فصله وقد يكون من السوقه

فنظرت إليه عائنة لما اظهره من العنف وقالت بصوت متensus وهذا الذي حملني  
على الكتمان لعلك ستلتقي الحجر بما أعلمه من تعاملك بشرف الفسانيين  
وإنكارهم مثل ذلك على بنات ملوكهم على أن حماداً ليس من السوق بل هو من أمراء  
العراق ببني لخم

فحجل لما كان من خشونته في خطابها والغضب ينبعه من الاعتدار ولكنه  
أمسكها بلطف وقال لها ألا تشكرين أنت ذلك أيضاً . وهي انه أمير فيينا  
وبين العراقيين عداوة لا تؤذن بالماضي

قالت لا أخفي عليك أني استعذبت الأمر عند ساعه لأول وهلة ولكنني تلقيني  
بالحكمة والصبر لاري حيلة في تدبير ولو علمت أنت حال هند كما علمتها أنا لتعلمت  
مثل فعلي ولكن ما الثانية من الكلام وقد نسيت حنوك وشققتك فافعل ما تشاء  
واذا مانت هند فاللوم لاحق بك . قالت ذلك وهي تنظر إليه والدموع ملء عينيها  
فلما شاهد ذلك منها سكن غضبة وصبر نفسه ونظر إليها بطرف يكاد يدمع وقال  
وما الحيلة التي تريهما في الحال كما قلت

قالت اذا اذنت ان تنظر في الأمر بعين الحكمة دبرت لك حيلة ينصرف بها هذا  
المشكل على اهون سبيل والا فالامر لك  
فيهت وقال ما الرأي قولي

فجلست إلى جانبه وخاطبته باهتمام قائلة أما الرأي فهو ان تظاهر بالرضاء عما  
ارادته هند ثم تدبر حيلة تخلص بها من حماد لا يكون فيها ضغط على عياظها .  
فقال وكيف ذلك

قالت سأخبرها غداً ان حماداً اذا طلبها منك لا تنتبه منها ثم ابين لها ترفع مثلها  
عن الاقتران برجل غريب لم يثبت لنا نسبة وهي لا تذكر ذلك ثم احبب إليها ان  
بعمل عملاً نفترجه عليه يكون له بوخر يغتصب عن النسب فإذا قبلت ولا اظتها

الآفابة لعلى بعنة نسها اقتربنا على حماد امرأ يقرب من المستحيل فاذا استطاعه  
كان اقترانه بهند امراً مقصياً من الله سبحانه وتعالى فلا مندوحة لنا عن القبول به  
فارتاح جبلة الى هذا الرأي وساً لها عما توي اقتراحه فقالت سنتظر فيو ونقر  
عليه ربنا بثين الوقت

فصرّ لنعقلها وانني على ما أظهرته من الروبة والحكمة فقالت له عند ذلك دعني  
اذهب الى هند واطلبها لثلاثة نصفي الليلة ساهرة فتمود الى الضعف قالت ذلك وخرجت  
فرأت هنداً في انتظارها على مثل الجير

اما هند فلما رأت والدتها قادمة بهضب ملاقاها وهي تنظر الى وجهها تتفاءل  
بما نقرأه عليه من آيات البشر فرأتها تبسم فسكن بليها فاستطعلعنها الخبر فطاً نتها  
واكدت لها ان والدتها لا يانها في ما تريده فلم تصدقها حتى اقامت بجها لها فانبسط  
وجهها ولم تمالك عن الابتسام وكان سرور والدتها أكثر من سرورها ولكنها ما  
زالت تنكر في الحيلة ثم ودعت ابنتها وخرجت ولم تكن هند تلك الليلة من شدة الفرح

### الفصل الثلاثون

﴿ اليأس من وجود عبد الله ﴾

تركنا حماداً في انتظار خبر والله سلمان يتردد الى بصرى وضواحيها يسأل عنه  
حتى يتسا من العثور عليه هناك فلقي حماد اذلك كثيراً وخاف من سوء بصيبة  
وكان سلمان في مثل قلقه فعاد ذات يوم من بصرى وكان قد ذهب اليها للبحث عن  
سيئه ولم يقف له على خبر فوصل خيمة حماد فرأه غارقاً في بحار امواجس فلما دخل  
ناداه حماد ما وراءك يا سلمان

قال ما زلت على ما فارقني ولا اراني قادرًا على الصبر بعد هذا الانتظار فاذن  
لي بالمسير الى بيت المقدس او عمان للتفتيش عن سيدى فقد مللت الانتظار  
فقال حماد ألا ترى ان أسير انا معك  
قال لا حاجة الى ذهابك فامكث هنا ربنا اعود

فقال هل تسير الى بيت المقدس ام الى عمان  
 قال أرى ان أسرى الى بيت المقدس أتبع خطوات سيدني منها حتى أقف على  
 خبر فضلاً عما في الطريق من هنا الى عمان من الاخطار التي لم ننسها بعد  
 قال سر بحرارة الله ولا نطل الغياب فاني في انتظارك وانت تعلم حالي من الفلق  
 فودعه وخرج على جواده وقد لبس ثياب السفر وسار قاصداً بيت المقدس  
 فوصلها بعد ايام فجال في شوارعها حتى انتهى الى خان علم من قيافة صاحب انة  
 عرب في فدخل والتسنم مبيتاً عنده فأعاد له غرفة نزل فيها وارسل جواده الى الاسطبل  
 ثم بدل ثيابه وجاء الى صاحب الخان فجلس اليه وجعل يجادلها في مواضع مختلفة حتى  
 نطرق الى حكاية هرقل وما كان من مجبيه الى هناك فاَنس في الرجل علماً ببعض  
 المحكمة فقال له وهل رأيت القبص يوم مجبيه

قال رأيته ماراً بهوكبو يوم وصوله ثم تراكمت عليه الاشغال لافتاظ اهل القرى  
 والبلاد الى بيت المقدس لمشاهدته  
 فقال وهل يرد عليكم كثير من العرب ام كل زائريكم من الروم والسباق  
 واليهود من اهل هذه البلاد

قال فلما يرد علينا قوافل من العرب اما في هذا العام فقد جاءنا كثير منهم  
 فقال وما سبب ذلك  
 قال لأن القبص بعث الى امير من امرا الحجاز فقال له أبو سفيان نجاه برجاله  
 وحاشيته وقافلته فنزلوا جميعاً في هذا الخان ومكثوا منه بينما فاتنعت المدينة بقدومهم  
 لما يتناولونه من الطعام لهم والعلف لخيولهم وبظهر انهم من اهل الرخاء خلافاً لما  
 تعودناه من فقراء الحجاز وقلة اموالهم كما هو مشهور من جدب ارضهم  
 فقال سليمان كثيراً ما سمعت بابي سفيان هذا وعهدني بو من اعظم امرا  
 مكة وانه كثيراً ما يقدم برجاله الى الشام وضواحيها للانجذاب  
 فقال ولكنه فلما يأتي بيت المقدس اما في هذا العام فقد جاء بأمر من  
 الامبراطور

قال وما الذي دعا الامبراطور الى استقدامه ومن يكون ابو سفيان حتى يتم  
 امبراطور الروم باستدعائه

فأُحكي له حكاية الكتاب الذي ورد على هرقل وما كان من أمر حتى انتهى  
إلى سفن من بيت المقدس  
فاراد سلمان أن يستطلع خبر سيد فقال أظن العرب الذين يأتونكم كلاماً أو  
أكثرهم من المجاز ويندر أن يأتكم أحد من أهل العراق  
وكان الخاناني قد علم من لغة سلمان أنه عراقي فقال كثيراً ما يأنينا بتجار من  
العراق أيضاً ولكن قدوتهم يكون غالباً في أزمنة المواسم والاعياد عند ما يكثر الواردون  
إلى القبر المقدس لأن الناس يبحرون إلى أورشليم من جميع أقطار العالم فإذا  
باعوا في التجار من سائر البلدان أيضاً لعرض سلعهم وبضائعهم وأهل العراق بحملون  
إليها مصنوعات الفرس كالسجاد ونحوه وشيئاً من محصولات العراق كالماء وغيره  
فقال هل جاءكم أحد منهم في هذه الأثناء

قال رأيت كثيرين ولكن لم ينزل منهم أحد عدي إلا أميراً جاءنا يوم سفر  
إلى سفيان وسار معه

فتوسم سلمان من ذلك خيراً فقال وهل عرفت اسم ذلك الأمير  
قال أظني سمعتهم ينادونه عبد الله

فتحقق سلمان أنه سيد بعيونه فقال هل تعرف شيئاً عن هذا الأمير بعد سفن  
فأطرق الخاناني هنئه ثم قال لقد ذكرتني من شأن هذا الأمير ما يتضرر  
له القلب

فاقتصر بدن سلمان عند سماعه ذلك حتى ظهر الارتباك على وجهه وتناول  
بعضه نحو الخاناني وقال لقد شغلت بي يا أخا المربي بما أشرت اليه فهل أصيّب  
الأمير عبد الله سوء

قال كلاماً لم اسمع عنه شيئاً من هذا القبيل ولكنني علمت أنه أصيّب بفقد ولده  
أكلته السابعة في مسبعة الزرقاء

فعجب سلمان والتفت إلى الخاناني باهتمام وقال اعترف لك يا سيدتي إن أمر  
هذا الأمير يهمني كثيراً لانه سيدي وإنما جئت للتفتيش عنه فهل تتفضل بتفصيل  
حكايته وما تم له ومن أبناءه يقتل ابنه

قال لا أخني عليك شيئاً أعرفه من هذا القبيل فقد جاءنا هذا الأمير يوم سفر

أبي سفيان ولحظت انه سار في ضيافته فلما خرجت القافلة ارسلت معها بعض خدمة المخان ليعيدها لعلها تحتاج الى ارشاد في اختيار بعض الطرق دون غيرها وكان مع القافلة جواد عثروا عليه شارداً في بعض السهول أثناء مجئهم الى الشام فلما هبت القافلة بالمسير قدم ابوسفیان ذلك الجواد للأمير عبد الله ليركبه فلما رأه هذا عرفه انه جواد ولده كان قد فارقة في بعض جهات الزرقاء فالنبي عليه امر الجواد وفراوه وأحكي حكاية هن لابي سفيان فرافته هنا مع بعض رجاله الى المكان الذي رأوا الفرس فيتو باغني انهم عثروا على بقايا فرس آخر تحت شجرة واشيه اخرى استدلوا منها على ذهاب الغلام فربة السباع فبكى ذلك المسكين بكاء مرا وادب ابنته وبالغ ابوسفیان بتعزيبه فلم يتعزز

وكان سلمان أثناء هذه الحكاية مصغياً وقلبه يختنق فلما وصل المخان الي هنا الحمد أحسن سلمان بقشعريرة وقف لها شعن وقال للرجل وماذا تم له بعد ذلك قال سمعت انه لما تحقق موت ابنته بعد بحلوه الذهاب الى منزله في بصرى فسار مع القافلة الى الحجاز

فقال سلمان وهل تتحققت انه سار الى الحجاز

قال هذاما سمعته ولا ادرى اذا كان قد عدل عنها بعد ذلك

فقال سلمان وقد ظهرت البغنة على وجهه اني اعترفت لك باهبة هذه الحكاية عندي واشكر الله لرزولي عليك حتى سمعت هذا الحديث منك ولكنني ارجوان تزيدني ايضاً ما استطعت

فقال المخان انه لقد رأيت من اهتمامك وظهور البغنة على وجهك ما حرك في الاهتمام لمعرفة مصدرها الامير فلندفع المكارى الذى قص الخبر على بعد عودته لعله يزيدنا ايضاً قال ذلك ونادى المكارى وكان مشتغلًا ببعض شؤون المخان فجاء فسأله عما يعلم من تفاصيل حكاية عبد الله

فاحكي القصة كما قالها المخان مع بعض التفصيل حتى انتهى الى مسيرة القافلة بعد الرجوع من مسيرة الزرقاء فقال رأيت ذلك الامير عائداً على قدميه بحمل سيف ابنته وعباً نه وكان قد عثر عليها عد ضفة غدير هناك فاستأنس بها واشتم رائحة ابنته منها ولما الجماد فثار مسقاً ورأه كثيباً كأنه علم بصير صاحبها فلما

وصلوا الى الطريق دعاه أبو سفيان للمسير معه الى الحجاز او ان يوصله الى متزلو في بصرى  
فقال انه لا يريد العود الى بصرى ثم تردد في الذهاب الى الحجاز ولكنه رافقة  
وساروا جميعاً وعدنا نحن ولا نعلم ما تم له بعد ذلك  
فقال سلمان ألم سمعت يذكر عمان وعزمه المسير اليها  
قال لا اذكر اني سمعته يقول شيئاً من هذا القبيل

فيهت سلمان برفة يذكر في ما سمعه وقد علم ان سيد لا يضر على ما ظهر من  
ذهب حماد فربة للسباع وخلف ان يكون قد حمله ذلك على مهاجرة الشام  
والمسير الى الحجاز مع أبي سفيان ولكنه رأى ذلك اذا فعله سيد لا يخلو من المسايرة  
وهو يعلم ان عبد الله عاقل لا يأخذ الا وور بهظاهرها فلبت برفة يذكر ثم استاذن  
الخاناتي في الذهاب الى عرفو ليتبصر في الامر بعد ان شكر لما فصّله عليه

فلما خلا في غرفته اخذت تنقاذه المهاجس وهو يذكر في الامر وقد انقضت  
نفسه خوفاً ما قد يصيب سيد من عوقيب اليأس وعظم عليه الرجوع الى حماد بهذا  
الخبر المشوم فضلاً عن انه لا يفيق شيئاً فقضى بقية ذلك النهار وطول الليل في مثل  
هذا المهاجس فلا يلتجئ له بعد اعمال الفتك ان يتبع خطوات سيد بن فهو في سير الى عمان  
لعله يقف على ما يحملوه الحقيقة

فلما أصبح سار الى الخاناتي واطلعة على عزمه واستاذنه في مسير ذلك المكارى  
معه فاطاعه فركب سلمان والمكارى في ركب وكمراً وكما مرّاً بمكان احكي له المكارى وافعة  
حاله حتى تجاوزا طريق المسيعة ووصلوا الى النقطة التي عاد المكارى منها فقال سلمان  
لا نسير معي الى عمان لعلنا نسمع هناك خبراً جديداً

قال اني في ركبك الى حيثما ترید ولكنني سمعت منذ ايام ان بالقرب من عمان  
جماعة من قريش جاؤوا لحارتنا فلا نأمن اذا رأينا ان نقع في ايديهم غنية باردة  
فتقذّر سلمان انه سمع مثل ذلك قبل خروجه من بصرى ايضاً فتردد في الامر  
ولكن نفسه لم نطاوه على الرجوع قبل الوصول الى عمان فقرر رأيه على الذهاب اليها  
من طرق مجهولة لا يطرقها الا القليل من الناس والمكارى يعرفها فسارا حتى انتهيا الى  
عمان فلم يجدا فيها امراً ولا خيراً

فعاد سلمان يشأ حزيناً لا يدرى كيف يقابل حماداً بهذا الخبر إلا بر علي انه كان يتهم ان سين ولو اطاع عواطفه في حال تأثيرها وسار الى المحاجزا لا يلبيت ان يهدأ روعة ويعود الى البلقاء للبحث عن ابوه ولا افل من يرجع الى بصرى بعد ان عني عنه فيتفقد ما اذخره من المبال والمحنات في منزله بغسام

فقضى سلمان طول الطريق في عودته وهو يفك في ذلك وكثيراً ما حدثته نفسه ان يتأثر سين الى المحاجزا لوم يعترضه الشك في مسين اليها وعوّل اخيراً على الرجوع الى حماد والمداولة معه في هذه الشؤون فاذا تحقق ذهابه الى المحاجزا سار للتفتيش عنة فيها فلما وصل الى منعطف من الطريق يُؤدي الى البلقاء رأساً اثنى على المكارى فاكرمه وودعه وسار فاصدرا حماداً

## الفصل الحادي والثلاثون

### ﴿ حَمَّادٌ فِي خِيَتِهِ ﴾

لم يكن يتوارى سلمان عن حماد يوم خروجه الى بيت المقدس حتى أحسن حماد بالوحشة لانفراده في تلك الخيمة بعيداً عن حبيبته فلما قلقا على والده فجلس يفك في ما مرّ بـ ذلك العام من الاهوال وما رأه من حوادث الايام وتذكر حالة قبل قدومه البلقاء يوم كان خلي البال لا يعرف المواجه فعلم ان السبب في ذلك كلو الحب فتذكر هنداً وما ناله من رضاه والدتها فرقض قلبها طرباً ونسى ما ينتابه من الشواغل والحسب مع ما وصفه بو امام العاشقين بقوله

**فَعَشْ خَالِيَا فَالْحَبْ رَاحِنْهُ عَنِّيَ \***

**فَأَوْلَهُ سَقْمٌ وَآخِرَهُ قَبْلٌ**

فهو اذا رضي الحبيب تعزية للمحبين يسمهم المبوم وبخاف عنهم الاحزان فلم يكن لمداد تعزية في غربته وهو جسو الارضا حبيبته فاذا تراكمت عليه الاحزان تذكرها وتصور قربها فتنبعش جوارحه وتشوب اليد آماله فيجيء صدره وتبسط نفسه

فلبست في خيمته ببرهه يتrepid بين اليأس والرجاء ينقبض نارة وينسبط أخرى حتى كان المساء فسمع خوار ثور بين الخيام فعلم ان مضيئه عائد من مرعاه فحسن اسذاجي وقلة شواغل وليث يفكري أمن وود لوانه في مثل حاله خلي البال قليل الببال لا بهم من دنياه الا ما يرجوه من غلة أرضه او نتاج ما شنته ولكنه تذكر ان ذلك الشيخ لا يعرف الحب ولا شعر بلذاته فخيل له انه اشبه بالحيوان الاعجم منه بالانسان

وفيما هو يتأمل سمع وقع خطوات بالقرب من الخيمة علم من خفتها انها خطوات الشيخ لأنها كان لا يشي الا حافيا فاحتفر لاستقباله فاذا به قد دخل الخيمة والمدخل لا يزال في يده وقد كسا لحينة وعامة الغبار وانفتح قميصه عن صدره فبان الشعر مجعداً كأنه نبت الربيع يعاشق بعضه بعضاً فلما رأه حماد وقف له وحياه اكراماً لشيخه وخطوه فالى الشيخ المدخل عند باب الخيمة ودخل وعلى وجهه ملاعع البشر حتى كاد يبسم وكان قد عاشه اياماً لم يرث ثغر باسماً قط على انه فلما رأه منقبضأ او منها فلما رأه يبسم احس بارتباط وسرور ودعا الى جانبها واخلى لها مجلساً على البساط فابي الجلوس الا على الارض فجلس وهو يحك احدى كنهه بالاخرى ليترع ما لصق بها من التراب فلما تفتت التراب عنها جعل ينفض لحينة البيضاء ليترع عنها ما علق بها من الاتربة فبدأ حماد بخطابه فائلاً كيف انت اليوم ايها الشيخ ارجوان تكون في خير وعافية فترع الشيخ عامة وتشاغل بنقرها لينفض غبارها وقال محمد الله على خيراً وفقد سرني اليوم ان بقرتني ولدت عجلًا ابلق ولا يضي عليو العام او العامان حتى استخدمت في الحراثة فيه يبني عن تربية البنين وهو مهم

فعجب حماد لسذاجة البداؤه وقلة هوم اهلها فاراد مداعبته فقال له ايكتفيك من دنياك رعاية الماشية وتربية العجول والفسانيون ممتعون بالسلطة والسيادة وكان حماد عالمًا بما ينقوله الانباط على الفسانيين كما نقدم

فضحك الشيخ مستهزئاً وقال لا يغرنك من دنياك يوم نعم فانها لا تحسن يوماً حتى نسي اياماً فلا تفرح للحارث الفساني من اجل يوم استبدل فيه فقد جاءه من يترع عنه السيادة ويتحمه باجداده اصحاب سول العرم الذين انا جاؤونا فراراً من القر بعد ان كانوا يقيمون في ارض تستقي من مستنقعات يجمعونها من مياه الامطار وراء

سد من حجر فلما انهم السد سال الماء فاغرق السهول ولم يعودوا يستطيعون بناه  
السد لضعفهم وقلة تدبيرهم فاجذب ارضهم فغرى في جملة من فرّ منها الى هنالك  
منذ قرون مطلاولة وقدر لهم الملك عن غير استحقاق فجاءهم الان من يتزعزع الملك منهم  
ويكسر شوكتهم وبعلمهم ما لهم وما عليهم

فعلم حماد ان الشيخ يشير الى حكاية سيل العرم في جهات اليمن وما كان من  
تفرق بني قحطان بعد والغسانيون في جلتهم ولكنها لم يتفقه ما اراده من قوله بقرب  
زوال ملکكم فقال له وما تعنى بزوال ملکكم ونحن لا نراهم يزدادون الا فوة ومنعة  
قال ألم تسمع بالعدنانيين الذين قدموا من الحجاز في هذه الايام فقد جاؤوا جماعة  
كبيرة ليقتضوا من الغسانيين ويبعدوهم عن آخرهم

فقال وما اوجب الاقتصاص واي علاقة بينها والجاز على مسافة ايام من الشام  
والناس هناك في شاغل باصلاح دينهم فقد ظهر فيهم من يدعون الى دين الله وقد  
سمعت بانه انشأ فيهم دولة جديدة ذاتها كل بلاد العرب فأهل الجاز في شاغل  
عن هنالك

فضحك الشيخ وقال كل ذلك من تدبير الله . ولما ما اوجب محبي العدنانيين  
 فهو وفاحة الحارث الغساني وكرياته فقد انبأني بعض المارين من هنا ان النبي قريش  
الذي ذكرته كتبه الى الحارث كتاباً يدعوه فيه الى دينه فبدلأ من ان يقرأه وبينما ملأه  
ويرد الرسول رداً جميلاً مزق الكتاب واهان الرسول فشق ذلك على صاحب  
الرسالة فانفذ جنداً لحرب الحارث وفتح بلاده

فاهتم حماد بذلك الخبر كثيراً لعله اوان الحرب اذا قامت عرقلت مساعدة  
وحلت بيته وبين ما يريد فضلاً عما يخافه على هنالك من الخطر لان جبلة لا بد لها من  
نصرة ابن عمها الحارث على انه لم يكن يخاف انهزامهم او خذلانهم لما كان يتوهله من  
ضعف اهل الجاز وقلة خيراتهم كما هو مشهور عن تلك البلاد منذ القدم وأمكن خوفه  
على هنالك من عواقب الحرب ههـ كثيراً فليثبت بررهة ينكر في امن ثم قال للشيخ وهل  
انت واثق بمحبيه مؤلاء الحجاز بين

قال لا ربب عندي من ذلك

قال العنكبوت سمعت الخبر عن ثقة

قال سمعته من خير وهنـي أمنـه كثـيرـاً حـتـى تـحـقـقـة اـذ بـسـرـ في خـذـلـانـ الفـاسـدـةـ فـقـدـ  
فـلـيـتـ لـكـ اـنـهـ اـعـداـوـنـاـ وـكـانـ ذـلـكـ الشـيـخـ النـبـطـيـ يـظـنـ حـمـادـاـ يـغـرـ بـسـقوـطـ دـوـلـةـ بـنـيـ  
غـسـانـ لـانـهـ مـنـ لـخـ وـلـمـ بـدـرـ مـنـ لـهـ فـي صـرـحـ الـغـدـيرـ  
فـلـيـتـ حـمـادـ صـامـنـاـ لـاـ بـدـرـيـ مـاـذـاـ بـعـدـ وـتـذـكـرـ سـلـمـانـ وـالـدـ فـتـرـأـكـتـ هـوـمـةـ فـالـنـفـتـ

إـلـىـ الشـيـخـ فـاـذـاـ هـوـ قـدـ ذـبـلـتـ عـيـنـاهـ وـغـلـبـ عـلـيـهـ النـعـاسـ شـأـنـ الـمـشـتـغـلـيـنـ مـشـلـ شـغـلـوـ عـلـىـ  
خـلـوـ بـالـمـ وـخـصـوـصـاـ مـنـ كـانـ فـيـ مـشـلـ سـنـ فـانـكـ بـيـنـاـ اـنـتـ تـخـاطـبـ فـيـ شـأـنـ لـاـ تـلـبـيـتـ اـنـ  
تـرـاهـ بـنـامـ فـتـرـكـهـ حـمـادـ وـاشـغـلـ بـهـ جـسـدـ

ثـمـ أـفـاقـ الشـيـخـ مـذـعـورـاـ لـصـوتـ ثـيـرـانـ وـهـ بـالـخـرـوجـ مـنـ الـخـيـرـةـ وـهـ بـقـولـ لـقـدـ  
نـقـاـنـ الشـوـرـانـ فـخـرـجـ حـمـادـ فـيـ اـشـ وـكـانـ الـلـيـلـ قـدـ سـدـلـ نـقـابـةـ فـسـارـاـ حـتـىـ دـنـوـاـ مـنـ  
مـرـبـطـ الـثـيـرـانـ فـاـذـاـ هـيـ لـاـ نـقـاـنـ وـلـكـنـهاـ شـاهـدـاـ بـيـنـهـ جـمـلاـ غـرـيـافـ قـدـمـ الشـيـخـ الـبـيـوـنـ مـسـكـهـ  
بـعـنـقـ وـبـعـدـ عـنـ ثـيـرـانـ وـتـحـتـ دـنـوـاـ مـنـ نـارـ مـوـقـدـ يـسـنـضـاءـ بـهـ وـحـمـادـ بـرـاعـيـوـ بـعـيـنـيـوـ وـلـمـ  
يـكـدـ الشـيـخـ يـتـأـمـلـ ذـلـكـ الـجـمـلـ حـتـىـ ضـحـكـ وـقـالـ وـهـنـ نـاقـةـ مـنـ نـوقـ اـهـلـ الـمـدـيـنـةـ قـدـ  
تـخـلـفـتـ عـنـ جـنـدـ الـجـازـ الـذـيـ قـلـتـ لـكـ لـهـنـمـ جـاؤـاـ لـخـرـبـ الـفـسـانـيـنـ

فـقـالـ حـمـادـ وـمـاـ الـذـيـ دـلـكـ عـلـىـ ذـلـكـ

فـقـالـ دـلـيـ عـلـيـوـ شـكـلـ الرـحـلـ فـانـهـ خـاصـ بـاـهـلـ الـمـدـيـنـةـ وـكـثـيرـاـ مـاـ رـأـيـنـاـ مـنـ اـمـثالـ  
هـنـ نـوقـ مـارـةـ بـنـاـ إـلـىـ الشـامـ وـغـيرـهـاـ

فـقـالـ حـمـادـ بـظـهـرـانـ هـوـلـاـعـ الـعـدـنـاـنـيـنـ قـدـ اـصـبـحـوـ عـلـىـ مـقـرـبـةـ مـنـاـ  
فـقـالـ الشـيـخـ لـاـ أـظـنـهـ قـرـيـبـنـ فـقـدـ يـكـونـ بـيـنـنـاـ وـبـيـنـهـ مـسـافـةـ اـيـامـ وـلـمـ هـنـ نـاقـةـ  
قـدـ تـاهـتـ مـنـذـ بـضـعـةـ اـيـامـ قـالـ ذـلـكـ وـهـ بـعـقـلـهـ وـيـأـتـيـ لـهـ بـالـعـلـفـ  
فـتـرـكـهـ حـمـادـ وـعـادـ إـلـىـ خـيـرـهـ وـقـدـ تـهـلـ لـهـ الـاـمـرـ بـجـسـامـتـوـ فـعـظـمـ عـلـيـهـ اـنـ يـذـهـبـ  
أـمـلـهـ اـدـرـاجـ الـرـبـاحـ لـاـشـتـغـالـ جـبـلـةـ بـالـخـرـبـ فـشـعـرـ بـاـحـيـاجـهـ إـلـىـ سـلـمـانـ فـصـبـرـ نـفـسـهـ رـيـثـاـ  
بـعـودـ الـبـيـوـ بـخـبرـوـ الدـ



## الفصل الثاني والثلاثون

## ﴿ سلمان وأخباره ﴾

وبعد أيام عاد سلمان كاسف البال لخيبة مسعاه في التفتيش عن سيد وكان حماد قد ملّ الانتظار فاستطاعه كنه ما علمه فاحكي له ما سمعه ثم قال يلوح لي ان سيدني رافق أبا سفيان الى الحجاز اذ يظهر ما سمعته انه تحقق عبر مقتلك فلم يبق له وطري الحياة ولعل ابا سفيان حبيب اليه السفر ورغبة في المسير الى الكعبة فجراه فقال حماد لا أظنه بفعل ذلك قبل ان يأتي بصرى ويستخرج المغارة التي خبأناها في غسام

فقال وما أدرانا انه لم يأت اليها بعد ان استخرجنها او لعله أرسل من يبحث عنها فلم يظفر بها وعلى كل حال ان سيدني ليس في فلسطين ولا البلقاء ولا عثرة عليه في عمان وبؤخذ من محمل ما سمعته انه سار الى الحجاز فهل تاذن لي في الذهاب الى مكة للتفتيش عنه

قال لو كنا على يقين من ذهابه اليها لسرت انا بنفسي ولكننا انا نترجم بالغيب وزد على ذلك اتنا في حال تدعوه الى الفلق من امر الحرب المنتظرة بين الحجاز وبين الغسانيين وقد سمعتكم تشير اليها في اثناء حديثك وكانت في ريب من امرها مع اني سمعتها من شيخنا النبطي منذ ايام

فقال سلمان أما مجيء هؤلاء الرجال فلا شك في ولاني شاهدت معسكهم شهادة عين بجوار عمان وما سيدني فالارجح انه سار الى الحجاز او لعله أصيب بما عاشر عن الجيء الى بصرى ولا بلبت ان يأتني اليها فاذا لم ير بعد أيام علمنا انه سار مع أبي سفيان الى مكة

فلما يرجح سلام بدمًا من التربص لما سيظهر من هذا الفيل ولكن عاد الى امن مع هند وما عسى ان يكون من شأنها بعد طول الانقطاع وخاف ان يتغلب القتور على قلبها فيذهب سعية هدرًا

فقال عليك يا سلمان ان تردد الى بصرى لملك تسمع شيئاً عن والدي ولا

تَسَّنَ الْجُبُتُ عَنْ هَنْدِ وَالدَّهَا فَقَدْ عَلِمْتَ مَا دَامَ الْفَسَانِيُّونَ مِنْ أَمْوَالِ الْحَرْبِ عَلَى حِينِ  
غَفْلَةٍ وَأَخْشَى إِذَا حَسِيْ وَطَبِيسَهَا إِنْ تَذَهَّبَ آمَالُنَا كَلَّا كَلَّا ادْرَاجِ الرِّبَاعِ  
فَقَالَ سَلَّمَانُ وَالنَّلْقُ ظَاهِرٌ عَلَى وَجْهِهِ وَمَا ادْرَاكَ أَنْتِ غَافِلٌ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ وَهُوَ  
شَاغِلٌ فَكْرِي لِيلًاً وَنَهَارًاً وَكَتَ عَازِمًا عَلَى إِسْتِدَانِكَ فِي الْذَّهَابِ إِلَى بَصْرَى فِي صَبَاحِ  
الْغَدْمِ فَقَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ يَتَفَوَّلُونَ أَقْوَالًا لَمْ أَصْدِقْهَا

فَبَيْغَتْ حَمَادُ وَقَالَ وَمَاذَا عَسَى إِنْ يَكُونَ نَقْوَلُمْ وَعَمَنْ يَتَفَوَّلُونَ قَلْ مَا الَّذِي سَمِعْتَ  
قَالَ لَمْ أَسْعِ شَيْئًا يَوْجِبَ قَلْنَا لَانِي عَلَى يَقِينٍ مِنْ حُبِّ هَنْدِ وَثَيَانِهَا فِي حَبِّكَ  
فَازْدَادَ حَمَادُ اِنْدَهَاشًا وَقَالَ هَنْدٌ؟ وَمَا شَاءَنَ هَنْدٌ وَمَاذَا يَتَفَوَّلُ النَّاسُ عَنْهَا قَلْ  
يَا سَلَّمَانُ

قَالَ هَذِئُ رُوعُكَ فَإِنِّي لَا أَخْفِي عَنْكَ شَيْئًا وَخُصُوصًا إِنْ مَا سَمِعْتَ لَا يَوْجِبَ  
قَلْنَا وَلَا يَجْرِي إِلَى خَوْفٍ

فَقَالَ حَمَادُ وَقَدْ نَدَصَنَ قَلْ مَاذَا يَقُولُونَ

قَالَ سَمِعْتَ النَّاسَ يَخْدُثُونَ فِي بَصْرَى وَضَوَّاحِهَا إِنْ ثَلْبَةَ طَلْبِ الْأَقْتَرَانِ بِهِنْدِ  
فَلَمَا سَمِعَ حَمَادُ اسْمَ ثَلْبَةَ مَفْرُوتَا بِاسْمِ هَنْدِ وَقَفَ شَعْنَ وَاقْشَعَرَ بِدَنَةٍ وَقَالَ وَكِيفَ  
طَلْبُ ذَلِكَ وَمَنِي

قَالَ سَمِعْتَ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِوَاسْطَةِ وَالَّذِي الْمَحَارِثُ وَانِ وَالَّذِي خَاطَبَ جَبَلَةَ فَوْعَدَ  
فَصَابَ حَمَادُ وَمَاذَا وَعَدَ .. . .

قَالَ سَلَّمَانُ وَمَوْيَيْنِسْ مَالِيْ إِرَاكَ قَلْبِلِ الصَّبَرِ خَفَفَ عَنْكَ وَاصْغَ إِلَى مَا أَقْوَلُ  
فَقَدْ يَعْهُدْتَكَ صَبُورًا حَازِمًا

قَالَ أَنِّي صَبُورٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَا عَلَى هَنْدِ قَلْ مَا كَانَ وَعَدَ

قَالَ وَعَدَ بِخَاطِبَةِ الْفَتَاهِ أَوْ بِالْحَرِيِّ بِشَاهُورَهِ وَالَّدَّهَا إِذَا لَا تَجْهَلُ إِنْ اَقْتَرَانَ  
الْبَاتِلَاتِ قَلَّا يَتَوَقَّفُ عَلَى اِرَادَتِهِنَّ

فَقَالَ حَمَادُ وَمَاذَا كَانَتِ النَّتْيُوجَةُ

قَالَ لَمْ أَخْتَنِقَ الْخَبَرَ بَعْدَ فَقَدْ قَالَ بِعِضِهِمْ أَنَّهُ خَاطَبَهَا وَلَمْ تَقْبِلْ وَقَالَ آخَرُونَ  
أَنَّهُ لَمْ يَخَاطِبَهَا بَعْدَ وَلَكِنْ صَدِيقًا لِي مِنْ أَهْلِ بَصْرَى صَادَقَتْهُ عَلَى أَنْرَهْبُومْ ثَلْبَةَ عَلَى  
مَنْزِلَنَا يَوْمَ قَبْضَوْنَا عَلَى سَيِّدِيِّ الْأَمِيرِ وَلَظِنَّهُ أَعْلَمَ النَّاسَ بِجَنْفِيقَةِ الْوَاقِعِ أَنِّي أَمَسْ وَقَدْ

لقيتة في الطريق بجوار بصرى ان المارث استبطأ جواب جبلة بشأن هند فسار ابو ثانية يستحمله في الجواب على اور قدوم هؤلاء الحجازيين لانه يريد التعبيل في الاقتران قبل انتساب الحرب

فخفق قلب حماد كمن أخفق مسعاه ووقف وقد امتنع لونه وقال ما هن الاحديث يا سلمان فاني اراني في حلم انظن آمالنا ومساعينا قد ذهبت علينا عمل ترضي هند بابن عمها ثعلبة . قال ذلك والدمع يكاد يتناهى من عينيه فانعدمت الشهامة والغيرة في قلب سلمان ومحمد فضمه الى صدره وقال له خسى النذل ان هنداً أرفع من انت تدنس قلبهما بمحبتو وانت اعلم مني بانفتها وعنق نفسها وكرهما لثعلبة وياوح لي ان البطة في جوابها ناتج عن تمنعها فاتتعش حماد لذلك الكلام ولكنه ما زال خائفاً من ان تؤخذ الفتاة قسراً فقال حاشا لغلب هند ان يحب ذلك الحاشى ولكنني اخاف ان تحمل على القبول به مراعاة لعلاقة أبوها لما بينها من النسب وما يخشى من عواقب الرفض فقد يصعب على هند ان ترفض ما يريد ابوها

فقال سلمان لا يصعب عليها ذلك ووالدتها نصيرة لها فدآنست من هند المرأة يوم قابلتها ولانا في زي الراهب ما دلني على دعاهما وقوة جنابها هي اذا ارادت تحويل زوجها عن امر لا يصعب عليها

قال حماد ومن يبيتها بيقائها على ذلك ونحن لم نر من حدتها في ذلك اليوم ما يدل على اخلاصها لنا وزد على ما نقدم ان معواراة جبلة في رفض ثعلبة لا يضمن لنا رضاها بسواء ( يريد نفسه )

فادرك سلمان وعورة المسلك ولكنه أظهر الاستخفاف به وقال دع ذلك الي فاني ذاهب في صباح الغد لاستطلاع الخبر وتدبر الحيلة والله يفعل ما يشاء فسكت حماد لا عن افتناع ولكنه صير نفسه ينتظر ما يأتي به الفدر



الفصل الثالث والثلاثون

## \*) وعند جهينة الخبر اليقين \*)

وباتوا تلك الليلة وحمد لم ينم أَقْلِيلًا لَا ترَكَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُوَاجِسِ أَمَا سَلَمانَ فَقُضِيَ لِيَلَّةَ يَنْكِرُ فِي سَبِيلِ بَوْصَلَةِ إِلَى الْمَرَادِ فَنَهَضَ فِي الصَّبَاحِ التَّالِي وَفِي نِيَّتِهِ الشَّخْصُ إِلَى صَرْحِ الْفَدَيرِ لِأَعْنَادِهِ أَنَّ الْخَبَرَ الْيَقِينَ عِنْدَ هَنْدِ فَلَبِسِ ثِيَابِ الرَّهَبَانِ وَرَكَبَ جَوَادَهُ وَسَارَ حَتَّى إِذَا أَتَى الصَّرْحَ سَأَلَ عَنْمَنْ بِقِيمِ فِيهِ فَقِيلَ لَهُ أَنَّ جَبَلَةَ بِرْحَمِهِ مِنْذَ أَيَامِ بَعْدِ أَنْ جَاءَهُ لِزِيَارَةٍ . فَنَقَدَمَ إِلَى بَابِ الْمَحْدِيقَةِ فَاسْتَبَقَهُ بَعْضُ الْمَخْدُمِ وَسَأَلَهُ عَنْ غَرْضِهِ فَقَالَ أَنَّهُ جَاءَ بِهِمْمَةٍ مِنْ رَئِيسِ دِيرِ بَجِيرَاءَ إِلَى الْأَمِيرِ سَعْدِي وَطَلَبَ مَقَابِلَتَهَا فَسَأَلَهُ لَوْهَا فَإِذْنَتْ بِدُخُولِهِ فَلَمَّا خَلَتْ بِهِ عَرْفَةُ فَسَأَلَهُ عَنْ حَمَادَ فَأَبَأَهَا بِحَالِهِ وَأَنَّهُ جَاءَ يَسْتَطِعُ مَا تَمَّ مِنْ أَمْرٍ فَاسْتَدَعَتْ هَنْدًا وَكَانَتْ فِي غَرْفَتِهَا تَنْكِرُ فِي حَمَادَ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ مَنْهُ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِهِمْمَةِ سَلَمانَ خَفَقَ قَلْبُهَا وَاسْرَعَتْ إِلَيْهِ لِمَارَاتِ الْبَغْنَةِ تَلَوَحُ عَلَى وِجْهِهَا فَلَمَّا رَأَاهَا سَلَمانَ قَامَ لَهَا وَسَلَمَ عَلَيْهَا وَطَمَّأَنَّهَا عَنْ حَمَادَ وَسَأَلَهَا عَنْ صَحَنِهَا فَطَمَّأَنَّهُ وَكَانَ سَلَمانَ فِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ بِرَاقِبٍ حَرَكَاتِ سَعْدِي لِعَلِمَ بِلَاحِظٍ فِيهَا مَا كَانَ يَخْفَى مِنْ اخْلَافِهَا فَأَنْسَ مِنْهَا مَا حَقَقَ أَمَالَهُ بِرِضَايَهَا وَلَكِنَّهُ مَا زَالَ قَلْفًا لِمَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِ ثَلْبَةٍ وَطَلَبَهُ فَجَعَلُوا يَجَادِذُونَ اطْرَافَ الْحَدِيثِ وَلَكِنَّهُ بَيْنَ سَلَمانَ وَسَعْدِي فَعَلَمَ سَلَمانَ مَا كَانَ مِنْ عَدْوَلِ جَبَلَةَ عَنْ تَعْلِيمِهِ وَرِضَايَهُ بِمَحَادَ فَسَرَّ سَرَّ وَرَأَ لَا «زَيْدٌ عَلَيْهِ حَتَّى رَقَصَ قَلْبَهُ» مِنَ الْمَرْحِ وَوَدَ لَوْ أَنَّ لَهُ أَجْحَةً لِيُطَيِّرَ بِهَا إِلَى حَمَادَ يَبْشِرُ بِذَلِكَ

ثم قال لسعدى وما هو موعد ما من مخاطبة سيدى املك بهذا الشأن  
قالت نحن على موعد من عجیتو اليـنا بعد ایام فاذا كان يوم عجیتو يتقدم حاد  
في طلب هـ. دـ فـینـالـ مـبـتـغـاهـ وـکـاتـ هـنـدـ فـیـ أـشـاءـ ذـلـكـ مـطـرـقـةـ حـیـاءـ لـاـ تـنـکـلـ وـقـلـیـهاـ  
برـفـضـ طـرـبـاـ . فـقـالـ سـلـمـانـ وـمـنـ يـبـشـاـ بـذـلـكـ، الـبـوـمـ وـنـحـنـ بـعـيـدـوـنـ عـنـ هـذـاـ الفـصـرـ  
قالـتـ نـبـعـثـ مـعـكـ مـنـ بـعـدـ فـرـکـ فـاـذاـ کـانـ الـبـوـمـ الـمـعـهـودـ اـرـسـلـاـهـ فـیـ طـلـبـکـمـ  
قالـ حـسـنـاـ وـمـ بـالـخـروـجـ فـوـقـهـنـاـ لـهـ فـوـدـعـهـاـ وـخـرـجـ وـهـوـ لـاـ يـصـدـقـ اـمـ سـمعـ ماـ  
سـعـهـ وـلـكـنـ لـمـ يـعـلـمـ بـاـ سـيـتـوـمـ فـیـ سـبـيلـ سـيـئـ منـ العـقـبـاتـ وـرـافـقـهـ خـادـمـ اـشـدـبـوـهـ هـذـهـ  
المـهـمـهـ عـلـىـ انـ بـکـتـمـهـ

ولا نسل عن فرح حماد بلقا . سلمان وما كان من سروره لما سمعه حتى نشلت له السعادة عبدا رفا ونبي والله وضياء لا عن عفو و لكن الحب تغلب عليه فوعد نفسه بالبحث عن والله بعد ان يصير صهرا لملك غسان فيكون اقدر على ذلك لما برجوه من مساعدة عمه .

فلتركه في فرجه ولترجع الى الجبلة وما كان من امن بعد رجوعه الى صرخ الغدير فامة ما ابى ان توارى عن الصرح حتى انجلى له خطأه وما كان من بهوره في مغاراة ابرأته بشأن حماد ولم يعلم كيف يحبب المغارث عن ظلو وقد عظم عليه ان يرد له خاتما بعد ان وعد لما في ذلك من ضعف الرأي فقضى معظم الطريق في مثل هذه الموجس فلما راجع له اخيرا ان يكن حقيقة الامر و يجعل جواهرة تأجيل الخطبة الى ما بعد انتقام المحرر على نية ان يبعث حمادا في مهمة لا يعود منها فإذا عاد انا يعود خائبا فلا يستطيع طيبا ولا ينال وطرا

## الفصل الرابع والثلاثون

### \* ثعلبة \*

أما ثعلبة فدبر ما دون وهو على ثقة من رضاه هد به ولو قسرآ ثم علم بضياع عبد الله وترجح لدببو مقتل حماد ما نقله ابو جواسيسة الذين انذهم في اثر عبدالله بعد خروجه من بيت المقدس وذلك ما كان ينهاه فهدت غيرته على هند لامه اينا طلب الافتراض بها ليمنعها من حماد فلما لم يقنلها ود الرجوع عن ظلو لتنقى منفعة العيش فكسر الانابين معها فأخذ يترقب فرصة بوجل بها الافتراض ثم بسى في سبيل بنتقها به من هدب وكانت تحدده نفسه ائها اذا قتلت هي ، اجابها بالتأجيل والوعود حتى تموت كهذا الا اذا علم بعد ذلك ان حمادا ، يقبل قهود اى طلبها

ولم يكر والله ثم بمحضه مراده فكذلك يستعمل جملة في أمر الافتراض ظنا منه ان ذلك برأبه ويجل عيشه سعيدا لما سمع بجيء المغارثين الى عات سار بننسو

فصحت ثعلبة سرعةً ممكناً يعكر في أمر همه ثم قال إن حالاً الحاضرة يا أباها لا تؤذن لها بالاحتلال كما قدمت فلا ارى ان نستجعى بالاقتران ولا بأس من تأجيله حتى تفضي الحرب . فعجب والله لجوابه بعد ما آتته من الماحظة فلا ولتكن حمل ذلك منه على رغبته في الحرب فاسخنة وقل له اراك تضل الاشتغال بدفع الاعداء على نيل ما طالما كنت تهمها وهي شهامة غسامية نذكرها لك

وكان الحارث يفضل الْجِيلَ أَيْضًاً ولذلك كان يُلْعِنُ على جملة رغبة في إرضاء ابنه على أنه خاف أن يكون في ذلك ما يسيء. جملة أو تكرر العلاقة بينها فغالب وماذا نجيب عنك لو أجابنا بالفتول

قال نجيبة اتنا في حال حرب لا تؤذن بالاقتراض

قال ولكننا كنا في مثل هذه الحال يوم جتنية وتحت علبة بطلب الفتاة وقد اعتذر  
إليه بحال الحرب فاجبته أنا بود العرائع من الاقتران قبل اشتاهاها فكيف نعود إليه  
بهذا العذر لا نظن في ذلك ما يحمله على اساءة الظن

قال لا يهمنا ساهم هذا الامر او سمع فاننا سرد الناجيل

فُجِّبَ الْحَارِثُ لِطِيشِ أَنْهُ وَنَفَافِهِ عَنْ حَقِيقَةِ الْمَلَاقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَوْنَافَالْ  
لَهُ إِلَّا تَعْلَمْ يَا وَلَدِي أَنْ مِثْلَ هَذِهِ الظَّاهِرَاتِ نَسُوقُ إِلَى حَرْبٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَإِذَا كُنْتَ  
غَافِلًا عَنِ ذَلِكَ فَمَا أَمَا بِغَافِلٍ وَعَلَى كُلِّ فَانِ الْمَسَأَلَةِ دَفْيَقَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى دَفْقَةٍ نَظَرٍ وَحْسَنٍ  
اسْلُوبٌ

فليث ثعلبة رهه يذكر وقد اتبه لحرج المقام وكانت الغيبة والانتقام قد غشيا  
بعض فنال لوالد ولكن حال اليوم غير ما كانت عليه يوم استجابت جملة في الاقتران  
فقد كان الاعداه اذ ذاك في عان وهم قد افلطوا الآن من هناك وتحركوا نحو البلماه

فاجعل ذلك سبباً للتأجيل

فرأى الحارث في كلام ثعلبة بعض العذر فعوّل على الاتجاه اليه في مخاطبة جبلة  
وفيها ما في ذلك جاءها رسول من جملة يستقدم الحارث للهداولة بشأن الحرب  
فقال الحارث لها اني ذاهب الى اللقاء انزلي ما تم من رأي جبلة بشأن الحرب  
واذا خاطبني في أمر هند عدنا الى الناجيل كما قدمتنا فاشتغل انت بتديير الجيد  
واكتب الى الامراء ان يجمع كل منهم رجاله تحت رايته وينهيأوا للحرب عند الحاجة  
واذا رأيت فيهم تقاعداً استخدموا سنهض همهم وادفع اليهم ما يحتاجون اليه من المال  
وانشر في ذلك المطريق روه نوس فانه قد اوعز لي أن اجمع عشائر غسان التابعين  
للوائنا ولا بد من انه قد كتب الى حملة بهيل ذلك ايضاً فكن على استعداد وإن نكن  
حالنام او تلك المجاز بين لا تستدعني كغير اهتمام

فقال ثعلبة أني عامل على ما تريده ولكنني أرجو أن نتم ما نتكلمنا فيه من تأجيل  
الافتراض فوعده بذلك وركب وركبت حوله رجال حاشيته وسار قاصداً البلقاء

الفصل الخامس والثلاثون

جبلة والخارت

تركى جبلة في حيرة من أمر الافتراض وتأجيله وهو في طريقة من صرح الغدير  
إلى البلقاء فلما وصل المفاهيم سمع بخرك أحجار بين من عمان فحال في نفسو هذا عذر  
يساعدني على ما أريد فان زحف الاعداء علينا يذر كف الاشتغال به عن كل شاغل  
فكثب إلى الحارث يستقدمه اليه لان المفاهيم اقرب إلى عمان من بصرى فانه عليه في  
المجيء وذكر في كتابه انه يريد المداولة معه بشأن الحرب توصلاً بذلك إلى تأجيل  
الافتراض فصار الحارث اليه كما نقدم

فلا تنقيا سلماً وإسرعاً إلى خلوة تداولاً فيها سرّاً  
فالجملة قد دعوك يا ابن العِم للبحث في الوسائل التي يجب اتخاذها لدفع  
هؤلاء الفادمين فقد علمت أنهم نحرزوا من عمان شمالاً فهم بلا ريب يقصدون هذه

الديار ولا يلبيشون ان يأتونا وقد بعثت العيون برافعون حرماهم لينبئونا بممسكرهم  
فاعدد رجالك وها اني قد اعددت رجالـي  
فقال الحارث قد شاهدت العشائر في الطريق يستعدون المسير اليكم واوصيت  
ولدنا ثعلبة ان يكتب الى العشائر الاخرى لتبينج بحوار بصرى فاذا اجتمعوا وعلمـا  
ممسكر الاعداء حملنا عليهم معـا ولا اظـنا نلقـ مشقة في دفعـهم لقائهم وفـرـهم فـندـ  
عملـ اـنـهم حـفـاةـ الاـقـدامـ لا يـلـبـسـونـ الاـشـمـلاتـ يـلـخـنـونـ بهـاـ كـاـ يـفـعـلـ سـائـرـ اـهـلـ المـجـازـ  
لا يـكـادـ يـهـيـزـ اـمـيرـهـ مـنـ مـصـلـوـكـمـ (١)

ويـلـوحـ ليـ اـنـاـ اذاـ رـأـيـناـ مـنـهـ ماـ اـنـعـناـ أـرـضـيـاهـ هـاـلـ نـدـفـعـهـ اليـهـمـ وـلـاـ نـظـنـهـ جـاؤـناـ  
اـطـمـاـ بـذـلـكـ لـعـمـمـ بـحـيـرـاتـ الشـامـ وـغـنـيـ دـوـلـةـ الرـوـمـ  
قالـ ذـالـكـ لـيـوـمـ جـبـلـةـ اـنـ مـجـيـئـهـمـ لـيـسـ مـبـنـيـاـ عـلـىـ سـوـءـ  
معـاـمـلـتـهـ لـحـامـلـ كـتـابـهـ اليـهـ  
فـقـالـ جـبـلـةـ لـاـ تـرـىـ اـنـ نـعـرـضـ عـلـيـهـمـ ذـالـكـ اـلـاـ بـدـ اـنـ تـرـىـ مـنـهـمـ مـقاـوـمـةـ وـلـكـنـيـ  
لـاـ اـظـنـهـ يـقـنـونـ اـمـامـ جـنـدـنـاـ يـوـمـاـ وـاحـدـاـ  
ثـمـ تـذـكـرـ جـبـلـةـ اـمـرـ ثـعـلـبـةـ وـهـنـدـ فـقـالـ قـدـ ذـكـرـتـ مـاـ وـلـدـنـاـ ثـعـلـبـةـ يـهـتـمـ بـكـاتـبـةـ العـشـائـرـ  
فـهـلـ هوـ فيـ بـصـرـيـ الـآنـ

قـالـ نـعـمـ هـوـ هـنـاكـ وـقـدـ أـسـفـ هـذـنـ الـحـالـ الـتـيـ سـغـوـلـ بـيـنـاـ وـبـيـنـ الـاحـتـفـالـ  
بـرـاجـهـ بـيـنـنـاـ هـنـدـ  
فـقـالـ جـبـلـةـ (ـ وـقـدـسـرـ بـهـذـاـ العـذـرـ )ـ بـالـحـقـيقـةـ اـنـهـ وجـبـ الـلـاسـفـ عـلـىـ اـنـيـ لـاـ اـرـىـ  
مـاـنـهـاـ مـنـ تـأـجـيلـ الـاقـتـرـانـ الـىـ مـاـ بـعـدـ الـحـربـ فـاـنـ فـرـحـاـ اـذـ ذـالـكـ يـكـوـنـ مـزـدـوـجـاـ  
وـلـاـنـنـاـ وـلـدـنـاـ وـالـاـمـرـ مـعـقـودـ لـهـ مـنـذـ وـلـدـاـ

فـاـبـتـسـمـ الـحـارـثـ فـرـحـاـ لـمـاـ نـالـهـ مـنـ تـأـجـيلـ الـاقـتـرـانـ عـنـاـ فـقـالـ جـبـلـةـ بـوـرـكـ  
فيـكـ فـقـدـ كـنـتـ اـمـيلـ الـىـ ذـالـكـ وـإـسـخـسـهـ وـلـاخـشـ اـذـ ذـكـرـتـهـ لـكـ اـنـ نـظـنـ سـوـمـاـ  
فـنـشـكـرـ اللهـ عـلـىـ تـوـارـدـ رـأـيـنـاـ وـلـاـ بـدـ مـنـ اـنـ يـكـوـنـ ذـالـكـ هـوـ الصـوابـ

فـقـالـ جـبـلـةـ نـعـمـ اـنـهـ الرـأـيـ الصـوابـ وـسـأـسـيـرـ الـىـ صـرـحـ الـفـدـرـ فـارـىـ سـعـدـىـ وـلـيـ نـيـهاـ  
يـاـ تـمـ عـلـيـهـ الـاـمـرـ لـثـلـاـ تـكـوـنـ مـشـتـغـلـةـ فـيـ الـاـسـتـعـدـادـ بـعـدـ اـنـ خـاطـنـهـاـ فـيـ التـعـجـيلـ عـلـىـ اـثـرـ  
تـعـجـيلـكـ فـلـاـ بـدـ مـنـ اـبـلـاغـهـ خـبـرـ التـأـجـيلـ وـلـاـ أـحـبـ اـنـ يـكـوـنـ ذـالـكـ عـلـىـ بـدـاـحـدـ سـوـيـ  
(ـ وـهـوـ اـنـاـ بـرـيدـ الـمـسـيـرـ بـنـفـسـهـ لـالـمـداـوـلـةـ شـأـنـ الـمـهـمـ الـتـيـ بـرـيدـ اـرـسـالـ حـمـادـ فـيـهاـ )ـ

فقال الحارث افعل ما بدىلك وفقاً الله ما فيه الخير ثم خرجا وسائل حسنة عنون  
سار لتفقد حركات الاعداء فقالوا انه جاء فاستقدمه وعاد و قال الحارث معها الى مسكن  
منفرد وكان الرسول من خالط الحجارة بينها وبين قلبه فاختناره جملة يحيط بهم  
وبسططلع حالم فأناها ناهم فاموا من عمان وساروا يربدون موئنة عند الدرك<sup>(١)</sup>  
فانهم يصلونها قريباً

فقال الحارث أظنهن يصلون اليها  
قال جملة ربيما فعلوا ذلك . ثم نحول نحو الرسول فقال له هل عرفت عددهم  
وقولهم قال أظنهن لا يغزوون ثلاثة آلاف مقابل وليس معهم من العدة والسلاح  
الشيء فابل لا يقاس بعد رجالها وأسلحتهم  
فحصل الحارث مستهزئاً وقال أثلاثة آلاف فارس جاؤنا من أقصى الحجاز  
لبحار بوا الروم وجندنا لنجا وزنة الف<sup>(٢)</sup> ومعها الجبول والسلاح  
فقال الرسول وقد علمت انهم ادركوا ضعفهم وقلتهم ورها وقولها هنيةة ربنا  
يسقدمون مددأ لهم من الحجاز

فقال الحارث أعلمت انهم يشعرون بستقدمون المدد  
قال الرسول كلا ولهم تداروا في ذلك والارجع انهم لا ينعلون فقد  
سمعت مداوتهم ولما جلس بين جماعة منهم كأني احدهم فقال قائل من بينهم «كيف  
نهاجم بلادآ لا يقل جندها عن مائة مقابل وقد يبلغ المئتين فلطالع المدد» فقام رجل  
من كبارهم امة عبد الله بن رواحة فقال لهم «يا قوم والله ان الذي نكرهون للذى  
خرجتم له خرجم نطلبون الشهادة ونحن ما مقابل الناس بعد ولا قوة ولا كثرة ما  
نقاتلهم الا بهذا الذي اكرمنا الله تعالى به فاما هي احدى الحسينين اما اظور ولما  
شهادة» فسمعت الناس يضجعون قائلين «صدق والله بن رواحة» ملا اظنهن بعد  
ذلك يستمدون اهل الحجاز

فقال جملة وهل سمعت شيئاً من اهل القرى التي مررت بها فلا بد من انهم  
نعرضا لهم وقطعوا الشجارهم وآذون  
قال لم أسمع منهم شكيراً ولقد عجنت الحال هو لاه الحجاز بين فانهم على فترهم دما

لظهور من ضل احوالهم لم يوذوا احداً من اهل القرى الا الذين اعترضوهم ولقد سُت  
في دير بين عان ومؤنة وسمعت حديث الرهان بشأنهم فرأيتهم يثنون على حسن  
نصرتهم فقد مرّوا بهم ولم يكلّعوهم امرأ غير ما احتاجوا اليه من ماء او علف  
فقال الحارث الظاهر انهم يلمسون ثقة الاهالي حتى لا يكونوا عنواناً عليهم  
أشاء العرب

فقال الرسول لا اظن ذلك غرضهم ولكنني سمعت من رجل جالسته بالامس  
ذاتخذني صدinya وقص على قصهاً كثيرة هو مجتبٍ بها عن النبي الذي قاموا بنصرته  
وما قاله لي انه لما خرج لوداعهم في ثنية الوداع خارج ثرب وسلم الالوية اليهم او صام  
فتنلاً « اوصيكم بنقوى الله وبن عكم من المسلمين خيراً اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو  
الله وعدوكم بالشام وسبخون فيها رجلاً في الصواب فلا تعرضا لهم ولا نقتلوا امرأة  
ولا صغيراً ولا بصيراً فابنوا ولا نقطعوا شجرًا ولا تهدموا سداً »<sup>(١)</sup>

فانسحب الحارث وجملة بهن الاقوال ثم قال الاول أما وقد اقترب هولاء  
من المقاء فلنهض الى دمشق نستجعلى الحمد الرؤمي ولما كان لفاؤنا ايام دفعة واحدة  
تصدهم ونعيدهم من حيث أتوا فوافقنهم جملة على ذلك ولكنه ما فنَّ يذكر في هذه حماد  
وما صدق ان عاد الحارث من عند حتى ركب فاصدأ صرح الغدير لا يصحبة الا  
دارسان فوصل الفصر على غير انتظار فلما علمت سعدى قد ومه انشعل بما لها ولكنها  
ما انت انت علمت بسبب مجبيه فخلأ بها واطلعمها على ما تم بينه وبين الحارث ثم قال  
وسل أنت على ما علمت من أمر ذلك الشاب أم تكبت من تحويل هذه عن عزها  
فزجبت الى صواجهما

قالت قلت لك قبل آن ان من يحاول تحويل هذه عن حماد فانه يلمس  
امراً مسخلاً

فتهجد آسماً لما فرط منه تلك الليلة من القبول بشورة سعدى بشأن هذه حماد  
ثم قال فالي بالحيلة التي وعدت بتدبرها للتخلص من هذه الورطة



## الفصل السادس والثلاثون

### ﴿ قرطامارية ﴾

قالت ارى ان نطلب اليه شيئاً صعباً امثال بقدمة مهراناً هدفاً فاذا لم يستطعها ان  
الجاني على نفسه وكما براء من لوم هند وقد كلمتها بهذا الشأن فرأيت فيها ميلان  
ذلك فهي تحيب ان تعلو منزلة حماد في عيون اهله اذا افترضنا عليه عملاً يعنى في  
سبيل الحصول عليها فانها تزداد افقاراً وكمما زاد ذلك العمل عظماً وخطرأً  
فقال وهل خاطبها في ماهية ذلك الافتراج  
قالت كلاماً

فقال وهل عينتِ الافتراج في ذهنك أم انت تنتظر بين البحث في شأوه الآن  
قالت أظني عينتِ وساً عرضةً عليك لعلك نسخته والا فاما نظر في سواه  
قال وما هو قوله

قالت لا يخفى عليك ان جدتنا مارية بنت ظالم اخت هند المنداد امرأة حجر  
آكل المرار الكدي هي جدة مارك غسان كافة

قال نعم واعلم انها صاحبة الفرطين اللذين يضرب المثل بها  
قالت لقد نظرت بالصواب نعم ايها اعني فلا يخفى عليك ان فرطيها اللذين  
ذكرتهما لم يلبس ملوك الارض مثلهما لان فيهما دررٌين كثيري حمام لم ير الناس مثلهما  
ولم يدرك ما قيمتهما (١)

قال نعم انها ثمينتان

قالت اندرى ابن قرطاماً الآن  
فيهـ، جلة مدة ثم قال نقل لي والدي عن جدي عن قلمه ان جدتنا مارية اهدت  
فرطيها الى الكعبة في مكة على سبيل المذر واظهر انها كانت وثنية ولو لا ذلك لم يهد  
مثل هذه الخفـ الى الكعبة

فقالت مهرا يكن من امرها فان قرطبيها لا يزالن في الكعبة <sup>(١)</sup>

قال نعم

قالت فارى ان فترح على حماد الاتيان بها مهرا هند تلبسها في زفافها فما قولك  
فتعجب جبلة بذكرة سعدى وحسن اختيارها ودقة نظرها وتس و قد أرقت  
اسرتها كأنه رأى باب المراج فبدفع فتح ف قال سورك فيك ونعم الرأى رأيك انه افتراج  
لا ينتهي لبشر ان يأتى بهشلولا به بعيد المال وإذا فرضنا ان حمادا استطاعه فانه  
يكون اهلآ هند فلا نعنة منها فهل نظرين هندآ توافقنا في ذلك

قالت لا أطئها الا موافقة والا فيكون لما عذر في رد حماد

قال ما قد نفرر الا برفعها بي هدا بشاء و فاذا قبلت استدعى الشاب ونبي عنى  
في البلاغه ذلك فاني في شاغل عن هذه الشؤون بما نحن فيه من امر الحرب المتقطعة

قالت حسنا وخرجت

وكانت هند في أثناء ذلك تمشي في الحديقة وقد علمت بمعي والدها ونيفت  
امها جاء لها الشاب وخصوصاً بعد ان رأته اخلي بوالدتها فلما نظرت في الحديقة  
وقد يحيط في صدرها واكمالها تحول في ماذا عن ان يقر عابه الفرار ولما رأت  
والدتها خارجة اسرعت نحوها وهمت بالاستههام فأوصأت اليها ان تصبر ربها وبعد  
والدها فاما سيسرع الى التقاضي حالاً

وسررت سعدى الى الخدم ما مرتهم باعداد الطعام ثم خرج جبلة الى الحديقة نظاهراً  
بالجثث عن هند فلما لافاما قيلها وسلم عليها وهو يهش لها وعلامات الانبساط بادية  
على وجهه فوسمت بذلك خيراً فمشت معه وهو يسألها عن صحتها وحالها ويجادلها  
بشروعهن معنى الا الافتراق فاما لم يدركن فقط . أما هي فقد منعها الحياة عن ذكره  
وفبعد ان تناول جبلة الطعام ودع امرأته وانته وعاد الى البالما . ولم يكدر بخرج  
من الحديقة حتى اسرعت هند الى والدتها تستطلعها الخبر

(١) دَكَّ اَصْ مُوْرِحِ الْاَلَازِمِ فِي عَرْضِ وَصْفِهِ مَلَاسِ جَبَّا اَنْ وَتَاحَهُ لَوْلُوْنِي قَرْطِي  
اَمَّرَهُ وَاَرَى دَائِنَتْ لَمْ يَكُنْ اَنْ يَلِي سَيْلَ التَّحْتِيْلِ فَقَطْ اَيْ اَنْ يَكُونُ فِي تَاحِ جَبَّا لَوْلُوْنَانْ كَيْرَتَانْ  
تَشِيَّهَ لَوْلُوْنِي مَارِيَهُ وَخَوْسَا اَنْهُمْ لَمْ يَدْكُرُوا اَحَدًا سَتْرَجُهُمْ مِنْ الْكَعْبَةِ

## \* فناة غسان \*

فأَجَابَهَا وَهِيَ تَبَسُّمْ قَائِلَةً أَبْشِرُكَ بِهَا، وَالدُّكُّ عَلَى عَزْمٍ فَقَدْ رَدَ الْحَارِثَ وَابْنَهِ  
وَقَبْلَ بِحَمَادَ كَمَا قَلْتَ لِكَ وَلَكُنَّهُ يَرِي أَمَا إِبْصَارًا أَنْ تَنْتَرِحَ عَلَيْهِ عَلَلًا بَسْدَ مَا يَنْفُولُهُ  
النَّاسُ مِنْ غَمْوُضٍ أَصْلُهُ وَفَصْلُهُ، فَإِذَا كَمَا لَا يَجْنُونِي عَلَيْكَ بَطْلَ بَاسْلَ لَا يَرِي الْوَاعِشِي سِيلًا  
إِلَى الطَّعْنِ فِيهِ الْأَمْنُ جَهَةً نَسْيَهُ فَإِذَا عَمِلَ عَلَلًا تَنْرَدَ هُوَ فِيهِ كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًّا إِلَى رُفْعٍ  
مِنْزِلَتِهِ وَسُكُوتَ النَّاسِ عَنِ الطَّعْنِ فِي أَصْلِهِ  
وَكَانَ هَذِهِ دِسْمَعَتْ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ وَالدِّنَاهَا فَبِلَا فَوَالْتَ أَنْ ذَلِكَ يَا أَمَاهَ  
مَا يَوْجِبُ لِي التَّغْرِيبَ إِبْصَارًا وَاعْلَمُ أَنْ حَمَادًا لَا يَتَوَقَّفُ فِي سَبِيلِ هَذِهِ عَنِ الْعَمَلِ يَسْتَطِيعُهُ  
النَّاسُ فَهُلْ قَرَرَ رَأْبِكَا عَلَى اقْتِرَاجِ نَقْرَحَادِ عَلَيْهِ  
فَالْمُتَلَقِّي لَهُدْنَدَ رَأَيْتَ أَنْ يَكُونُ فِي اقْتِرَاجِنَا مَا يَرِيَنِي بِوَرَأْكَ فَضْلًا عَنْ شَرْفِكَ

قالَتْ وَمَا هُوَ

قالَتْ رَأَيْنَا أَنْ نَظَلَّبِي الْيَوْمَ الْأَنْتَيْانَ بِقَرْطَيْ مَارِبَةِ مِنَ الْكَبَّةِ، وَاحْكَتْ لَهَا حَكَائِنُهَا  
فَبَهْتَتْ هَذِهِ سَرَّهُ وَقَدْ هَمَاهَا ذَلِكَ الْاقْتِرَاجُ وَلَكِنْ اغْتَهَا مِنْعَنِهَا مِنْ أَكْبَارِهِ، مَا لَتْ  
لَا أَظْنَ حَمَادًا إِلَّا فَلَذِكَ بِاذْنِ اللَّهِ

قالَتْ هَلْ بِنَا نَسْتَقْدِمُهُ وَنَعْرِضُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ

فَلَمَّا سَمِعَتْ سَاسِنَدَادَ رَقَصَ قَبْيَهَا فَرْحًا بِلْقِيَاهُ وَقَالَتْ أَسْتَقْدِمِيَوْ وَالْأَنْكَادَ، عَلَى اللَّهِ  
قَالَتْ ذَلِكَ وَقَدْ شَغَلَهَا الْفَرَحُ قَرْبُ مَشَاهِدِهِ عَنْ نَقْدِيرِ نَالِكَ الْمَهْمَةِ حَقَّهُ، رَهَا  
فَنَادَتِ الْخَادِمَ الَّذِي رَافَقَ سَلَمَانَ إِلَى قَرْحَادَ وَأَوْعَزَتِ الْيَوْمَ أَنْ يَسْتَقْدِمَهُ  
إِلَى الْصَّرَحِ

## الفصل السابع والثلاثون

## \* حَمَادَ وَآمَالُهُ \*

تَرَكَنَا حَمَادًا وَسَلَمَانَ يَفْكَرَانِ فِي عَبْدَ اللَّهِ وَهَا بَيْنَ الرِّجَاهِ وَاللهِ وَطِنِّ مِنْ أَمْنِ فَنْضِي  
سَلَمَانَ أَيَّامًا يَتَرَدَّدُ إِلَى الْبَلْفَاهُ وَبَصْرِي لِلْجَهَتِ عَهْلَهُ فَلَمْ يَقْفَ لَهُ عَلَى خَبْرٍ حَنِيٍّ تَرَجَّعَ لِدَبِيٍّ  
أَخْيَرًا إِلَهُ سَافَرَ إِلَى الْأَجْهَارِ

ولما حماد فكان بين شاغلين عظيمين هنـد من جهة ووالـثـ من جهة اخـرى وكـلـا رأـى قـادـا ظـهـة رـسـوـلاً مـنـ هـنـدـ جـاءـ بـسـقـدـةـ إـلـيـهاـ اوـ بـهـنـاـ بـبـئـةـ بـخـبـرـ وـالـهـ حـتـىـ كـانـ الـبـوـمـ الـذـيـ تـقـرـرـ فـيـ وـاسـفـدـةـ وـانـقـ اـمـ اـمـاـقـ فـيـ صـبـاحـ ذـلـكـ الـبـوـمـ مـشـرـحـ الـهـ دـرـاسـ الـامـالـ وـكـانـ فـلـمـ اـصـبـحـ اـمـ سـفـحـاـ كـبـيـراـ لـماـ يـنـوـالـيـ عـلـىـ ذـهـنـهـ مـنـ الـخـافـ تـارـةـ عـلـىـ وـالـهـ وـطـورـاـ عـلـىـ حـيـبـتـهـ حـتـىـ اـلـزـدـالـكـ فـيـ صـحـنـوـ فـرـقـ جـسـمـهـ فـلـيـلـاـ عـلـىـ اـنـهـ كـثـيرـاـ مـاـ كـانـ بـخـرـجـ لـلـصـيدـ اوـ نـحـوـ لـتـرـوـيجـ النـسـ وـلـوـلـاـ ذـلـكـ مـاـ نـجـاـ مـنـ غـائـلـةـ الـمـرـضـ

فـلـمـ اـصـبـحـ فـيـ ذـلـكـ الـبـوـمـ عـلـىـ مـاـ نـقـدـمـ عـجـبـ وـاسـبـشـرـ وـلـمـ يـتـوقـعـ خـبـرـاـ مـفـرـحاـ وـكـانـ سـلـمـانـ قـدـ خـرـجـ مـنـ الـخـيـرـةـ لـعـضـ الـمـهـامـ وـهـوـ عـلـىـ غـيـرـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ سـيـكـ مـنـ الـإـنـشـارـ وـلـكـنـ مـاـ لـبـثـ اـنـ رـأـىـ فـارـساـ فـادـمـاـ مـسـرـعـاـ فـعـلـ مـنـ جـهـةـ مـسـيـعـ اـنـهـ يـقـصـدـ ضـرـبـهـ فـتـفـرـسـهـ عـنـ بـعـدـ فـعـلـ اـمـهـ اـنـاـ جـاءـ لـبـشـرـيـ خـيـرـ وـقـلـ اـنـ بـصـلـ الـفـارـسـ اـلـىـ سـلـمـانـ تـرـجـلـ وـمـشـيـ وـزـمـامـ الـفـرـسـ بـيـدـ وـمـشـيـ سـلـمـانـ حـتـىـ الـقـيـاـ فـتـصـافـحـاـ وـنـعـاـفـاـ فـاـسـتـطـلـعـهـ سـلـمـانـ الـمـبـرـ فـلـ جـتـ اـسـقـدـمـ الـاـمـيـرـ حـمـادـاـ اـلـىـ سـيـدـيـ الـاـمـيـرـ سـعـدـيـ فـيـ صـرـحـ الـغـدـيـرـ لـاـنـهـ تـرـيدـ مـخـاطـةـ فـيـ شـأـنـ

فـقـالـ سـلـمـانـ وـهـلـ تـدـرـيـ مـاـ هـوـ ذـلـكـ الشـأـنـ .ـ فـضـلـ المـخـادـمـ وـقـالـ لـاـ اـدـريـ وـلـاـ بـدـ مـنـ اـنـ تـدـنـونـ اـعـلـمـ بـنـيـ دـ وـلـاـ اـهـلـ الـمـصـرـ عـدـمـاـ فـقـدـ اـحـظـواـ مـنـ بـعـضـ مـاـ سـعـونـ سـرـاـ وـلـدـرـكـوـهـ ضـهـراـ اـنـ مـوـلـاتـاـ هـنـدـ سـخـطـهـ وـلـكـنـاـ نـتـظـرـ ذـلـكـ الـبـوـمـ فـاـمـسـكـوـنـ بـوـمـاـ سـعـيـدـاـ لـمـ يـرـ غـسـانـ اـسـعـدـ مـهـ لـانـ .ـ وـلـاـ جـبـلـةـ كـرـمـ الـفـسـ سـيـجـعـ عـلـيـنـاـ خـلـعـاـ فـاخـرـهـ وـيـنـثـرـ عـلـيـنـاـ الـذـهـبـ ثـرـاـ

فـتـبـسـ سـلـمـانـ وـقـالـ وـهـلـ عـلـمـ مـنـ هوـ خـطـبـهـ  
فـقـالـ نـعـمـ هـوـ اـبـنـ عـمـهاـ نـعـلـيـةـ اـذـ لـيـسـ مـنـ اـبـاءـ عـمـهاـ مـنـ هوـ أـقـرـبـ مـنـ الـبـهـ وـقـدـ طـلـبـهـ  
وـلـكـنـيـ عـلـتـ مـنـ بـعـضـ الـخـدـمـ اـنـهـ لـاـ تـجـبـهـ وـلـاـ نـقـبـ بـهـ  
فـقـالـ سـلـمـانـ وـهـلـ يـكـنـهـ رـفـضـةـ

فـقـالـ لـاـ اـدـريـ وـالـظـاهـرـ اـنـهـ رـفـضـةـ .ـ وـكـانـ الـخـادـمـ قـدـ سـمـعـ بـأـمـ حـمـادـ وـرـغـبـهـ  
هـنـدـ فـيـوـ وـلـكـنـهـ تـجـاـمـلـ لـتـلـاـ بـقـالـ اـنـهـ باـحـ بـالـسـرـ وـودـ اـنـ يـكـونـ سـلـمـانـ الـبـادـيـ بـالـخـبـرـ

ولما سلمان فلم بعد يستطيع صبراً على كثanan من الاخبار عن سيده ولكنه اراد معرفة ما دعا الى استقام حماد فقال ومل سمعت امراً حدث قريباً في النصر  
قال لم اسمع شيئاً ولكنني رأيت سيدي الامير جبلة جاء بالامس فمكث عندنا  
بعض ساعات قضاها في المساره هو والامير ثم عاد الى اللقاء وفي حال خروجه  
استقدمني سيدتي وأخذتني اليكم

فادرك سلمان ان جعيه جبلة لم يكن الا لامر الخطبه وترجح عنده انه رضي بجاد  
وأولاً ذلك لم يكن ثبت داع لاستقام حماد على اثر رجوعه حلاً فدخل على سيد و كان  
منكثاً على اثر عودته من صيد قريب وقلة بطنه سروراً ولائل الانساط ظاهرة على  
وجهه لسبب لا يعزى احد فدخل عليه سلمان وحياه وهو ينسى  
فقال له ما وراوك يا سلمان اني اراك مبشرًا

قال عـاماً ان تكون بشرى خيراً يا سيد

قال وما ذلك

قال ان أهل صرح الغدير بعثوا بيستقدمونك اليهم فهل تذهب ام انت في شاغل  
الآن . قال ذلك وهو يبحث

في مجلس حماد وهو بظلة مازحاً وقال لا ابالي دعاني اهل الصرح ام لا فاني اراني  
سعيداً منذ فتحت عيني في هذا الصباح

قال وما يضرك ان تم سعادتك فان انشراح درك ان هو الا فاتحة السعادة  
وهذا خادم النصر قد جاءنا فهل ادخله عليك ليبينك بهمتو  
«فقال ليدخل»

دخل الفارس وهو لا يزال بلباس المفرغيا الامير وإنما بهمتو فقال حمادها،  
فارقتم جميعاً في خير

قال فارقتم يدعون لسيدي الامير بالصحة والعافية ويرجون لقاءه قريباً ايم  
سرورهم زؤيتـ . فاستبشر حمادها ورأه ذلك

وقال اهدم سلامي وقل انا ستصحـم غداً ان شاء الله  
فقبل الخادم يد وخرج فخرج سلمان لوداعه ودفع اليه عشرة دنانير وقال هذا  
ثمن عليـق الفرس وسترى منا ما يشرح صدرك فسرـ الخادم بالهدية وبالوعد ووـدـ

ان تم خطبة هند لحاد لما ظهر من سخا، ورقة جانبو خلافاً لشعلة فانه لم يكن احد من أهل الصدق يحبه لعجرفته وبنجاه، فلما سار الخادم عاد، ان الى حاد فرأه مطرقاً ينكر

فقال ما بالك - يذكر العلة بفتح ذلك الدعوة على غير انتظار قال كلاً : سلام فقد كنت اتوقع خبراً مفرحاً من ذلك الصالح ولكنني انكر في والدي وما وفاته طالما تمنى ان يزوجني وينحر بي وقد كان يحب ان يسير هو معنا في هذه الهمة . ولكن من يبيتنا يكأنه

فقال سلام دع عليك الموجس يا مولاي فقد نظرت في ذهني ان سيدى سار الى انجاز ومتى فرغنا من مهمتنا هذه اذهب اليه بنسى ولا ازال ابحث عنه حتى آتي به باذن الله فلستعد الا ان للذهاب الى صرح الغدير

قال أرى ان نبرح هذا المكان قبل الغروب حتى نصبع في الصرح كما فعلنا للخادم . قال ، حسناً واخذنا في الاستعداد وحمد كلما نصوره ، لافاته هذا خلق قلبها وهالة الموتى ونذكر اجناءه بها في دير بجيرا . ولكن سروره لم يكن تماماً مخافة ان لا تكون دعوته على ما يومئذ من الفوز بما يبتناه ولكن الامل غالب عليه فتصور انه انا دعي لانعام عقد الخطبة فقضى بقية ذلك اليوم في مثل هذه الامور

## الفصل الثامن والثلاثون

\* ساعة اللقاء \*

اما هند فلما عاد الروول وإنما يجيء حماد في صباح الغد خنق قلبها ولبس نعم الساعات والدقائق فقضت ذلك اليوم ولم تتم من شدة الفرح فلما أصبحت سارت الى والدها وسألتها عن المكان الذي سيجتمعون فيه فقالت قد امرت الخدم ان يدعوا غرفة الضيافة ولا يدخلوا اليها احداً في هذا اليوم وان يذبحوا الذبائح ويدوطوا الامانة والبستان هند ثوبها ساوياً جميلاً خاطئه لما احدى خيارات دمشق وكانت قد خبأته لثقل ذلك اليوم ومشطت شعرها وضفتها وجعلت تشاغل بعض المهام اخفاها لما

ثار في قابها من الفواعل المتضاربة بين الترح بلقيا حبيبها و هو موقنها ساعة النقاء  
وخوفها عليه ما اعدوا له من امر الكعبة

وكانت سعدى قد انذرت جماعة من أهل الفصر لاستقبال القادة بين قيل وصولهم  
فلا كان الضحي ودنا الوقت جعلت هند نطل من الراشد تنظر الى ساحة الميدان التي  
جرى فيها السباق منذ بضعة أشهر ووراءها الاكتم والغياص وتنما رأته غبارا  
او آنسست اشباحا ظلت حمادا فاداما في حقن قلبها ونورد وجنتها حتى كانت الظمة  
فاذا بالغبار يتصاعد من بعض جوانب الافق ثم مان من تختو فرمان بسرعوت وفي  
مقدمتهم فارس عرفت انه من أهل النصر وانه شئم الجماعة ليبشر مقدومهم فارداد  
خهنان قلبها ثم شاهدت المرسان يقتربون وبنقدمهم حبيبها حماد ملثما حاكوفية فابكرته  
في بادئ الرأي اركوبه فرسا غير فرسه . ثم غلب عليها الضعف النسائي ما عطكت  
ركبتها واستعزمت ساعة النقاء فتحولت عن الماء ولهبها ما انكثت تنظر اليه خلسة  
حتى دنا من الفصر وكانت والدتها وافنة الى جانبها وقد لحظت ما هي فهو من المهام  
فقالت لها امكثي هاربها استقدمك الى دار الضيافة ..

وخرجت الى الحديقة وقد جل المرسان وتركوا خيولهم في عهده الخدم ودخلوا  
الحديقة وفي جملتهم حماد ملثما بعباته وقد حول اذبال كوفيته عن وجهه وارسلها  
الى كتفيه فبانت ملائعا محياه وتقديم سلمان الى جانبها حتى دنو من سعدى فتقدم سلمان  
الى ياخذن ايتها هي الاميرة سعدى امرأة الملك جبلة فعلم انها والله هى فسلم عليها وهو  
يتوقع ان يرى هندا فلم يرها فعلم ان الحبيبة منها من القدوة لمنائقها ولها لا تلبث ان تأتي  
فاستقبلتها سعدى وسارت بها الى غرفة الضيافة مخلسا واجلسا وخدم وقوف بين ايديهم  
فقالت سعدى هل يا ذن الامير بآه ليغسل ويبدل ثياب السفر قبل تناول الطعام  
فاجاب وغسل يديه وجهه وجاءه سلمان برداء حريري وكوفية فلمسها وجلس وعيناه  
شائعتان نحو الباب وكلما سمع وقع اقدام او رأى شيئا ظنة هندا فادمة

اما سلمان فانه ترك سعدى وحمادا في الغرفة وخرج يبحث عن هند وكان قد  
عرف غرفتها في مجئه اليهم قبلا كما علمت فاذا هي وافنة هناك تتلاهي بالاساور  
تدبرها حول معصها وافكارها تائهة وقد علت وجهها امارات البغنة فلما رأها ظاهر  
بالسعال ليستلفت انتباها وقد كانت لعظم تأثرها لا تمز نسمة الا سمعت لها صوتا

كيف بسعال سلطان فانه ذعرها فالتنبت اليه فرأنه ينسم فابتسمت ولكنها شعرت  
بشعر برق خفيف ثم شلت وهي تحاول اختفاء ما بها فنقدم نحوها وهو يجاذر ان يدخل  
الغرفة للاذ يكون دخوا . مخالما لمنتهيات العادة فمشت هي نحوه وسلمت عليه  
فقال هل رضيت مولاتي عن رامب الدبر جامع الذور  
فابتسمت ولم تجتب

فقال ها قد جشك بالقص الذي سرق الدرع فهل تريدين مقاومته ولكنني  
ارجو ان لا تخكمي عليه بالسجن  
فذكرت زيارته اياما ثياب الرهبان فضحكـت ولكنها ما زالت تنظر الى معصمتها  
ونيلاهي مساوازها  
فدنـا منها وقال ما بالك لا تتكلـمـين يا مولاتي العلي أذنت لاني تركـت  
صاحب الدرع ( او لصـةـ كما تزعـمـين ) وجئت وحدي . فهل استدعـيـ اليـكـ  
فـلـمـ تـجـبـ ولكنـهـ كانـ يـقـرـأـ آـيـاتـ السـرـوـرـ عـلـىـ وـجـهـهـ

فـقـالـ أـرـاكـ ظـاهـرـيـنـ بـاـنـ مـجـيـئـةـ لـاـهـيـكـ وـلـكـنـ اـفـرـأـ عـلـىـ وـجـهـكـ عـبـارـةـ يـكـادـ  
يـنـطـاقـ بـهـاـ لـاسـمـكـ فـقـدـ فـهـمـتـ مـرـادـكـ بـدـوـنـ انـ تـكـلـيـ فـهـاـ اـنـ ذـاهـبـ لـادـعـوـ الرـجـلـ  
الـيـكـ فـرـفـعـتـ نـظـرـهـاـ الـيـكـ كـنـهـاـ نـلـوـمـهـ عـلـىـ هـنـدـ المـدـاعـبـ اـمـاـ هـوـ فـنـحـوـلـ عـنـهاـ ضـاحـكـاـ  
حـتـىـ دـخـلـ غـرـفـةـ الضـيـافـةـ فـرـأـيـ سـعـدـ وـحـمـادـ جـالـيـنـ وـلـيـسـ فـيـ الـغـرـفـةـ سـوـاـهـاـ فـدـنـاـ  
مـنـ سـعـدـ وـقـالـ وـهـوـ يـنـظـاهـرـ بـالـمـزـاجـ .ـ ماـ بـالـيـ اـرـىـ هـنـدـ الـغـرـفـةـ قـلـيلـ التـورـ كـاـنـهـاـ  
بعـيـتـ عـنـ مـوـقـعـ أـشـعـةـ الشـمـسـ

فـقـالـتـ سـعـدـ أـلـاـ تـرـىـ اـشـعـةـ دـاـخـلـةـ مـنـ هـنـدـ الـافـافـةـ  
فـقـالـ وـهـوـ يـضـحـكـ لـأـرـىـ نـورـاـ قـطـ وـيـظـهـرـ لـيـ انـ شـمـسـ نـشـرـقـ مـنـ الـجـنـوبـ  
( وـاـشـارـ الـىـ غـرـفـةـ هـنـدـ ) فـادـرـكـتـ سـعـدـ مـرـادـهـ فـبـتـسـمـتـ وـاطـرـقـ حـمـادـ خـجـلاـ وـلـكـهـ  
وـدـ اـنـ يـلـعـ سـلـطـانـ باـسـقـدـامـ هـنـدـ

فـقـالـ سـلـطـانـ أـرـاكـ نـضـحـكـوـنـ مـنـ كـلـامـيـ وـارـانـيـ اـعـلـمـ مـنـكـ بـشـرـقـ شـمـسـ قـضـرـكـ .ـ أـلـاـ  
أـذـنـتـ مـوـلـاتـيـ بـقـدـوـمـ شـمـسـ هـذـاـ النـصـرـ بـلـ شـمـسـ سـيـ غـسـانـ الـيـناـ .ـ فـانـيـ أـرـىـ  
الـاسـمـةـ قـدـ مـدـتـ وـكـانـيـ بـكـمـ نـهـيـاـ وـنـ لـلـغـدـاءـ وـلـكـنـ الطـعـامـ حـرـامـ عـلـيـنـاـ قـبـلـ مـجـيـءـهـ  
سـيـدـيـ هـنـدـ فـانـهـاـ مـحـورـ اـنـسـاـ وـلـاـ أـظـلـكـ نـكـرـيـنـ عـلـيـنـاـ ذـلـكـ

فقالت سعدى . أراك بجوجا يا سلمان ولا مأرب لك في الامر  
فضحك سلمان وقال لا مأرب لي صدق لا مأرب لي ولكنني اعبر عن عواطف  
اناس آخرين وأشار بطرف عينيه الى حماد فبسم حماد وقد توردت وجنتاه ونظر  
الى سلمان نظره التوجع .

فالفت اليه سلمان وقال يظهر المك لا ترید مقابلة فتاة غسان فاذا كان هذا هو  
مرادك ( أستغفر الله ) ما كان اغنانا عن تكيد هذه المشاق وهجرها الحبقة والعراق  
فحضرت سعدى الى سلمان والرزاقة والنعقل يتدفقان من وجهها وقالت لم دفع  
ولدى حمادا الا ليرى هندا وتراء فانهما ولدانا ولا يجهل انها بسران بمقابلة فلا  
تكن عجولاً ان هندا لا تثبت ان تأتي وتشاول الغداء معا  
ثم رفعت وقالت وهو اني ذاهبة لاستقدامها . وخرجت  
فلما خرجت التفت حماد الى سلمان واراد معانقته لما ابداه من الجرأة في خطاب  
الاميرة سعدى

فقال واولا ذلك اطوال زمن الوحدة ألم علينا جه المأكل ونشرب  
ثم عاد حماد الى الاوكراني هند وقرب محبثها وما سيكون من امرها سامة اللداء  
فا لبيت ان سمع وقع اعدام علم من امزدوا حبها ان سعدى وهندا فادسان فتعذر لقيام  
اما سلمان فوق بالباب فراها فادمتين فتبسم ونظر الى حماد  
ثم وصلنا الى باب الغرفة فدخلت سعدى وهندا جمعها مطرقة

فوقف حماد ومشي لاستقبالها وهو مطرق ايضاً ولكنه لم يجرأ على مصافحتها ولا هي  
فعلت ولكن قلبها كما ولا ريب يختلجان فرحاً وكل منها يناظر بالجلد فتشاعل  
هو باصلاح ردائه وارسال كوفتيه الى كتفه ونلامهت هي باصلاح قرطها في اذها ولا  
نسل عن تورد وجنتها واعطاكك ركبتيها واحللاج قلبه . وحالما دخلت اشارت اليها  
والدهما ان تخلس على وسادة الغرفة منها فجلست وجلس الجميع وليثا سره لا يتكلمون  
وحمداد ينظر الى هند معاذراً فرآها قد تغير حالها عما كانت عليه يوم دبر محيراً فذلل  
ورد وجنتها وخف عضلها ولكنه رأى ذلك قد زادها جلاً لأرمبية وكانت هي تحبس  
النظر اليه ولا تكاد تصدق انت والدهما رضي لها بو ثم يعترضها امر قرطي ماري

ففتحت سعدى الكلام فائلاً وماذا ثمَّ من أمرٍ والدك هل التقىْتمْ وام عرفتم مفنون  
فقال حماد كلاً يا مولاني فقد شغل بالنا تأخُّر ولم ندع مكاناً لم نسأل فيو عنه  
والفضل في هذا السعي كلُّوا لهذا الرفيق ( وأشار إلى سلمان ) فامة لم يأْلِ جهداً  
في البحث والاستطلاع فلم تخف على خبر يقين

فقال سلطان ولكنني ارجح ذهابه الى المجاز لما سمعت من حكاية صاحب المخان  
واخذ يقص عليهم ما سمعه من الحاناتي في بيت المقدس وما كان من امر ابي سفيان  
وجناد حماد الحن . .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ قَالَتْ سَعْدَى بُوْخَدَى مِنْ مُجْهُولِ مَا سَمِعْنَاهُ أَنَّ وَالْدَكْمَ سَافَرَ  
إِلَى أَشْجَارِ مَعْ أَبِيهِ سَفِيَانَ دَلَوْ كَانَ مَا فِي الْبَلْقَاءِ لِيَأْتِيَ اللَّبْعَثُ عَنْكَمْ بَعْدَ أَنْ نَالَ الْعَنْوَى  
الْإِمْپَراَطُورِيِّ ثُمَّ تَبَسَّمَتْ وَسَكَنَتْ كَارَ فِي نَفْسِهَا شَيْئًا تَكْنِيَةً فِي الْجَمِيعِ صَانِتِينَ  
أَعْلَمُهَا بِنَوْلٍ شَيْئًا وَفِيمَا هُمْ فِي ذَلِكَ دَخَلُواْ مِضَ الخَدْمَ وَسَأَلَ الْأَمِينَ سَعْدَى إِذَا كَانَتْ  
نَأْذَنَ بِدِ السَّبَاطِ لَآنَ وَقْتَ الْغَدَاءِ قَدْ أَرْفَقَ فَنَالَتْ هَاتِنَا الطَّعَامَ وَالنَّفَقَتْ إِلَى حَمَادَ  
قَائِلَةً هَلْ بَنَا إِلَى الْغَدَاءِ وَنَعْمَ حَدِيشَا بَعْدَ

فدت الاسطه وحملت الذبائح وجلسوا على المائدة وحمد بيكر في ماذا عسى  
ان يكون وراه نسم سعدى

فَلَمَّا فَرَغُوا مِنَ الطَّعَامِ عَادُوا إِلَى الْإِسْتِرَاحَةِ وَجَاءُوا يَنْتَظِرُونَ حَدِيثَ سَعْدِي  
الْأَهْمَانِيَّا فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مِّنْهُمْ لَانَّ وَالدِّنَّهَا أَشَارَتْ إِلَيْهَا أَنَّ تَخْلُفَ هَبِيبَةَ رَبِّيَا يَعْادُثُونَ  
فِي شَأْنِهَا

فَلَا اسْتَبَّ بِهِمْ الْجَوْسُ فَالْتَّ سَعْدِيْ أَظْكَمْ تَنْظَرُونَ مِنِيْ كَلَامًا ظَهَرَ لَكُمْ مِنْ  
نَسْبِيِّ الْآنَ اَنِي اَكْتَبَ

فناں حماد ہو ذلك یا مولانی فانخفینا یو

قالت نسمت لما اتفق من ذهاب والدكم الى المجاز وما نحن عازمون ان  
نعرضه عليكم ما يأول الى اجتناعكم بهماك  
فحبب جماد لكلامها ولم يغافلها فقال وماذا عسى ان يكون افتراحكم  
قالت لا يخفي على ولانا حماد ان ما عرفناه من شهامتكم وكرم اخلاقكم يكفي  
لاقتناعنا باستغفاركم فهذا والله جديربالحمدول عليهما دون ابن عمها . ولكننا معاشر العرب  
نحافظ على الانساب ونحترم القرابة ولا يخلو ان يكون قد بالغكم ان الحارث بن ابي  
شهر قد طلب هذا الابي ثعلبة وهو ابن عمها ولولي الناس بها . ولكننا اثروا البنا على  
ما ارادته هند ورضينا بجماد لما آنسنا فيو من كرم الاخلاق وعلو المهمة وعدلنا عن  
ثعلبة على كونه ابن عمها  
ففجأ حماد لهذا الاطناب واختراج قلبها فرحاً لمانوسمه من رجوع الامر اليه وتحقق  
اماينه فاطرق صامتاً

فقالت سعدى ولكن والدها رأى رأياً اذا وافق عليه حماد كان فيو دفع لنتفؤل  
الناس وعناب الافاريب وفخر لنا جميعاً  
قال حماد مري يامولاني اني رهبن اشارتك  
قالت رأينا ان نعمل عملاً نترحه عليك لا بعزم على باسل نظيرك فاذا  
فتعلنه فطعت السنة المفترضين وزدتنا انجذاباً وفخرًا  
فثارت الحمية في نفس حماد فقال قولي يا سيدتي اني فاعل ما تقولين وهل يشفل  
علي امر ترضى به هند  
قالت نترح عليك ان تلبس هندا يوم زفافها قرطين فيها لوازنان كن لوزة  
منها قدر بيس الحمام

فقال العلك تعين قرطين ماري  
قالت ايها اعني وهل تدربي مكانها  
قال سمعت ان ماري جدكم اهدتها الى الكعبة منذ اجيال فهل ما باقيان  
هناك حتى الان  
قالت اظنها لا يزال هناك وفي استخراجها من جوف الكعبة بسالة وافتدار  
جدبران بكم

فَلَمَّا سَمِعَ سُلَيْمَانَ ذَلِكَ اضْطَرَبَ فَوَادِهِ خَوْفًا عَلَى سَيِّدِهِ لَعْلَهُ أَنَّ الْكَعْبَةَ امْتَحِنَ مِنْ  
عَذَابِ الْجَوْفِ قَدْ يَسْعَى إِلَيْهَا الْوَصْولُ  
فَقَالَ هَلْ تَأْذِنُ سَيِّدِنِي بِكَلْمَةٍ أَفْوَاهَا  
قَالَتْ فَضَلْلَ  
فَقَالَ هَلْ تَرِيدُ بْنَ اَنَّ لَبِسَ مَوْلَاتِي هَنْدَ قَرْطِي مَارِيَّةَ عَيْنِهَا اَمْ قَرْطِينَ آخَرِينَ  
مُثْلِهَا

قَالَتْ لَا تَلْهُسْ شَبَيْنَا بِقَدَرِ بِالْمَالِ بِسُلَيْمَانَ فَإِنَّا مِنْ نَعْمَلِ اللَّهِ فِي سَعَةٍ وَبِسَطَةٍ عِيشَ  
وَلَكُنَا نَرِيدُ اَنْ نَفَارِخَ اَعْمَاسًا بِاَنَّا لَمْ نَرِضْ هَنْدَ اَلْأَرْجَلَ اَسْقَرْجَ قَرْطِي مَارِيَّةَ مِنْ  
جَوْفِ الْكَعْبَةِ وَهَذَا مَا اَضْطَكَنِي لِمَا سَمِعْتُ حَكَائِي الْامِيرِ عَبْدِ اللَّهِ وَذَهَابِهِ إِلَى الْمَجَازِ  
فَقَلَتْ فِي نَفْسِي اَنَّ اللَّهَ قَدْ اذْنَ بِذَهَابِ حَمَادَ لِيَلْتَقِي مَا يَوْمَ هَنَاكَ لَانَّ مَقَامَ اَبِي سَفِيَانَ فِي  
مَكَّةَ حِيْثُ الْكَعْبَةِ اِيْضًا

فَالْتَّفَتْ حَمَادَ إِلَى سَعْدِي وَمَلَامِعِ السَّالَةِ تُغْبَلَى فِي وَجْهِهِ وَقَالَ هَنْدَ طَلَبَتْ اَمْرًا  
يُعْفَرُ كَثِيرًا فِي سَبِيلِ مَرْضَاهِ هَدَ وَلَسْوَفَ تَرِينَ مَنَا فَوْقَ ذَلِكَ بَاذْنَ اللَّهِ وَلَا سُلَيْمَانَ  
فَإِنَّهُ اَسْتَعْظِمُ الطَّلَبَ وَلَكُنَّهُ لِبَثْ صَامَّاً اَحْتَرَاماً لِمَقَالِ سَيِّدِ  
أَمَا هَدَ فَإِنَّهَا كَانَتْ جَالِسَةً فِي غُرْفَتِهِ وَهِيَ تَعْلَمُ بِمَا سَقَوَلَهُ وَبِالْبَشِّهَا فَلَمَّا نَصَوَرَتْ  
الْخَطَرُ الْمُدْقَبُ بِهِنَّ الْمَهْمَةَ نَدَمَتْ لِجَارَاهُ وَالدِّيَهَا فِي ذَلِكَ وَادْرَكَتْ اِنَّهَا اِنَّهَا دَرَأَ حِيلَةَ  
لِلتَّقْلِصِ مِنْهُ فَعَمِلَ الْاَمْرَ عَلَيْهَا حَتَّى تَكُنْ

وَفِيهَا فِي ذَلِكَ دَخَلَتْ الْحَادِمَةُ تَدْعُوهَا إِلَى وَالدِّيَهَا فَسَعَتْ دَمْوعُهَا وَسَارَتْ  
وَالْكَعَبَةَ ظَاهِرَةً عَلَى وَجْهِهَا فَلَمَّا دَخَلَتْ الْفَرْفَةَ وَرَآهَا حَمَادَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ اُثْرَ مَنْظَرِهَا  
فِي نَفْسِهِ وَهَا جَتْ فِي وِحْيَةِ الرِّجَالِ وَقَدْ اَدْرَكَ اِنَّهَا اَنَّهَا تَبْكِي جَزْعًا عَلَيْهِ فَقَالَ هَلَا لَا تَجْزِعِي  
بِهِ هَنْدَ اَنْكَ سَتَلْبِسِينَ قَرْطِي مَارِيَّةَ وَنَفَارِخِينَ بِهَا اَهْلَ الْخَافِقِينَ  
فَصَمَمَتْ هَنْدَ وَلَمْ تَنْجِبْ وَلَكِنَّ كَلَامَ حَمَادَ اَثَارَ فِيهَا سَأْكَنَ الْفَرَامَ وَهَا جَعَ عَلَاطِنَهَا  
فَازْدَادَتْ اِعْجَابًا بِشَهَامَتِهِ وَحَوْلَ عَلَى اَنْ خَوْفَهَا عَلَيْهِ اَعْتَرَضَ مَعْرِي عَلَاطِنَهَا فَهَبَتْ  
الْحَرَارَةُ فِي جَسَمِهَا كَانَكَ كَثَفَتِ الْفَطَاءَ عَنْ نَارِ مَنْقَدَتِهِ فِي فَوَادِهَا فَانْبَعَثَ طَبِيبَهَا إِلَى سَاعِرِ  
اَطْرَافِ الْمَدَنِ وَنَلَلَاتِ الدَّمْوَعِ فِي عَيْنِهَا فَاطَرَقَتْ وَجَعَلَتْ نَلَاهِي بَنْشَنَيَةَ اَطْرَافِ  
اَكَامَهَا مَعَافَةً اَنْ يَظْهَرَ اَضْطَرَابُهَا لِحَمَادَ

أما هو فلم يفته حديث قلبها ولا غسل عا نصارب في ذهنها من العوامل ولكنه أراد تشجيعها فالتفت إلى والدتها وقال طالما سافرني المسير إلى الكعبة لمشاهدة ما اسمعه عنها من حج الناس إليها من اقطار العالم وكثيراً ما سمعت حديث والدي عن الأصنام القائمة فيها وما يقدمه لها العرب من الصناعات وقد قرأت في بعض الكتب أنها قدية البناء جدًا وإنما كانت حجاً بأمره الناس من اطراف الأرض وقد بنيت في مادى الرأي لعبادة الله ثم جعلها بعض العرب مجتمعاً لا وثنان حملوها إليها من انحاء شتى من العالم الوثني وفي جملة ذلك صنم حملوا إليها من هذه البلاد (البلقا) اسمه هيل وكان قبل أن حملوا إليها من المقام يسمى (هيل) وهو لحظ عبراني معناه البعل اي الله (١) يشبهه في لغة الكلدان جيرانها بالعراق لحظ (يل) وقد حملوا إليها أصناماً أخرى من مصر وأشور وغيرها فاجتمعوا فيها مئات منها فاصبح ذلك البيت مجمعاً للأصنام

فإنقه سلمان وكان تائياً في بحار المطاجس خوفاً على سيد فلما وصل حماد إلى حكايات أصنام الكعبة قال سلمان نعم إن الأصنام كثيرة في الكعبة ولكن كثيرين من عقلاه قربش لا يحترمونها وقد سمعت كثيراً منهم بخاطب سيدى الأمير عبد الله في بعض سفراته إلى مكة بشأن تلك الأصنام فأكده له أن جماعة كبيرة من عقلاه مكة وهم من قريش إنما يزورون الكعبة لعبادة الله وإن الاعتقاد بالله قد انصل إليهم بالتلقيين من سيدنا إبراهيم ولكن بعضهم ضلَّ عن سوء السبيل بما زين لهم من عبادة الاوثان (٢)

فقالت سعدى ووجهت خطابها إلى حماد بظاهر أن والدكم الأمير قد سافر إلى أحجاز قبل الآن

قال نعم يا مولاتي إن رحلها مراراً ولذلك ظننا أن سار إليها هذه المرات أيضًا

فقالت إن ذلك لما يؤكد ذهابه إليها الآن فعسى أن تلتقطوا دُرْ هناك .

قال إنني أرجو ذلك وإننا لنتم بـ سعادتي . ثم فكر قليلاً وقال بـ تظنين يا مولاتي إننا سنبرح البلقا .

قالت متى شئتم وخير البر عاجلة

(١) اديان العرب قبل الاسلام في العلال ٠٠٠٠ م. من السنة الخامسة (٢) تاريخ الأنبياء

قال ارى ان نودع سيدى الملك جبلة قبل السفر فلتنس دعاه بال توفيق  
 قالت ذلك راجع اليك اما هو فقد فوض اليها ان تبلغك رضاها وما تم عليه  
 الانفاق فاذا شئت مقابلته فلا شئ انه يسر بلغيك  
 كل ذلك وهن مطرقة وعيناها تكادان تدمعن لوم بشغلم حديث الكعبة  
 فلما تخلوا الحديث الى والدها استحسنت رأي حماد في زيارته على امل ان يتحول  
 عزم والدهما عن اقتراحه . فقلت فعل حسنا بزيارة والدي قبل سفرك  
 فازداد حماد رغبة في ذلك فقال غدا نصائح مجلس الملك ان شاء الله فسلم عليه  
 ونودعه . هل تعرف الطريق الى البلقاء بالسلام  
 فقالت سعدى سرسل رجالا يسرون في ركبكم اليها  
 اما سلامن فما انفك منقبض النفس من امر هذه الهمة لعله انها شديدة الخطر  
 جداً ولكن سلم امن الى الله  
 وقضى نفحة اليوم في صرح الغدير ولكن هنالك لم تهأ بذلك الاجتماع لخوفها  
 من الفراق العاجل وقرب الخطر الشديد على انها شغلت بحديث حبيبها ولمت  
 بروءيتها عن كل المخاوف فلم يكن يوم اسعد عليها من ذلك اليوم وودت لو انتهت يوم  
 بشوع من نون خوفاً من انقضاؤه ولا تسأل عن حماد وسروره وقد سهل عليه المسير  
 الى الكعبة املأه بلقاء والله هناك

## الفصل التاسع والثلاثون

### \* الوداع \*

وفي الصباح التالي اصبحت هند كثيبة حزينة واحست بلهفة وجزع لم تشعر  
 بها قبلاً فكانت كلما نظرت الى حماد خيل لها ان احداً يحاول اختطافه من بين  
 ذراعيها فيضطرب قلبه ونسود الدنيا في عينيها فخذلتها نفسها لاول وهلة ان يتواطأ  
 على رفض امر القرطرين ولكن الاية وعنة النفس اعترضتها فصبرت نفسها متعللة بالأمال  
 فلما اشرقت الشمس كانت الخيول قد اعدت لركوب حماد وسلمان الى اللقاء .  
 مع بعض الفرمان من اهل القصر فهضم حماد لوداع هند والدتها وكانتا تتظاران

في غرفة الضيافة فدخل وهو في لباس السفر فوقت له هند وركبتها ترتجفان  
في يد يدها فمدت يدها فاسكتها فاحسّ بها باردة كالثلج ونظر الى وجهها فإذا به  
قد امتنع لونه فلما خاطتها خطاب الوداع تناثر الدمع من عينيها بغنة وجذب يدها  
من بين امامه بلطف واطرقه ولم تنجو فعلم انها انا فاعت ذلك خوفاً عليه من هذا  
السفر الخطير .

فالتقت اليها منسياً وقال ما بالي ارى هنداً خاتمة وعهدي اليها تنافس اشبع الرجال  
وتسبق افرس الفرسان .

فنظرت اليه بطرف عينيها وتهدت تهداً عيناً ولبست صامتة ولسان حالمها يقول  
« ان مسابقة الفرسان شيء لا مفارقة الا حباب شيء آخر »

فادرك حاد مرادها ولكرة خاف اذا طال وقوفه ان يخرج الغرام عما يليق به  
في ذلك الموقف فتحول لوداع سعدى ثم عاد الى هند فودعها وتسنم لما فتسببت بمحارة  
له ولكن قلبها لم يخرج فقال لها ادعني لنا بسلامة العود فاذا عدنا كما اردنا كان حماد  
أهل هند فلا تخشى هي ان تذكره ولا تخجل اذا ذكر سوانها ولما اذ لم .....  
فقطعت هند كلامه على عجل وقالت وهي تتجلجج بكلامها لا نقل ( اذا ) فالمك  
ستعود اليها سالماً باذن الله ثم غلب عليها الصغر فتناورت الدمع من عينيها وهي  
تحاول اخفاها على طفها امام والدتها

اما سعدى فرأى من الحكمة ان لا نطيل الوقوف على هذه الصورة فقالت سر  
يا ولدي بحراسته الله وهو ينيلك بغيرتك على اهون سبيل فتعود اليها سالماً وقد  
التحقت بوالدك

فأثنى على لطفها وودعها وقبل يدها وخرج الى الحديقة وكان سلمان في  
انتظاره هناك وقد هب الموكب فلما خرج مولاها سعدى وهند شعراً به تقدم اليهما  
وودعها وهو على غير ما آنساه صباع الامس من انبساط النفس والمحبون ولكرة  
ظهور بالامتنان والانبساط واركب حماداً ثم ركب هو وباقي الموكب وخرجوا  
فاصدين البقاء وهند وسعدى وافتئان تنظران اليهم اما هند فلم يكدر حماد بدبر عنان  
جواده حتى غلب عليها اليأس وشعرت بما دبره والدتها فتحولت الى غرفتها واخذت  
في البكاء وجعلت تندب سوء حظها وحفظ حماد فبعضها والدتها وهي تخنف عنها

ونصبرها بالوعود

فقالت دعيني يا امهه ما قد نفذ السهم وقضى الايران حماداً قد سار الى مكان لا يرجو عوده منه وقد كان الاجدر بكم ان ترفضوا طلبه بدلاً من ارساله في هذه المهمة  
قالت ذلك وهي تبكي

فقالت سعدى خلي عنك الاوهام ان حماداً شجاع ناسل وخادمه سلطان خير بكل شيء فلا يضر عليها العود بالقرطين وفي ذلك فخر لك ولما ونجاه من اشغال ثعلبة وايه على الافل .

فلما سمعت اسم ثعلبة تذكرت ما فاسته من مساعدوه فهان عليها ما يقايسه حماد في سبيل اغاثها منه فسكتت والهوا جس تقاذفها  
اما حماد فما زال حتى اتي الملقا وسلطان صامت لا يفوه بكلمة وكان حماد يبالغ في اظهار ارتياحه الى تلك المسنة وآماله في عوافها

وكان الشاشير قد سبقتها الى جبلة تبته بجيبي حماد والناس بمحسونه اميرًا جاء لغرض يتعلق بالحرب لان الروم كانوا قد خابرو كل الفسائل المجاورة بلمسون نجدتهم في حرب الحجازيين

اما جبلة فعلم انه جاء لامر يتعلق بخطيبه فاذن بدخوله عليه في خلوة فلما التقى به هم حماد تقبيل يدي جبلة فانحنى جبلة لتقبيله ثم جلسا وجبلة يرحب به فقال حماد قد جئت يا عمه اشكرك على ما تكرمت به على من الرضا والتمس دعاءك في ذهابي الى مكة فاني شاخص اليها على سجل

وقال جبلة رافقك الاسلام في المسير والاقامة وجعل الله مسيرك سعيداً ولا حرملك ما تردد ولكنني اوصلتك يا ولدي ان تبني ما دار بشأن هند مكتوماً حتى نعود لثلاثة يسبب لنا ذلك مشقة وربما حال دون ما نحن ساعون فيه

فادرك حماد مراده فوعده بالكتمان ثم قال معي خادم مل هو رفيق بود تقبيل بديك قبل السفر لانه سرافتي ويكون عوناً لي فهل يأذن مولاي بمنوله بيت بدبه فالا يدخل

خرج حماد ثم عاد وسلطان معه فتقدم سلطان الى جبلة وقتل به ولبسوا هنية يخدثون في ما لم يخرج عن الموضوع من تشجيع حماد وتحبيب الامر الى ثم هبض حماد

ولهان وودعا جلة وخرج ابريدان خيمتها عند الشيخ النبطي وكل منها في هاجس  
اما سلان فلم يكن راضيا بها رأه وسمة ولكنه رأى حادا راضيا به مصمما على  
تنفيذ فلم يشاً تثبيط عزائم وعوّل في باطن سر على ان يبذل جهود في مساعدته الى  
آخر نسمة من حياته .

## الفصل الاربعون

### السفر الى الحجاز \*

فوصلا الخيبة في المساء وكان النبطي قد استبطأها لغيا بها يومين كاملين فلما  
عاد رحب بها فنزلوا وها يفكرون في امر السفر والارتفاع في ذلك على  
سلامن فابتاع جملون لحمل الماء والثياب والزاد وسأل الشيخ النبطي عن رجل خبير  
بالطرق برافقها الى مكة باجرا ترضيه فسألها عن سبب السفر فاختلا سبباً اسكنه  
فقال اما الدليل فاني ادلها على رجل من اهل بئرب وهي المدينة التي جاء منها  
الحجاجيون الذين قلت لكم انهم سخرون هذه البلاد من ايدي سي غسان وقد جاءني  
امس بهيمة من بعض امراء ذلك الجيش فدلالة على بعض الاماكن التي يمكنهم الحصول  
فيها على زاد لهم وسعده بقول انه لا يليث ان يعود الى بلد ما اذا رافقتها اليها كان لكم  
يه خير رفق ومتى وصلتم بئرب هان عليكم الوصول منها الى مكة  
فقال سلامن والظاهر ان صاحبك هذا من اتباع صاحب الدعوة الاسلامية  
بالمدينة

قال نعم هو مسلم وقد جاء في جملة المسلمين الى عمان وسيعود بهيمة خصوصية فهل  
استقدمة اليكم  
قال سلامن استقدمة  
خرج من الخيبة ونادي « أبا سعيد » فسمعوا صوتا يقول « ليك يا اخا  
العرب »

فقال النبي هلم اليه

فجاء دوي طobil الفامة عريض الاكتاف خفيف اللحية يظهر من ملابع وجهه انه في الأربعين من عمره عاري الرأس والقدمين ملحف شملة من نسج ابيض تغطي بدنها فيلف بعضها حول عنقه وترك منها زانة ينشرها على رأسه اذا اشتد عليه الحر وفي بدنه رمح وبنبلة

فلما رأه سلمان عرف من شكل ملابسه وملامع وجهه انه حجازي من اهل المدينة فلما وصل ابو سعيد الى حماد بهن ما عليه من اللباس الناشر من المخزق الدبياج والحرير فعلم انه امير ولكنه ظلة من امراء غسان فلم يهش له فابدره النبي قائلاً « ان الامير ليس من غسان كما قد يحال لك بل هو من العراق فلا تنقبض نفسك لرؤيته

فقال ابو سعيد لا يأس من ان يكون غسانياً فانا نجاورنا في منزلك فلن الآن اخوة

فقال حاد سورك فيك يا اخا العرب من انت

قال من اهل بئرب

قال سلمان ان اهل بئرب اكثراهم من اليهود

قال نعم فيها كثير منهم فهل قدمتها قبل الآن

قال نعم جتنها .. بذ عشر سنوات

قال لقد تغيرت حالها عما كانت عليها في ذلك الحين باشراق نور الاسلام

فقال سلمان العلنبي الاسلام منكم ام من قريش في مكة

قال لا ليس منا ولكننا قوماً بصرى وفتحنا الله صدورنا و ما زلنا فهونا في مدینتنا

وقد سمعنا الانصار

قال سلمان اذن انت سائر الى المدينة

قال نعم ولله ابن انت ذاهبون

قال الى مكة فهل ترافقنا اليها

قال الرجل يا حبذا لو كان ذلك في الامكان

فقال سلمان وهل ينفعك من ذلك بعد المسافة ام انت سائر في مهنة على عجل  
قال نعم اني سائر في مهنة على عجل ولكن ذلك لا ينعني من المسير الى مكة لوم  
يكن اعداؤنا لنا فيها بالمرصاد

فقال سلمان واي الاعداء يعني

قال اعني سبيش اعماز زينا فانهم لا يزالون يتوقعون فرصة للفتك به وهو  
انما جاء المدينة مهاجرًا فنصرناه كما قدمت وقد تبعه اليها نفر من ذوي قرباه اما  
الباقيون فلا يزالون في مكة وقد تحالفوا على عدوائهم وفي مقدمتهم ابو سفيان الامور  
الناجر الشهير

فقال سلمان في نفسه ان تلك مشكلة لم تكن من حسبنا وتصور ان في الطريق  
بين المدينة ومكة خطراً ما بين اهل البلدين من العداوة فنظر الى المدعي وقال هب  
انما تركناك في المدينة فهل في طريقنا الى مكة من خطر

قال لا خطركم اذا سرتم في طريق معروفة ولو كنتم من دعاة الاسلام مثلنا  
لكان في مسيركم خطر ولكنكم غرباء سائرون في سبيلكم وامل الافضل ان تسيروا في  
قافلة لانكم تكونون في كثرة فلا خوف عليكم من طارق باذن الله قال ذلك وصمت  
طارق كأنه يفكر في امر طرق ذهنه بعنة

فنظر سلمان الى حماد كأنه يستطلع رأيه بعد ما سمعاه من ذلك البشري فقال  
حماد ارى ان نرافق الرجل الى المدينة ثم نظر ما يكون من امرنا ثم الفتنه الى الرجل  
فاذا هو مطرق ينلاهي باصلاح ثبات ثوبه فابشره سلمان فائلاً ما بال اخي قربش  
مطريقاً يذكر العل رأياً جديداً ففع عليه به

قال لم يخطر لي رأي جديد ولكنني تذكرت امراً ذا بال اظنه بهمك ايضاً

فقطاول سلمان بعنقه وقال وما ذلك

قال تذكرت حدثنا سمعته من معسكتنا في عمان فاذا صع مسيرنا الى مكة فربما  
فندخلونها آمنين مطمئنين

فلم يدرك سلمان كمه كلامه فقال وماذا يعني مسيركم الى مكة

فقال حماد لا أرى رأيك في ذلك اذ رأيكان لما بعد النفح سهل اسهل  
وطريق اقرب وسني ما يأتي به الغد فعليك الآن اعداد حاجيات السفر من الحال  
وال المياه والزاد ونحوها

فقال سلمان أرى ان نركب خيلنا ونأخذ جملين لحمل الماء والزاد على ان  
بكونا ذخراً لنا في حال الانقطاع رماي الركوب لأن الجمال اصبر على العطش من الخيل  
قال ذلك وأخذ في الاستعداد

وفي صاحب اليوم التالي استقر في جمابن وخدم بين وحملوا أحجامهم مما خفت وغلا  
وتركتوا ما بقي من الثياب وغيرها عند الشيخ ||عليه وساروا يطامون الحجاز  
ولما تخطئوا الصحراء ونعدوا عن الملة جاء نوح الله بالوحشة ونبيل له خطر  
المسير وتحقق كلام سليمان وأملأه بليلد والتي اتكاله على الله  
وبعد مسيرة بضعة أيام أشرفوا على جبال المدينة فقال اليثري ها نحن على مقربة  
من يثرب ولا ليكث أن نشرف عليها

فقال سلمان اني اعرف المدينة وطرقها فقد تزلفها .بند اعوام  
فقال اليهري لا تثبت ان نشرف عليها فترى فيها نغبرأ طرأ عليها بعد تزول  
النبي فيها فقد بنيت فيها المنازل وكثرت البيوت وتعدد السكان لكثره من هاجر  
اليها من اصحاب الرسول وغيرهم

و بعد هجرة اشرفوا على المدينة فاذا هي في منبسط من الارض تحدق بها البساتين والغياض فقال اليهاري هنئ بثرب فهل تزلان فيها ربنا تصطحبان من برافتكا الى مكة

او تربان رأيَا آخر

قال حماد اني افضل التزول هنا مدة لشاهد المدينة واهلاها وارى صاحبكم  
واصحابه بعد ما ملأت اذني من احاديث حرو و او وصافوه

فانعدروا حتى ساروا على مقربة من سور لا يستغشهم احد ومن رأوه لان  
بيهم احد الانوار وقد ظن كثيرون انهم انا جائنا بل همون الاسلام لكنه من  
كان يند على المدينة من القبائل في تلك الايام واكثرهم كانوا يحبون رغبة في الاسلام  
فلما دنو من السور قال سلمان ارى ان نضرب خياماً هنا فستريح هيبة ثم

ترك دوابها ومضى هنا في عهنة الخدم ودخل المدينة خفافاً

فقال البشري اما انا فلا استطيع صبراً عن المسير الى المدينة الساعة لاني في مهمة  
فارجو ان تلقي هناك

فقالا سر بحراسة الله

فودعهم ومضى

فلما خرج الفت سلمان الى حماد وقال له اراك راغماً في دخول المدينة

قال نعم

قال ولكنني لا ارى ذلك

قال ولماذا

قال لا سالم ترك البلفاء وتعشم الاسفار لنقيم في هذا المكان فضلاً عن الخطر  
الذي قد يتناها مجرد دخولها المدينة

فقال واي خطر علينا من ذلك

قال احاف ان برانا هناك احد من عيون أبي سفيان فاذا رأينا في مكة عرفنا  
فيسبينا من المسلمين فيعرقل مساعدنا

قال اذا رأينا ابا سفيان فليات ان عبد الله والدي اوربا رأينا والدبي معه  
فنا من الخطر

قال لو كنا على يقين من وجود سيدتي والدك عنده ممان علينا المسير ولكننا نعا  
قلنا ذلك على سبيل الظن

فليب حماد برهة يذكر فذكر والد وخطيبته وحالة فرغبه في انماه مهمته بالمسير

إلى مكة فقال أراك مصيبة في رأيك فالافضل لنا ان نسير الى مكة لنجت عن  
القرطين فادا ظفرنا بها هان علينا كل ما يريد  
وكانت الشمس قد مالت الى الاصليل فارسل خادما يبتاع زادا وعلقا فعاد عند  
الغروب فاكلا طعما الجميلين والجمادات  
وباتوا تلك الليلة في صحبوا في اللند باكرا فملأوا القرب وركبوا بریدون مكة  
وكان سلمان لا يعرف الطريق اليها . ولعله كان يعرفها ونسبيها ولكن كان لايزال يذكر  
طريقاً تؤدي الى مكة عن طريق آبار بدر غربي المدينة ففضل المسير الى تلك الآبار  
لبيتها عندها ثم يلاؤن قرائهم ويسيرون نحو مكة . اما حماد فلم يكن يعلم شيئاً من  
تلك الطرق وكان اعتماده على سلمان في كل شيء

## الفصل الحادي والأربعون

### البحيرة

فسارط طول ذلك النهار سيراً بطريقاً لعلمهم ان الآبار غير بعيدة عنهم وانهم  
باتسون هناك لا محالة فلما كانت الظهيرة حطوا رحالم للاستراحة فخلوا الاحمال  
وجلسوا للطعام ثم توسلوا العصب تحت شجرة كبيرة بلمسون القبلولة واشتبث الخادمان  
برعاية الجميلين

فأفاقا عند العصر وفتا فلم يربا الجميلين ولا راعييهما فبغت سلمان وبهض الحال  
ونظر الى ما حوله فرأى كل شيء في مكانه كما فارقة فأخذ يتشوف عن الثالث لعله  
يرى اثر الجميلين فلم ير لها اثراً ولكن رأى اثر خفافها على الرمال فهم يتنبئ الاخير وقال  
لحاد ثوبص هنا ريشا ارى ما تم لها فشك حماد وسار سلمان حتى غاب عن النظر  
ومالت الشمس نحو الغيب ولم يرجع سلمان فقلق حماد كثيراً وخاف ان يدركه  
الظلام وهو متفرد في تلك الارض

وفيما هو في ذلك رأى اشباحاً تقترب فترسها فادا هي ثلاثة من الابل ومهما  
الخادمان وسلمان فعيّب للجمل الزائد فلما وصلوا استطاعهم الخبر

فقال سلمان أرأيت هذه الناقة  
فنظر حماد إليها فإذا هي مشقوقة الأذنيت فعجب لها طلاقها وقال وما خبرها وما  
الذي جرى لها

قال هذه هي الناقة التي يسمى بها أحجاز بون البعيره فان من عواندهم التي قد اخذت  
ثلاثي بعد ظهور الاسلام ان الرجل منهم اذا ولدت ناقه خمسة ابطان وكان الاخير  
ذكراً بحراً ذريتها اي شقها وامتنع من زكانتها واطلق سراحها لا ينبعها من ماء ولا مرعى  
فكأن خادميها رأيا هذه الناقة سائبة فارادا القبض عليها فهم لها احدهما فنفرت منه  
فظن انه اذا ركب احدى ناقتيها ادركها فتفقيرها بها فلم يدركها فاستطاع رفيقه فركب  
المجمل الآخر وتحق بو حتى لحقت اباها فرأيتها قد قبضوا عليها بعد جهد شديد وعادا  
وقد يخنثها على ما ارتكباه فوعدا ان لا يعودا الى مثل ذلك من اخر

## الفصل الثاني والأربعون

### ﴿آبار بدر﴾

فعجب حماد لحكاية البعيره ولكنها تأسف لضياع الوقت حتى دنا المغيب ولم يصلوا  
الآبار فقال ارى يا سلمان ان نترك هذه الناقة وشأنها لأننا لسنا في حاجة إليها ولا  
عندنا من علف نطعمها اياه ولنهم بالمسير لكي ندرك الآبار فهل شعن بعيدون عنها  
فقال سلمان إننا على مسافة قصيرة فهم بما إليها قال ذلك وامر فركبوا جميعاً  
وساروا يقطعون السهول والآودية حتى خيم الغسق وقد نفذ ما وهم ولم يصلوا الآثار  
فطلق سلمان وخلف ان يكون قد اخطأ الطريق فساق جواده إلى آكلة أبطل منها على  
على مخفض علم ما يحيط به من الجبال انه المكان المقصود ولكن لم يستطع تحقيق ذلك  
لبعد المكان وظلاماً فعاد إلى حماد وإنماً بما كان فاتفق رأيهما على ان يتركا  
الخدمين والجملين هناك وبسيراً ما على الفرسين ليتفقدا المكان فإذا كان هو  
يعينه شرباً وسفوا الفرسين لأن الخيل لا تصر على العطش ثم يناديان الخادمين  
فيهزما الجرادين فسارا في ارض وعرة واجوهادى لا يسمع فيه غير وقع الحوافر

على تلك الصغور وكان الظلام آخذًا في الاشتداد ولكن القمر كان قد ارسل أشعة ضعيفة تبشر بقدومه وقبل طلوعه فلما وصلت إلى ثمة الجبال الخبيطة بمكان الآبار آخذًا في الانحدار وها ينتظران طلوع القمر فارغ الصبر لمساعدتها على تعيين المكان فوصلت إلى مبسط الوادي ونظرتا إلى ما حولها فإذا هما في واد مظلم تحفث به الجبال من أكثر جهاته لا يسمع فيه صوت ولا يهرب فيه شيء وكان القمر قد طاع لكن الشعنة لم تدرك أسلوب المكان بعد فتحقق سلمان إليها آباراً ثم استثار الوادي فناما ملة سلمان فإذا هو هو بعينه ورأى الآباء لكن التي كانت ن GAM فيها السوق كل عام وكانت تجتمع إليها الفئائل للبيع والشراء والإيجار والعلاء ولكنه آس في المكان وحشة وهجرًا كأنه هاجر منذ أعوام ثم خطر له أن الليل يربه بذلك فأخذ يبحث عن محل الآبار وحمد في أثناء ذلك صامت لا يبدى حرaka

وترجلاً عن الفرسين وسارا يقودانها وقد يهيا ودما لتلك المخاطرة وكان اعدهما ندماً سلمان لانه ساق سيفه إلى الخطير ولكنه تحمله ومار وحاد إلى جانبه لا يتكلمان حتى وصل إلى حفر متفرقة فاستترا وصاحت سلمان هذه هي الآبار قد ادركناها وكانت قد أعدًا ما يستقيان و من دلو أو نحوه فالنبي سلمان الداو فسيح صونه يصادم قعر البئر والبئر فارغة فعجب بذلك ثم ما لبث أن سمع حركة ورأى حيواناً وشب من البئر وفرَّ فناماً ملة فإذا هو بشبه الثعلب أو الكلب فازداد استغرابه وبعث حماد وقال ما هذا يا سلمان اخرج من الآبار ثعالب

فالنبي في غاية الاستغراب من هذا الاتفاق . إن المكان هو هو بعينه وقد زلت فيه منذ ست سنوات وشرست من ما هو ورأيت الناس يستقون منه فلا ادرى ماذا جرى له ويأوح لي ان أنزل في هذه البئر فاني اراها غير عميقة لعلي استطلع من امرها شيئاً وأسرل قدميَّاً تم الدائبة حتى ادرك القعر فاحس كأنه يقف على عظام فمد يده وأمسك العظام بيمين فإذا هي مدفونة كلها او بعضها بالتراب واستخرج شيئاً منها فتصاعدت عنها رائحة كريهة وليس عظاماً طويلاً ومستديرة وكروية على اشكال شتى فاقشعرَ جسمه لأنَّه علم من اشكالها انها عظام آدميين فقصد للحال وقد هالة الموقف لم ي��َّ ان يخرب حماداً بذلك لئلا يخاف ونافت نفسه لاسفلاه حقيقة الامر عن تلك المحاجم والعظام ولكنَّ كنم ذلك وأوعز الى حماد بالعود فعاد حماد وهو ينتظران بسمع شيئاً

قال سليمان جئنا نلتهم الماء

قال أنتesson الماء من هذا المكان وقد أصبح مجدهم للرم ومحرضاً للحيف

قال سلمان لا اعرف الا مسنتي فيه ماء عذب وقد عجنت لما نقول وخصوصاً بعد

ان رأيت المهاجم بنفسه ولمستها بآلي

فَغَتْ حَمَادُ الْذَّاكِرِ وَقَالَ أَنْتُوْلُ الصَّدَقِ يَا سَلَمَانَ

قال نعم يا مولاي قد لمست الحاجم والمساعد والاغاثه يدي وكمت ذلك  
عنك لثلا ثهيب

قال حماد لقد عرفت سر سكونك كل هذه المدة ولما اتوقع خطابك بعد تزولك  
إلى قاع البئر ثم الغفت إلى البئري وقال وما الذي حول هذا الماء إلى رم وعظام  
قال إن إذالك خيرا طوبلاً سأقصه عليكما متى جلسنا فنجد جثتيكما بالماء ووضعيته  
عند خادميكما وراء هذه الأكمة وقد تستغرقان جهتي إليكما في هذا الليل على غير موعد  
بيننا ولما أتيت في ذلك فاني بنت في انتظاركما اليوم بباب المدينة فلما استطعت أنا  
جئت أفقدهم كما فلم أجدكم فعلمت من قرائين مختلفتين أنيكما سرتا نحو هذه الآبار ولما كتبت  
علمًا يجذفها حملت إليكما قربة ماء وسررت أقصص خبركم حتى جئت إلى خادميكم فقلالا  
لي إنكما نظبايان الماء من هنا فجئت إليكما على عجل كما ثرثران

قال ذلك وأشار اليها ان يتبعاه فركوا وساروا جمِيعاً وكل منهم يتأمل هيبة ذلك المكان بعد ما علمني من امن حتى وصلوا أعلى الوادي وتحولوا نحو الحناديم وكانا في انتظارهم فلما وصلوا ترجلوا جميعاً وجلسوا على دكة فتناولوا الطعام وشربوا

وسيروا الخيل والجمال وسلمان وحماد يتظاران خبر بدر بفارغ الصبر  
 فلما استنبط بهم الجلوس قال حماد اراني في قلق لا مزيد عليه فهل تكرم علينا  
 بخبر تلك الآبار  
 قال ان خبرها غريب بطول شرحة فإذا كنتم مستعدون لاستماع الليلة فصصنة  
 عليكم والا فاني انشأ عليكم في الغد  
 فصاحتا معًا بل نقصة علينا الليلة فان القمر قد ابدر وناقت نقوسنا الى السهر اذا  
 كان في ذلك ثقلة علىك  
 قال اني شددت الرغبة في قص هذه الحكاية لانها تبين كرامة زيننا ( صلم ) وبها  
 ينقر المسلمين كما سه عون  
 ثم جاسوا واخذ البيري يقص حكايتها وحماد وسلمان منتصان والجمالان يتطاولان  
 عن بعد لاستماع الخبر

### الفصل الثالث والاربعون

#### سبب الغزوات

قال البيري اعلموا اني اقص عليكم خيرا عظيم واقعة حدثت في الاسلام وقد  
 شهدتها رسول الله ( صلم ) بنفسه منذ نحو خمس سنوات وكانت في جملة المغاربين  
 فرأيت وسمعت ما تشيب لهول الاطفال  
 فقال سلمان ومن هم الذين حاربتموه هناك  
 قال هم بنو قريش من اقرباء الرسول ولكنهم اعداؤه  
 قال : وكيف يكونون اقرباء ولا يقرون لصرنو بل يكونون اعداؤه  
 قال ان لذلك خبراً طويلاً لا استطيع بسطة الليلة ولكنني اذكر ملخصة تمييزها  
 لذكر واقعة بدر التي نحن في صددها فارعوني سمعكم  
 قالوا كلنا آذان فشنف مسامعنا

فقال لا يخفي عليكم ان نبينا (صلعم) لما قام بدعوة الناس الى الاسلام لم يجده الا نفر من قريش وظل اعماة واكثرا ذوي القرابة على دين آبائهم واكثراهم انما رغبوا عن هذا الدين القوم خوفا على تجارةتهم ان تكسد لما في ذلك الاسلام من احتقان الاوثان وابطال عبادتها فيحيط قدر الكعبة فيقل الحاج اليها ومعها فربس وسائر اهل مكة من التجاره ولا تجارة الا بالحجاج فضلا عنهم الفرشيون من السيادة والفوذ ببقاء الكعبة فانهم حجواها ولم بذلك فخر وسوء .

فهذه الاسباب وغيرها حملتني قريش على مقاومة نبيها (صلعم) ولما لم يحتمل انصارا شدوا ازره وصدقوا بدعوتهم ومنهم جماعة من خيرة قريش وكبار رجالها على انهم لم يستطعوا حمايتها من الاذى فهاجر وهاجرت معه الى مدینة يثرب التي كما بالقرب منها المبارحة فاستقبلها بكل اكرام فنزل بينها على الربح والسعه وسررها بهذه الشرف العظيم

ولا يخفي عليكم ان المدينة وأقمعة في الطريق بين مكة والشام فمن اراد تجارة او سفرا ينها لا بد له من المرور بها فأخذ (صلعم) من يوم زوال المدينة يجمع اصحابه الذين هاجروا معه وهم المهاجرون والمدينون الذين نصروه وهم الانصار ويخرج بهم للغزو او برسلهم ويقيم فكلا سمع بقاقة لقريشقادمة من الشام او غيرها بتجارة او اموال خرج برجاله ليغزونهم وما اصابه من مال او غيره وزرعه على رجاله

## الفصل الرابع والأربعون

### غزوة بدر الكبرى

في السنة الثانية للهجرة كانت وقعة بدر الكبرى وسيبها ان ابا سفيان بن حرب رجل قريش واكبر زعائهم كان قادما من الشام في اجل لقريش عليها اموال كثيرة وسمها ثلاثة اثنتين رجلا او اربعون من قريش وكلهم من اعداء الاسلام في جملتهم عمرو بن العاص وكانت آثار بدر هذه محطة توقف عندها القوافل القادمة من الشام

للإسناد في طريقها إلى مكة فلما علم رسول الله (صله) ببرودة اندبها للخروج عليهم فعلم أبو سفيان بذلك فاعتذر بذلك عدداً من رجاله إلى مكة يستغرون الناس للقدوم إلى الآبار الحمامة والملم فكان الرجل منهم إذا وصل إلى مكة وقف على بعده وقد جدّعهَ وحولَ رحلةً وشقَ قبيصةً وهو يقول «يا معاشر قربش اللطيبة الطيبة إن أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه لا أدرى أن تدركواها الغوث الغوث» فجعهم القرشيون سراعاً لم يختلف من أشرافهم إلا من عجز عن المسير فبلغ عدد السائرين ألف رجل وبئنة فرس وبسبعينة بعير وأما رجالنا فكان عددهم ثلاثة وبضعة عشر رجلاً وسبعين بعيراً وفرسين . فسارت رجالنا من المدينة بقدم النبي حتى وصلنا إلى مكان اسمه الصفراء فيبعث من يجسس خبراً إلى سفيان فقبل له الله بالقرب من بدر فجئنا في جلسة وجمع أصحاب المهاجرين معاً وشاورنا جميعاً وكان قد استطلع قوة العدو وأطلعوا عليها وقال ما تقولون هل تخاب لهم فاجابوا جميعاً بصوت واحد وقلب واحد وآفقيين وسائل الانتصار فقالوا «فوق الذي بهتك بالحق أن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخوضته معك وما تكن أن تكون تلقى العدو بنا غداً لعل الله يريك مما مانقر بوعينك فسر بنا على بركة الله»

فلم يسمع كلامهم أثني عليهم وسار وسرنا جميعاً وكان أبو سفيان قد نزع إلى المدبعة في أثناء تلك الليلة فصار من بين الآبار حتى شجاوزها والعبر معة فلقي رجال قريش في مكان يقال له الجحنة فخاطب أشراف قريش قائلاً من العبر والأموال قد نجت فارجعوا إلى مكة وكان في جملة أولئك رجل اسمه أبو جهل لعنة الله عليه فأباي الآ أن يمر بالآبار فساروا حتى دنوا من الوادي أما نحن فسرنا نطلب الآبار فنزلنا عندها ومنعنا الأعداء منها فتقدمنا زعيم الانتصار منا وهو سعد بن معاذ وقال «يا رسول الله نبني لك عريشًا من جريد فتكون فيه وترك عندك ركائبك ثم تلقى عدوينا فإن أعزنا الله وإظهرنا الله عليهم كان ذلك ما أحببناه وإن كانت الأخرى جلست على ركائك فلخت بين ورائنا فقد تخلف عنك أقوام ما نحن باشد حباً لك منهم ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تختلف عنك يمنعك الله بهم بنا صونك ويحاربون معك» فائتني الرسول عليه خيراً فيبني الله عريشاً

وبعد قليل رأينا غبار قريش ثم ظهرت رجامهم وفرسانهم عليهم العد وسلاح

ينقد هم امراوهم في الغرب اللباس وكأنه أهل بذخ وترف وقد أخذت بهم الخبلاء  
 والغفر فلما دنوا منا عسكروا امامنا ثم ارسلوا رجلاً منهم لمحرم اي ينذر عدم فحصال  
 بفسو قليلاً وعاد فأنياهم بقلة عدتنا فتشاوروا في الامر طويلاً وفهم من يشير  
 بالرجوع وكأنوا بين ان يرجعوا او يهاجموا لأن الماء في حوزنا فإذا اشتو كأنهم  
 هلكوا عطشاً فمعظم عليهم الرجوع لكنزتهم وقلنتها فاقرروا على الهجوم تخرج منهم افراد  
 طلبوا البراز فبارزناهم فقتلنا بضعة من كبارهم فهم آخرون منهم وهم بعض ما في القلم  
 الفريقيان وكان يوماً عظيماً خاف فيه المسلمون خوفاً مشدداً مما رأوا من قتلهم وقد  
 سمعت رسول الله (صلعم) يقول وقد رأى اندام الحرب «اللهم ان نهلك  
 هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض اللهم انجز لي ما وعدتني» قال  
 ذلك وهو ينظر الى رجاله ويدعو لهم بالنصر وقد سمعت دعاءه بأذني لاني كتبت في  
 جماعة من الانصار مع سعد بن معاذ واقفين بباب المريش شعر رسول الله (صلعم)  
 خوفاً عليه من كفة العدو . ولقد رأيت ما كان من فتك المسلمين بالشركين ما ينشرح  
 له الصدر وخصوصاً لما رأيت اما جهل زعيم الفرسبيين مجندلاً يخبط بدمه وكان اشد  
 الناس عداوة لنبي الله ورأيت غيره من امرائهم مقتولين منهم حنظلة من ابي سفيان  
 وشيبة وعنة وآمية وغيرهم ورأيت اشد المسلمين فتكاً في ذلك اليوم حزن من عبد المطلب  
 عن الرسول فقد رأيته يخترق الجماهير وفي صدره ريشة نعامة ينماز بها عن غيره  
 ومن غريب ما شاهدته من بسالة المسلمين في ذلك اليوم واستهلاكهم في نصرة  
 الاسلام ان معاذ من عمر من الجموح كرّ على اي جهل المتقدم ذكره وكان محاطاً بزمرة  
 من رجاله فاخترق الناس اليه فضربه ضربة اصابت ساقه فهم عكرمة من ابي جهل  
 على معاذ بضربة قطعت يده فطرحها عن عانقه ولكنها ظلت معلقة بجلدة من جثته  
 فما زال معاذ يقاتل كل ذلك اليوم ويدفع ثغر وراءه فكانت انظر الى ذلك واشعر  
 كان يدي في مثل ذلك اما هو فلم يكن يبالي فلما آذنه يده وعافته عن الحرب جعل  
 رجلة عليها وتمطى حتى انفصلت فتركها وعاد الى الحرب . وكان في جملة جند الشركين  
 العباس بن عبد المطلب فانه كان لا يزال متربداً بين الاسلام وما كان عليه اجداده  
 فلما حمل الفرسبيون على بدر حمل معهم مكرهاً فاسراً في جملة من اسر ولكن اسر لم  
 يطل لأن النبي امر باطلاقه حالاً

ولم يمض زمن حتى رأينا المشركين هم بالمرار فنفضنا على جماعة كبيرة منهم  
ولما انقضت الحرب امر رسول الله ان يؤتى بجثث القتلى الى الفيليب فجيء بها فنكمست  
كوماً وفيها جثث نخبة امراء قربش وهي التي رأيت بما ياهي البارليلة ثم جمعت الغنائم  
ففرقت فيما على السواء وحملت بشائر النصر الى المدينة واخبار الويل الى مكة وقد  
كانت هذه المعركة فاضية على مشركي قربش اذ قتل فيها جماعة من اذاعداء الاسلام  
واشدتهم بطشًا وفي جهنهم ا渥ه عم الرسول وكان شيخاً كبيراً لم يحضر الحرب فلما  
بلغته نكبة الترشبين اشتد الابر عليه فمات بعد نسعة ايام

فاصبح زعيم الفرشبين بعد هذه المعركة ابا سفيان الذي ذكرته لكم وهو مشهور  
وكثيراً ما يسير الى الشام فلا يخلو ان تكونوا قد رأيتموه هناك  
فقال سلمان نعم رأيته غير مرة وهو اشهر من ان يذكر

فقال وسترون فريقاً عد وصولكم مكة فانه عاد اليها منذ بضعة اسابيع  
فلما سمعاً ذكر أبي سفيان توها ان يكون عبد الله معه ولكنها كانتا ذلك  
ثم قال البيراني واصبحت الباريلة بعد تلك المعركة مهجورة وقد القتلي الجثث فيها  
فانتشت وبطل موسمها السنوي من ذلك الحين  
هذه هي حكاية الباريلة التي اكلم لم تلقوا فيها وحشًا ضارًا او نحوه فلديت  
الليلة هنا ولنعد في الليل الى المدينة نكث فيها يوماً ثم نسيرون منها في قافلة الى مكة  
والأ خخاروا لانفسكم

فاعجب حماد بشهامة ذلك الرجل وغيره عليهم ورغبو في اتفاذه وقام انا  
والله شاكرون لمن صبيحك جراك الله خيراً وقد يحدري بنا بعد هذا الصنيع ان  
نكون طوع بنائك سير معلك حيثما سرت ولكننا نرى سرعة المسير الى مكة لعلنا لنتقي  
فيها بأبي سفيان قبل خروجه منها

فقال البيراني العلّكم نعاملونه معاملة التجار فان له علاقات كثيرة مع تجار الشام  
قال سلمان لا علاقة تجارية بيننا وبينه ولكننا نقتضي عن صديق لنا سار برفقته  
من بيت المقدس

فقال البيراني انصح لكم نصيحة صديق مخلص لا يرى بكم غير الخبر فهل تستحقون بها  
فالآن نعم ويكون لك علينا الفضل

قال انصح لكم اذا لقيتم احداً من المسلمين في المدينة او غيرها وعرض ذكر اي سفيان فلا تذكروا علاقته بهم وسبيه فان ذلك يوقع عليكم شبهة وربما يلحق بكم من جراء ذلك ضرر

فقال سلمان لقد أحاطت الصيحة واردت بما خيراً وشكراً لك على ذلك ونحن لوم نتوسم فيك الاخلاص لما فرط مما ذكر هذا الرجل على امام نقل اسا اصدقاؤه وإنما قلنا ان صديقاً سار برفقته

فقال اليازري ومهما يكن من الامر فقد نبهتكم الى ما لا يخلو من فائدته  
قال حماد لاريب من ذلك عندنا فنشكرك عليه شكرًا جزيلاً

وكان قد مضى معظم الليل وغلب العاس على الجميع فنهضوا للرقداد فلما أصبحوا خيرهم اليازري في الذهاب معه الى المدينة او الذهاب الى مكة توّا فائتوا عليه واعذرنا  
بانهم بوّثرون المسير توّا الى مكة على نية ان يرثا بالمدينة فيعودتهم فاطاعهم واوصام  
وصايا نتعلق بسفرهم ودعهم وعلد الى المدينة وتركهم يستعدون للسفر الى مكة

## الفصل الخامس والأربعون

### ﴿ بكر وخراءة ﴾

فلما خلا حماد بنفسه ذكر حالة مع هند وما هو ذاهب من اجله وكان في اثناء  
حديث اليازري عن ابي سفيان بهم<sup>هـ</sup> بالاستهانة عن والده ثم يخاف العاقبة فيمتنع واخيراً  
صبر نفسه ريثما يصل مكة وبلغني بابي سفيان

وفي صباح اليوم الثاني ركبوا وساروا لا يلوون على شيء فامتنى المهاه وقد  
ادركتوا بقعة من الارض يكسوها المرعى وفي احد جوانبها شجرة تحتها عين ماء عذب  
اعناد المارة الجلوس اليها النهسا للراحة من وعنهاء السفر اثناء مرورهم بين  
مكة والمدينة

نجلسوا الى الشجرة اوقدوا ناراً يستضيئون بها او يستخدمونها في معالجة طعامهم

تلك الليلة . حتى اذا اكلوا جلسوا يتسامرون ريثما ينغلب عليهم العباس فلما انتضى المزيع الاول من الليل هم بالرقداد ورة امرى الحادمين ان يهداوا السهر خوفاً من طارىء بناجهتهم ولم يكدر بعدهم لم جهن حتى افاق سلمان فسمع ضوضاء عن بعد فالصنف اذنه بالارض فتبين له ان بعض عذراياتقادمون من مكة مسرعين ومعهم الخبول وعلم انهم نازلون عدد تلك العين لا محالة فخاف ان يكون عليهم من زر ولم يأنس فالتفت الى حماد فاذا هولايزال نائماً فتردد بين ان يوقفه او ان يتركه نائماً وفيها هو بتعدد آفاق حماد من تلقاء نسو فرأى سلمان جالساً على فراش وفجأة وناداه واستطلاع الخبر

فقال كنت عازماً على ايقاظك لوم تستيقظ من تلقاء نفسك  
قال سلمان وما سبب ذلك

قال اني اسع اصوات خبول وناس قادمين من جهة مكة فاخشى ان يكونوا سائرين في حرب وربما اوقعوا علينا سوءاً  
فقال حماد وما الرأي اذن .

قال الرأي ان تتواطئ على كلام تقوله لهم يضمن لها الحداة فقال وما هو  
قال بغلب على الظن ان القادمين من اهل مكة الذين لم يؤمنوا بالنبي المجديد وانهم يريدون المدينة لحرب او لاستطلاع فهم من اعداء المسلمين وعاينا نحن ان نتعامل امرا الاسلام ونتظاهر باننا اهلا جهاداً يريد الاعمار في مكة  
فقال حماد وما معنى الاعمار ان ذلك لا اثر له في ديننا

قال هو الحج الى الكعبة والكعبة حج يؤمنها الناس من اراضي الارض على اختلاف الملل والتعصى فاذا قلنا انتا غرباء فاصدرون زيارة الكعبة لا يستفسروننا

فقال حماد افعل ما بدا لك وكن انت المتكلم عن  
ولم يكادا ينieran الحديث حتى جاء خادمه سلمان بشيئهم ان الجميع قد اقترب وانهم يقصدون ذلك الماء

فليشعوا تحت جنح الظلام ينتظرون وصولهم وقد زادوا نارهم وقدوا استئناساً  
بالنور

فلم يمض قليل حتى وصل الماء فارسل ملثم فلما اقترب من النار نادى من القوم

التزول هنا

فقال سلمان عرب من لثم ومن انت

قال عرب من خزاعة وما الذي جاءكم الى هذا المكان

قال سلمان جئنا لزيارة البيت الحرام

قال هل مررت بالمدية

قال مررت بها عن بعد ولم دخلها

وما اتيت كلامه حتى وصل رفقاء وفيهم المارس والراجل فدخلوا جميعاً ودبروا من الماء فتفرس فيهم سلمان بسرعه عدهم فإذا هم نحو الأربعين يتقدمهم رجل بلباس فاخر لم يستطع معرفته لشدة الظلام وكان هذا الرجل هو وجهه القوم يأمرهم وبفهم فعلم سلمان انه رئيسهم وكان قد امرهم ان ينصوبي خيشه بالقرب من تلك الشجرة فأخذوا في ذلك وسلمان ينظر اليهم ثم لاح له ان يستطاع حقيقة حامل من زعيمهم فدنا منه وحاجه فرد المارس الخيبة والإرتكاك ظاهر على وجهه ولكنه الفت الى سلمان وقال قد اتيتني دليلاً انكم من لثم فهل انت قادمون من العراق

قال نعم يا مولاي

قال ونحن نعلم ان الخبيثين في العراق من اهل الصرابة

قال نعم ونحن كذلك

قال وكيف تقول انت جئنا لزيارة البيت الحرام والنصارى محجوب الى بيت المقدس

فتحت سلمان ولبث رهبة صامتاً لا يدرى بماذا يجيب وظهر الارتكاك على وجوده ولكنه نجلد وقال وهل تقل ابواب الكعبة دون النصارى اذا جاؤها معتمرين

قال كلاماً فان الناس يقدمون اليها من افاصي العالم على اختلاف اibil وجعل

ولكن النصارى فلما يعيشونها وزد على ذلك ان الوقت ليس وقت الحج فاصدقني الخبر

قال سلمان ليس في حقيقة خبر ما نخشى بيانه ولكنني رأيتم جمعاً كبيراً فارتبوا

من امركم فاذا علمنا من انت افادناكم عن حقيقة امرنا

وفيما هو يقول ذلك جاءه رجل يقول ان الخيبة قد نصبت ولما ندأعت

فالتفت الى سلمان فانه اذا شئت ان تضيفنا على الطعام انبينا الحديث فانا نحتاج

بعد طول السرالي الراحة

فقال فلتدرك أيام الحديث الى صباح الغد

قال حسناً وافترقا فسار سلمان الى سيدنٍ فإذا هو لا يزال جالساً على فراشِه  
يُنظر عودة بخبر القوم فلما رأه عائداً استطاعه الخرفاً بهاؤهَا كان واستهلَهُ الى الغد  
بِسْطَلَعُ الْحَقِيقَةِ

فيَّات تلك الليلة على حذرٍ وَلَا اصْبَاجَ خَرَجَ سَلَمَانُ إِلَى مُضَرِّبِ الْقَوْمِ  
فَإِذَا هُمْ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْفَرِسَانِ وَنَأْمَلُ لِمَاسِهِمْ وَحَالُمُمْ فَإِذَا هُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَجَازِ فَنَكَرَ فِيَّ  
أَمْرِمْ فَرَأَى أَنْ يُصْطَبَ سَيِّدَ يَانَ بِسِيرَا مَعَاهُ إِلَى رَجُلِ الْأَمْسِ فَاصْطَبَهُ وَسَارَا  
فَلَمَّا وَصَلَ الْخَبِيَّةَ اسْتَأْذَنَا فِي الدُّخُولِ فَادْنَ لَهَا فَدَخَلَانِ فَوْجَدَا الرَّجُلَ جَالِسًا  
عَلَى وَسَادَةِ مَقْطَبِ الْوَجْهِ كَانَهُ يَنْكَرُ فِي أَمْرِهِهِ فَلَمَّا وَقَعَ نَظَرُهُ عَلَى سَلَمَانَ وَقَفَ لَهُ  
وَرَحِبَ بِهِ فَبَالِغَ سَلَمَانَ فِي الْاعْتِدَارِ لِمَا سَبَبَهُ لَهُ مِنَ الْمُشَفَّةِ تِلْكَ الْزِيَارَةِ وَلَكِنَّهُ قَدْمَ  
سَيِّدِنِي فِي الْجَلْوَسِ فَادْرَكَ صَاحِبَ الْخَبِيَّةَ أَنَّهُ سَيِّدَ لَهُ فَرَحِبَ بِهِ بِنَوْعِ خَاصٍ وَاجْلَسَهُ  
إِلَى جَانِبِهِ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى سَلَمَانَ وَقَالَ لَمَرِي ضَيْفَنَا فِي هَذَا الصَّبَاجِ عَرَافِيَاً إِيْضَاً  
فَقَالَ سَلَمَانَ نَعَمْ يَا سَيِّدِي أَنَّهُ أَمِيرُ مَنْ أَمْرَاءِ الْعَرَاقِ إِنَّا خَادِمُهُ فَهُلْ يَنْفَضِّلُ  
سَيِّدِي بِالْأَفَادَةِ عَنِ اسْمِهِ

فَقَالَ أَنِي عَمْرُونْ سَالِمُ الْخَزَاعِيُّ مِنْ بَنِي كَعْبَ سَائِرٌ فِي (١) جَمَاعَةِ مَنْ خَرَاعَةَ  
مَرِيدِ الْمَدِينَةِ

فَقَالَ سَلَمَانُ الْعَلَمُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ

فَقَالَ نَعَمْ نَحْنُ نَقِيمُ فِي مَكَّةَ وَلَكِنَّنَا سَائِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ فِي مِهْمَةٍ فَهُلْ أَنْتُمْ قَادِمُونَ مِنْهَا

فَقَالَ كَلَّا بِاً مُولَايِ لَمْ نَكُنْ فِي الْمَدِينَةِ وَلَكِنَّا مَرَرْنَا بِهَا عَنْ بَعْدِ

فَقَالَ يَا حَدَّا لَوْ أَنْكُمْ دَخْلْتُمُوهَا

فَيَنْجِبُ سَلَمَانُ لَهُمْ هَذَا وَعْهَدَ بِاهْلِ مَكَّةَ أَذْذَاكَ اعْدَاءُ لَاهْلِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَبْرَ

مَا كَانُ مِنْ مَهَاجِرِ النَّبِيِّ وَاصْحَابِهِ مِنْهَا

فَقَالَ هَلْ تَأْذَنُ لِي بِسْؤَالِ بِرْ زَبِيلِ عَنِ الْتَّبَاسِ

فَقَالَ تَنْضَلُ

قال فلنـم انـكم من اهل مـكة نتصـدون المـديـنة وـقد بلـغـنا انـ يـسـنـكم وـبـين اـهـل المـديـنة عـدـاؤـة

قال صـدقـتـم وـلـكـنـ بـيـنـ اـهـلـ مـكـةـ جـمـاعـةـ كـبـيرـ هـمـ عـلـىـ دـعـوـةـ اـهـلـ المـديـنةـ ايـ انـهـ مـسـلـمـونـ وـلـكـنـهـ مـسـتـضـفـعـونـ لـاـ يـسـتـطـعـونـ النـصـرـعـ خـوـفـاـ مـنـ كـبـارـ قـرـيـشـ اـنـ يـصـبـوـهـ بـصـوـةـ (١)ـ عـلـىـ اـنـيـ سـالـتـكـ عـنـ حـقـيـقـةـ اـمـرـكـ فـلـمـ تـجـيـبـيـ فـهـلـ اـنـمـ سـائـرـوـنـ الـىـ مـكـةـ للـحـجـ حـقـيـقـةـ

قال سـلـمانـ اـمـاـ وـقـدـ آـسـنـاـ فـيـكـ ماـ آـسـنـاهـ مـنـ كـرـمـ اـلـحـلـقـ وـحـسـنـ الـوـفـادـةـ فـانـيـ اـطـلـعـكـ عـلـىـ جـلـيـةـ اـمـرـنـاـ لـعـلـكـ تـكـوـنـ لـنـاـ عـوـنـاـ فـيـ مـاـ نـحـنـ فـيـهـ

قال وـمـاـ ذـلـكـ

قال نـحـنـ يـاـ سـيـدـيـ كـمـاـ قـلـتـ لـكـ مـنـ اـهـلـ الـعـرـاقـ وـهـذـاـ الـامـرـ حـمـادـ سـيـدـيـ وـقـدـ جـئـنـاـ قـاصـدـيـنـ مـكـةـ لـلـتـفـيـشـ عـلـىـ الـامـرـ عـبـدـ اـللـهـ وـالـمـولـايـ هـذـاـ فـقـدـ قـبـلـ لـمـ اـنـهـ جـاءـ اـخـبـارـ بـرـفـقـةـ اـيـ سـفـيـانـ مـنـذـ اـشـهـرـ فـهـلـ تـعـلـمـ عـنـهـ شـيـئـاـ

قال اـذـكـرـ اـنـيـ شـاهـدـتـ اـبـاـ سـفـيـانـ عـدـ عـودـتـ مـنـ الشـامـ هـذـاـ الـعـامـ وـلـكـنـيـ لـمـ اـعـلـمـ شـيـئـاـ عـنـ الـامـرـ عـبـدـ اـللـهـ فـرـبـاـ كـانـ مـعـهـ وـلـمـ اـرـهـ

قال سـلـمانـ هـلـ يـخـيـرـ فـيـ سـيـدـيـ عـنـ سـبـبـ قـدـومـوـ اـلـىـ مـكـةـ وـهـوـ مـنـ اـهـلـ مـكـةـ فـانـيـ اـخـافـ اـنـ يـكـوـنـ وـرـاءـ مـجـيـئـكـمـ مـاـ يـدـعـوـ اـلـىـ حـرـبـ تـقـنـلـ بـهـاـ اـبـلـابـ مـكـةـ دـوـنـاـ

قال اـمـاـ سـبـبـ مـجـيـئـنـاـ اـلـىـ مـكـةـ فـهـوـ اـنـاـ مـنـ خـرـاءـ كـاـ اـخـرـنـكـ وـقـدـ كـانـتـ فـيـلـانـاـ فـيـ خـصـامـ مـعـ قـبـيلـةـ اـخـرـىـ يـقـالـ لـهـ بـنـوـ بـكـرـ فـكـانـ التـزـاعـ بـيـنـنـاـ لـاـ يـقـتـرـ حـتـىـ ظـهـرـ اـلـاسـلامـ وـكـانـتـ الغـزوـاتـ بـجـاءـ الـمـسـلـمـونـ مـنـذـ عـامـيـنـ اـلـىـ الـمـدـيـنةـ بـالـقـرـبـ مـنـ مـكـةـ وـعـهـمـ بـهـمـ بـرـ بـدـونـ الـاعـنـارـ خـافـ اـهـلـ مـكـةـ اـنـ يـكـوـنـواـ عـازـمـيـنـ عـلـىـ حـرـبـ فـنـعـوـهـ مـنـ دـخـولـهـاـ ثـمـ كـانـتـ خـصـومـةـ اـنـهـمـ اـعـقـدـ اـمـرـ مـبـینـاـ مـوـعـدـ فـرـيـشـ وـقـرـيـشـ يـقـضـيـ بـهـدـيـةـ وـسـلـامـ فـدـخـلـ بـنـوـ بـكـرـ فـيـ عـدـ فـرـيـشـ وـدـخـلـنـاـ نـحـنـ فـيـ عـدـ الـمـسـلـمـونـ ثـمـ رـجـعـ الـمـسـلـمـونـ وـاعـلـمـ بـهـ قـلـوـ بـهـ فـلـمـ دـخـلـ هـذـاـ الـعـامـ رـأـيـنـاـ مـنـ سـيـنـيـ بـكـرـ خـرـوجـاـ عـنـ الـعـدـ فـتـرـصـلـ لـنـاـ وـفـتـلـوـ اـنـهـ اـعـضاـ وـرـأـيـنـاـ بـنـيـ قـرـيـشـ يـضـافـرـوـهـمـ عـلـىـ ذـلـكـ فـاـعـتـبـرـنـاـ هـذـاـ اـعـلـمـ تـقـضـاـ لـلـعـهـدـ الـذـيـ كـانـ مـعـقـودـاـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ الـمـسـلـمـونـ وـكـانـيـ بـالـقـرـيبـيـنـ سـاعـونـ اـلـىـ حـتـىـهـمـ بـظـلـفـهـمـ فـقـدـ كـانـ

مكة آمنة مطمئنة فعرضوها للجهات المسلمين لأنها لما استفحلا أمر علينا ورأينا الفرسانين يعاونون البكرین علينا جئنا بهذا الجموع سرید المدينة لنبلغ ذلك الى صاحب الرسالة الاسلامية

فقال سلمان وما ظنك به بعد ذلك

قال اظنّه بحمل على مكة برجاله فينفعها عنوة وفي فقها عز المسلمين

فقال سلمان بظاهر انكم على دعوة صاحب الرسالة فهل انتم مصدقون لما جاء به

قال لقد جرّ ما الحديث الى امور طالما وددنا كثناها ولكننا اصدنا في حال لا رى

معها بدئا من التصریح فاننا نرى صاحب هذه الدعوة صادقا في دعوته ولا نظنه الا

غالباً وما يدلنا على ذلك نصرته في حربه حينما توجه

فعاد سلمان الى ما هم فيه من امر الفرطين والامير عبد الله فأخذ يفكّر في وسيلة

يسخدم بها تلك الفرصة فقال اما وقد آنسنا منك من الشهادة فهل ترى ان تمدنا

الى سبيل نحصل به الى ابي سفيان للبحث عن مولاي الامير عبد الله

قال وما الذي عساي ان افعل في هذا القبيل

قال توصي بنا رجالاً من خاصتك تثق باخلاصه وتعمله ليدربنا في مكة لأننا

غرباء والغريب اعمى ولو كان بصيراً

فكّر عمر ساعة ثم قال لي في مكة عم شيخ يقيم في الكعبة نهاره كلّه وهو واسع

الاطلاع نافذ الكلمة لدى ابي سفيان فاذا لم يتموه واستمعته في شأن هداكم الى سواء

السبيل واسم حرب فاذا دخلتم مكة وجئتم الكعبة اسألوا عن حرب الخزاعي فاذا

لتهموا رأيتم فهو شيئاً طاعناً في السن فقولوا له ان اخبارك عمر بن سالم يقرئك السلام

فاذا وصعدتم له حالاً وما شرحنا لكم من امر خزاعي وذكر علم انكم صادقون في قوله

فاسألوا ما شئتم فإنه خير مرشد لكم في ما ترددون

فتيهض خماد عن ذلك واثني على عمر وودعاه وانصرفنا الى خيمتها

و بعد قليل يهض الركب الخزاعي ويصل الى المدينة وقد سرّ سلمان لنملك الصدقة

وامل اى يمال بها خيراً



## الفصل السادس والأربعون

\* مكة المكرمة \*

وفي ظهيرة ذلك اليوم ركبوا بربدون مكة فوصلوها بعد مسيرة يوم فدخلوها فرأوا أهلها في هرج ومرج لا حدث لهم إلا مخزاعة وبكر فصاروا في طرقها لا يستغشهم أحد لكتلة الواردين على الكعبة من الغرباء ولرادوا المسير إلى الكعبة في ذلك اليوم فقال سلمان هلْ بنا إلى خان ننزل فيه بعثانا وإنما ثم ننزل الكعبة أو أنزل أنا وحدي انجس الأخبار واعود إليك فقصدوا خانًا بالقرب من الكعبة نزلوا فيه فبدلوا ثيابهم وتناولوا طعاماً واستراحت نية يومهم وسلامن يذكر في وسيلة تكفل لهم بمحج معاه

فلا أصبحوا في اليوم التالي قال سلمان أملك هنا يا مولاي ربها اتدبر الأمر بنفسك وإنك بالأخبار وإذا أطأْت عليك فلا يشغل بالك  
قال حماد سر بحراسة الله

فخرج سلمان وقد تزيّأ زي أهل الحجاز لا يرى بذلك شكرًا ولكنه خاف أن يكون غريب لباسه موجباً لاستئنات الانظار إليه فوصل المسجد الحرام فدخل من بعض أبوابه فرأى في ساحته جماعة كبيرة عراة يطوفون<sup>(١)</sup> وفيهم العاقد والجالس والراكع ورأى في بعض الجوانب جماعات جالسين يخادعون ويقاورون فصار هنئه فرأى في وسط الساحة بناء مربعاً يحمله أستار من القباطي علم من طواف الناس حولها إنما الكعبة تحملها أستاراً فلم يجر على الطيف حولها أو الدنو منها ولكنه نظر إلى داخليها عن بعد فرأى فيها أحجاراً قائمة علم إنما الانصاف ورأى حول الكعبة وفوقها أصنام هائلة رأى بعض الناس يحملون ويقتلون حولها فاذدهله كل ذلك وقال في نفسه إذا لم يكن في قيام الإسلام غير هدم هذه الانصاف وإبطال عبادتها فلأكفي به فضلاً

ثم تأمل في بناء الكعبة وأخذ يذكر في أمر الفرطين وكيف يمكن أن يكون هناك

وإذا وجدنا فابن يكين ان يكون موضعها فلم يزدد الا اجهاماً ولا زادته تلك الزيارة  
الا يأساً

ثم شعور نحو المجهاهير لعلة برى ذلك الشيخ فطاف المكان بسائل عنده باسمه  
فقال له بعضهم انه خرج الى منزله بالامس انوعك اصابة فسأل عن منزله فقيل له  
انه في مر الظهران بضواحي مكة<sup>(١)</sup>

خرج الى مر الظهران وفيها هو في طريقه اليها بسائل عن الطريق ويستفهم عن  
الرجل رأى اهل مكة في هرج يجتمعون جماعات ثم يتفرقون كائنين في خوف من امر  
ذي بال فعلم انهم يخذلثون باسم اهل المدينة ومر بجماعة منهم كبيرة قد تألفوا  
امام منزل فخيم قد ربطت حوله الخيوول فعلم الله بيت امير كبير فسأل عن  
صاحب فقيل له انه منزل ابي سفيان لما سمع اسمه شكر الله بوصوله اليه تلك الساعة  
على غير انتظار وخذ بغيره في وجوه الناس لعلة برى سوء بينهم فلم يجد فسائل بعض  
الوقوف عنده فاخبره بعضهم انه فارقهم قرب عمان وانه لم يره من ذلك الحين فاسف  
لذلك اسفآ شديداً واظلمت الدنيا فيه عينيه ونشأم من تلك الصدفة ولكنه تجلد وسار  
في طريقه الى مر الظهران وهو عارق في بخار الهوى جس فوصل المكان بعد العصر  
سائل عن منزل حرب فدلوه عليه فجاءه وهو لا برجوار إصبع منه خيراً  
سائل عن الرجل فقيل له انه مصاب برض شديد فلا يستطيع ان يخاطب احداً  
فعاد على عقبيه كائف البال وقد اخذ منه اليأس ما اخذ اعظمها لا يدرى  
كيف بلقي حاداً

فوصل المكان والليل قد سار نقاية فرأى حماداً في انتظاره على مثل الجمر  
فتظاهر بالتجدد ولم يجيئ بخبره والآن ولكنه انبأه برضحرب ووعده بان يواصل السؤال  
عنه حتى يشفي من مرضه على انه لم يكن برجو شفاءً لشيخوخته وعجزه ولكنه الفى انكاله  
على الله وضرر نفسه

وفضى سلمان شهراً يتردد على بيت حرب بسائل عنه ويدعوه بالشهاء وعلم  
سلمان بعد ذلك ان الشيخ اخذ في التقدم نحو الشفاء فعادت اليه آماله

فصار اليه ذات يوم وهو يرجو ان ينبلج ويشكوا اليه امن وفيها هو في الطريق رأى اهل مكة في قلق شديد فر هننزل الي سفيان لعلة يتنسم خبراً عن سيد فرأى المنزل قنراً فسأل عن السبب فقال له مخبر ان ابا سفيان لما سمع قدوم المسلمين على مكة خرج اليهم وربما اعتنق دينهم لانه خرج خائفًا فسأل سليمان عن جند المسلمين فقيل له انه قادم وقد صار على مقرنه من مكة

فتفرس سليمان في اهل مكة فرأى علامات النشل ظاهرة على وجوههم فسمع بعضهم يتدح الاسلام ويعلم على ابي سفيان وبعضهم يلوم المقربين على عيادهم وكثفهم عهد بني خزاعة فعلم ان الامر عائد المسلمين لامحالة فخرج من مكة حتى جاءه من الظهران واراد السؤال عن حرب فرأى الناس يهرون و النساء بولون و ينادين بالويل والشوار فالغفت فرأى الغبار يتصاعد عن بعد فصعد على اكمة في ضواحي مكة يرى ما يكون فرأى الغبار قد شف عن جد متکاثر يتقدمهم الفرسان بالرايات ووراء كل راية قبيلة من المسلمين وكان ذلك في شهر رمضان فعسكر الجند على مسافة من مكة وعاد سليمان الى الحمان خوفاً على سيد من عائلة ذلك الفتح وفيها هو سائر في الطريق رأى كوكبة من الفرسان يتقدمهم ابو سفيان عائدًا من سفره وهو يدعو الناس الى الاسلام بالتحذير والتهديد مع النصيحة فلم يسمع الا ازدراً واحنقاراً وسمع رجاله ينادون « من يدخل منزل ابي سفيان او منزل العباس بن عبد المطلب فهو آمن من سيفون المسلمين ومن يدخل المسجد او يدخل منزله ويغلق بابه فهو آمن » فاطمأن بالسلام

فمار وهو يزاحم المجاهرين في الاسواق فرأى اسراً من القرشيين يتأهبون للقاء الماءين وفهم الناس والراجل فلم يكدر يصل الحمان حتى فرغ صبع فدخل فرأى حماداً قد ابس نياية استعداداً للخروج فقال له ما بالك يا سيد .

قال اسبطاً لك ورأيت الناس في هرج فخرجت لاري ما يكون .

قال لا تجعل فقد علمت ما لم نعلم اجلس لاقص الخبر عليك قال قل وما ذلك  
قال قد بلغك خبر المخزاعيين وما كان من نكث عهد قريش وقد كما توقعت قدوم المسلمين بسبب ذلك لفتح مكة فتحقق ظنتنا لان المسلمين جاؤنا وهم الآن في

ضواحي مكة واظنهم بهاجون غداً وقد علمت ان اما سفيان سار الى المسلمين وسلم لهم وعاد يدعو الناس الى الاسلام بعد ان كان من اعدائهم كما تعلم وسمعت رجاله ينادون بالامان على كل من يدخل ميزلا او نزل العباس عم صاحب هذه الرسالة او يدخل المسجد او يغلق بابه فعن اذا اغلقنا مائنا كما في ما من والآفلذهين الى المسجد فانه خير ملجم فما الرأي

قال حماد ارى ان نغلق بابنا ولكننا تكون مع ذلك في خطر اذ رها يعتدي علينا احد سهوا فالمسيء الى المسجد اولى فهل انت تتفق هبومهم على المدينة غداً  
قال لا ادري ولكنني ساخرب صاححاً وآتيك بالخبر اليقين

## الفصل السابع والأربعون

### \* فتح مكة \*

وبانوا تلك الاليمة وأصجوا في الغد فبكر سلمان الى أمة الامس فاشرف على جيش المسلمين فسار ابو يستطلع الخبر فلم يكدر بلغة حتى رأاه قد اصطف ومشي ينقدمة الفرمان لاصحاب الرثىات وفيهم قبائل اسلم وغفار والشمع وسلم وغيرهم فتأمل عددهم فإذا هو يزيد على عشرة آلاف وشاهد في الوسط موكيها هائلاً في وسطه راحلة عليهما رجل معتبر بشقة حمراه <sup>(١)</sup> وعلى رأسه عامة سوداء حرفا نية واضعاً رأسه على رحله وشاهد على الرجل ورأوه رجالاً رديئاً فعجب لذلك واشتاق لمعرفته فرأاه قداماً من جهة الجيش فسألها عن هذا الموكب فقال انه موكب رسول الله وان الراكب هو الرسول نفسه قد جمل رأسه الشريف على رحله فارتفع اسماعيل بن زايد خادمه <sup>(٢)</sup> تواضعاً فعجب سلمان بذلك المشهد البهيج وقال في نفسه لا عجب اذا نصر من كانت هذه خلالة ثم سأله الرجل عن عزهم على الفتح فقال له انهم سايرون الى مكة من اعلاها في تلك الساعة وان فرقة منهم ساعت بamarah خالد بن الوليد من اسلفها فهروه سلمان باسرع من لمح البصر فاعترضه جموع الفرسانين يتأمرون للدفاع وفيهم الفرسان

ولكن الفشل كان يخلي على وجوهم وشاهد النساء مأسيات محلولات الشعور بسخيفين الرجال بالاشيد وفي ايديهن الخمر بضررها ووجه الخليل تحريراً وتوبجاً فلم يزدد من تلك المناظر إلا رهبة وخوفاً وتحقق اذا ذلك ان المسلمين فانحوا لا محالة فما زال ساعراً حتى اتى الحنان فقال لها بنا - يدي الى المسجد فانه خير ملجاه لنا

فافغلا الغرفة وهو لا حتى دخل المسجد وجلسا في بعض جلوبيه فرأى الناس هناك زرافات ووحداناً وقد استولى عليهم الخوف

وبعد ساعات قليلة ضج الناس في المسجد وهم يقولون « اللهم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم » فتحقق سلطان ان الفتح قد تم المسلمين فوقف وعده حماد في موقف بري النبي وهو داخل المسجد فما لبث ان سمع الناس يكرون ورأى النبي داخلاً على قدميه ووراءه رجل من اصحابه آخذ زمام المبادرة فطاف حول الكعبة سعياً وفي كل مرة كان يأخذ الحجر الاسود بمحيطه والملائكة يصيرون بالتكبير حتى زاد صياحهم فاشار اليهم ان استكروا<sup>(١)</sup>

وكان في المسجد ثلاثة وستون صنعاً لكل حي من احياء العرب صنم قد شدوا اقدامها بالرصاص فجاء النبي وفي بيته قضى بجعل بهوي على كل صنم منها فيهوي على وجهه او قفاه وهو يقول جاء الحق وذهق الباطل ان الباطل كان زهوفاً<sup>(٢)</sup>

وكان سلطان وحماد ينظران الى ذلك وبعثان ثم رأياه جاء الى صنم كبير الى جانب الكعبة كان قد عرفا انه هل الاكبر فكسره وكان في الكعبة صور شئ المانيماء وفيها صورة ابراهيم واساعيل وعيسي ومريم عليهم السلام فامر ما به فسمحت كلها<sup>(٣)</sup> ولما تكسرت الاصنام واحببت الصور جاس النبي في ناحية المسجد وعلى رأسه شيخ وقرر علم بعد ذلك انه ابو بكر الصديق تم امر فتحت الكعبة فدخلها والناس ينتظرون فصلئ فيها ركعتين

ثم وقف على باب الكعبة والناس وقوف صامتون كان على رؤوسهم الطير فقال « لا الا الله وحد لا شريك له صدق الله وعد ونصر عبده وهرم الاكاذيب وحد » ثم خطب خطبة طوبلة ذكر فيها كثيراً من الاحكام منها « لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث اهل مالين مخالفتين ولا تنكح المرأة على عندها ولا على خالتها والدتها

(١) السيرة الحلبية (٢) السيرة الشامية (٣) السيرة الحلبية

على المدعى والبيون على من انكر ولا نسافر المرأة ثلاثة أيام إلا مع ذي حرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا بصام يوم الاحد و يوم الفطر » ثم قال « يا معاشر قربش ان الله اذهب عنكم نعنة الجاهلية و تعظها بالآباء والناس من ادم من تراب » تم قال « ماذا تقولون وماذا تظرون اني فاعل فيكم » قالوا « خير أخ كرم و ابن أخ كريم وقد فدرت » فقال « اقول قال كا اخي يوسف لا ثريب عليكم اليوم بغير الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهروا فاتم الطلاقا » <sup>(١)</sup> وقال اقوالاً أخرى ادهشت حماداً سلماً لما حزنته من الحكمة والموعظة فظر سلماً الى حماد وقال والله اني لأعجب لاناس قاوموا هذا النبي وهذه تعاليمه واقواله ولا رب عندي ان سلطانه سينفع حتى يعطي الارض ويحوّل دوائي الرؤوم والفرس

ثم التفت حماد فرأى الفرشبين بعتقون الاسلام وهم يصلون وبهني بعضهم بعضاً وقد هدأت الا - حماد طلب الناس الى السكينة وانطلقا الى منازلم واشغالهم فخرج سلماً وحماد الى الخان

فلا استتب بها الجلوس هناك التفت حماد الى سلماً فقال له لقد شغلنا بهن الاحوال عما جتنا من اجله ولقد نظرت الى الكعبة فدخل على امر الفرطين ولم افهم اين موضعها ولا كيف استطيع الوصول اليها وخصوصاً بعد هذه المحن ودخول مكة في حوزة المسلمين

فقال سلماً الم اقل لك يا سودي ان عمرك ساخته الله قد افتح عليك امراً سخرياً ولكننا سنقابل الشيخ الخزاعي ونرى رأيه في الامر وليس بعد الجهد حماد

فقال حماد وقد وانا استطلع امر والدي من ابي سفيان

وقتها سلماً ولم يجيب

فعجب حماد لسكته فقال له ما بالك لا تجيب

فقال بماذا اجيبك وليس في الجواب فائدة

فقال العلك سألت عنه ولم تنظر به

قال نعم يا مولاي ان سيدتي ليس مع ابي سفيان فقد علمت انهم فارقوه عند عمان ولم يروه من ذلك الحين

فانقضت نفس حماد لذلك الخبر و بيت ملة لا يتكلم ثم قال والدموع تكاد  
ترفرق في عينيه ارى يا سلمان ان الله قد اعد لنا ايام نعاسة ولا تنقضي والظاهر ان  
نجم سعدى قد افل يوم خروجا من المقاء قال ذلك ونساقطت الدموع من عيده  
على الرغم منه .

فخجل سلمان وقال له تشعر يا سيدى ولا نهائى فان الله لا يتركك ولا يهمك  
وانت ايتها تسعى في ما يأول الى رفع متزلنك رغبة في ارضاء فتاة انت تحبها  
وهي تحبك .

فلا سمع كلامات سلمان تذكر هندا وحبها وما آتته من صنف الامل في الحصول  
عليها فلم ينم على البكاء وسلامان ساكت لا يرى ما يعزبه و فقال له ان البكاء  
شأن النساء يا سيدى وعهدي بك — حازم باسل لا تخزعك حادث الايام فاصبر  
ان الله مع الصابرين

قال اما اعلم يا سلمان ان البكاء عار على الرجال ولكن الحب ..... آه من  
الحب آه من ثعلبة آه من جبلة . وسكت

فأخذ سلمان يخفف عنه وبوصلة بما سمعونه من الشيخ الخزاعي فسكت

## الفصل الثامن والأربعون

### \* اليأس \*

وفي صباح اليوم التالي خرج سلمان الى مر الظهران يطلب ذلك الخزاعي فعلم  
انه نفه من مرضه والنفس مقابلته فادخلوه عليه فاذا هو شيخ هرم قد احناه الكبر حتى  
ايض شعر لحيته واسترسل على صدره وتجدد وجهه وغارت عياه وغطاها شعر الحاجبين  
فيما سلمان فرد القبة وأشار اليه ان يجلس الى جانب ففعل

فيبدأ سلمان بالسؤال عن صحته ثم استطرد الى آخر الفتح ثم عرفة بنفسه وما جاء  
من اجله فرحب به

فقال سلمان قد جتناك يا سيدى نستطلع امراً بهنا كثيراً ولا نرى احداً سواك  
بسطع مساعدتنا فهو

فقال مرحبا بك قل ما بدارك  
 قال سرجوان يكون كلامنا سرا لا يعرف به احد سوانا  
 قال قل لقد وقعت على خزانة اسرار  
 قال نحن نعلم ان احدى ملكات غسان واسمها ماريه أهدت الكعبة قرطين ثميين  
 منذ نحو قرنين فهل تعرف شيئا من ذلك  
 ففك الشيغ قليلا ثم قال نعم يا ولدي اني اعلم بذلك  
 قال سلمان فهل تعلم مكان هذين القرطين الا ان قال ان حكاية هذين القرطين  
 اصبحت في خبر كان لان الكعبة قد هدمت وبنيت مرارا بعد اهداه زينك القرطين  
 واخر من هدمت فيها كانت منذ نحو اربعين سنة وبناما عبد المطلب جده زينا صلي  
 الله عليه وسلم الذي شاهد تم فتحة مكة امس وهو الذي تولى رفع الحجر الاسود حينئذ  
 ووضعه في مكانه قبل ظهور دعوته بسبعين سنة فقد كانت النبائل مختلفة على من  
 يحمل ذلك الحجر الشريف وبصورة في مكانه وحاولت كل قبيلة اكتساب ذلك الشرف  
 لما تحكموا هذا النبي في ما بينهم وهم لا يعلمون شيئا من كرامتو فاشار بوضع الحجر في  
 ملة واسعة واعز الى كل قبيلة ان تحمل بطرف من اطرافها وبذلك انعم المخلاف  
 والخلاصة ان القرطين لا يعلم احد بمكانهما الا ان الارجح انها بيعا الى احد المحبولين  
 والبعث عنها بعد من قبيل العبث

فتكلدر سلمان اذلك الامر والتقت الى الشيغ فائلا فهل تظن البحث عن  
 القرطين عينا  
 قال هذا ما اراه على ان دخول الكعبة مثل هذا الفرض امر مستحيل اليوم بعد  
 دخولها في حوزة الاسلام

فانقضت نفس سلمان ولم يعد يستطيع البقاء هناك فنهض فوادع الشيغ وخرج  
 الى حماد وكان يتضرع عودته بفارغ الصبر فلما رأه ابي طلعة الخبر فاطلعة على حدث  
 الشيغ وهو يبكى بشدة الاسف ولكنه اقترح حدثة بعبارات التعزية واملأه بوسيلة  
 يقذها للتعويض عن هذين القرطين امام هند على ان ذلك لم يكن ليقف شيئا  
 من فلق حماد

## ﴿ مؤلفات جرجي زيدان منشىء مجلة الملال بمصر ﴾

- (١) « تاريخ مصر الحديث » من الفتح الإسلامي إلى هذه الأيام مع ملخص تاريخها القديم وهو جزآن كبيران فيه مائة رسم واربع خارطات منه ٢٠ غرثا صاغا واجرة البوسطة ٥ غروش
  - (٢) « تاريخ المسونية العام » منذ نشأتها إلى هذه الأيام منه ٢٠ غرثاً واجرة البوسطة غرشان
  - (٣) « التاريخ العام » الجزء الأول يتضمن تاريخ ممالك آسيا وأفريقيا وخصوصاً مصر منه ٨ غروش صاغ واجرة البوسطة غرش واحد
  - (٤) « الفلسفة اللغوية » فيها بحث تحليلي للالعاظ المرية منها ١٢ غروش واجرة البوسطة غرش واحد
  - (٥) « جغرافية مصر » (طبعة ثانية) تتضمن حمراية المديريات والهادفات وخصوصاً القاهرة منها وحدتها ٣ غروش وهي العارطة ٠
  - (٦) « أمير التمهدي » رواية تاريخية غرامية تتضمن حوادث عراقي والمهدى وحادته سنة ١٤٦٠ في دمشق . منها ١٠ غروش صاغ واجرة البريد غرشان
  - (٧) « الملوك الشارد » (طبعة ثانية) رواية تاريخية ادبية تتضمن حوادث مصر وسوريا في زمن المغول له محمد علي باشا والأمير بشير الشهابي منه ٨ غروش واجرة البوسطة غرش ونصف
  - (٨) « استداد المالك » (طبعة اولى) رواية تاريخية تتضمن حوادث آخر القرن الماضي منها ٨ غروش واجرة البوسطة عرش واحد
  - (٩) « ارماءوسة المصرية » (طبعة ثانية) رواية تاريخية غرامية تشرح حل مصر لما فيها السلطون سنة ٨ للهجرة مع عوائلها ولهم ولهم وزاريهم . منها عشرة غروش واحرة البوسطة غرشان
  - (١٠) « فتاة عسان » تشرح حزن العرب في آخر حمايتهم وأول إسلامتهم مع ذكر عوائلهم وأخلاقهم إلى فتوح الشام الحرة الأولى . منه عشرة عروش واحرة البوسطة غرش ونصف
  - (١١) « حماد المحبيين » رواية ادبية غرامية منها ٦ غروش صاغ واجرة البوسطة غرش ونصف
  - (١٢) « رد ريان » رد على انتقاد نارينج مصر الحديث منه ٣ غروش واحد
  - (١٣) « مجلدات الملال الأول والثاني والثالث والرابع والخامس وما بعده » مجلدة تعجليداً حسنة وموسمة عام الذهب تمن الواحد منها ٦ غرثاً واجرة البوسطة ٥ غروش صاغ
  - (١٤) « ملخص تاريخ اليونان والروماني مزيين بالرسوم منه ٣ غروش والبوسطة عشرون ماره
- (روايات اهلال وطبعات مطبعة الملال - منها)**

- (١) أكتفاء الفنون يا هو مطبوع من الكتب المرية من أول مهد الطاعة إلى الآن تأليف المستر ادوارد فاندلت عدد صفحاته سبعمائة صفحة ونحوه حسون غرثاً واحرة البوسطة خمسة غروش
  - (٢) « استراتونكي » (تأليف صموئيل افدي بي) وهي الرواية الأولى من روايات الملال غرامية تاريفية حصلت حوارتها في زمن خلقه الاسكندر المقدوني ثمها خمسة غروش واحرة البوسطة غرش
  - (٣) (اصوص فيبيسيا) هي الرواية الثانية من روايات الملال تحرير ادارة الملال . حزمان من المزرء الواحد خمسة غروش واحرة البوسطة عرش
  - (٤) الالام في من ي الأرض لستة من ملوك الاسم لمعرفته في النسخة الرابعة غروش واحرة البوسطة نصف غرش
  - (٥) « انتصار الحبيين » وهي رواية غرامية ادبية تأليف يوسف افندي زيدان تمن النسخة خمسة غروش واجرة البوسطة غرش
- تطلب هذه الكتب من ادارة الملال في القاهرة وس وكلاه الملال في الجهات ومن ارسل قيمتها مع اجرة البريد ولو طوابع بوسطة ترسل اليه حالاً

في ذي قرني من دراما مسرحية



### تأليف جرجي زيدان منشى• الملال

هي رواية نار يخية غرامية تضم الحوادث المصرية الأخيرة التي وقعت لعرابي والمتهدى السوداني بالتفصيل والإيضاح حتى يختال المطالع نفسه بين الجندي في ساحة الحرب أو في غرف الامراء في ام درمان يشاف المهدى أو خلفاءه ويشعر لفترة تأثره انه في سراي الخرطوم محاصراً مع غوردون باشا وقد ذاق ما ذاقه اهل الخرطوم من الجموع والضنك وكأنه شاهد فتوح تلك المدينة ومقتل غوردون وغيره من اهلها فان المؤلف شاهد أكثر الواقع السودانية شهادة عين وحضر حروزها وشاهد بلادها واعلما اما الحوادث العرابية فتنكتيف الديه بحقيقةها وما حصل من وقائعها سراً او جهراً ككل ذلك وهو لا يشعر الا انه يطالع قصة غرامية تحيب اليه المطالعة لا يهدى له بال الا بالاتيان على اخرها  
وثمن النسخة عشرة غروش صاغ واجرة البوسطة غرشان وتحتاج من ادارة الملال او مكتبة بالتجاله بصر

**To: www.al-mostafa.com**